کتابخانه، موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
۱۰۰۲۹
فیلموتیک تاسیس ۱۳ ۲

بازدید شد
۱۳۸۲

بازدید ۱۳۴۰

کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
نام کتاب: تاریخ یمینی
مؤلف: ابی النصر محمد بن عبد الجبار
موضوع تألیف
نمره جلد [illegible]
۸۱۲۶
شمارهٔ دفتر ۲۳۸۸۶

خطی «فهرست شده»
۸۱۳۶

كيف قول منذا في طلكي والملك لله

كتاب اليميني

في اخبار السلطان يمين الدولة وامين الملة ابي القاسم محمود ابن سبكتكين رحمه الله تاليف الشيخ ابي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي رحمه الله

لعلي بن فضل الله الحسيني عليه ما عليه

اقول لركب قافلين من الحمى
متى عهدكم بالقوم بورك ذا العهد
فقالوا تركناهم ملاحة الحمى
وشتر صحن الملاحة المكحلين معهد
فقلت لهم يا ركب عهدكم بها
قريب فواسوني انل منكم رفدا
ابيحوا العيني اليوم اغنيكم لكي
ارى من ترى سعدة فنحلي جيدا
فجاؤا بشر الركب لي بكتابها
فوشحته بالدر من ادمعي عقدا
امن رحمة اهدت الي كتابها
الا لا لكن لتقتلني عمدا
خليلي عوجا بالركاب الى الحمى
وان لم يكن صوب الحمى لكما قصدا
وقولا لها وارحمتا لشبابه
وقد صار عطفا فيك مكتئبا جلدا
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
وانفنا يرقلن نحو الحمى وخدا
واطوي بايدي العيش ادبر الفلا
فيطفين لي وجدا ويوصلني نجدا

لابي الفضل الميكالي في ابي نصر العتبي

توفي ابو النصر فولحن زنا	منه على ادابه الناضرة
كانت به الاقلام مختالة	فاصبحت من بعده حائرة
تهذ الالفاظ تندبه	تنجو ابا جفان لها ناظرة
وللمعاني بعده	تبكي منها فاترة

لابي النصر العتبي

ابا غرة الشمس المنيرة بالضحى ومن عجبت عن كبها صفحة الوري
عذرتك ان لم احظ منك برؤية فانت لعمري الروح والروح لا يرى

کتابخانه مجلس شورای ملی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر بآياته الباطن بذاته القريب برحمته البعيد بعزته الكبير
بآلائه العظيم بكبريائه القادر فلا يمانع والقاهر فلا ينازع والعزيز
فلا يضام والمنيع فلا يرام والمليك الذي له الاقضية والاحكام
الذي تفرد بالبقاء وتوحد بالعز والسناء واستأثر بمحاسن الاسماء
ودل على قدرته بخلق الارض والسماء كان ولا مكان ولا زمان ولا
بنيان ولا ملك ولا انسان فاوجد المعدوم ابداعا واحدث ما لم يكن
انشاء واخترع اجل شيء فيما خلق عن احتذاء صورة واستدعاء مشورة
واقتفاء رسم ومثال وافتقار الى نظر وقياس واستدلال ففي كل ما ابدع
وصنع وفطر وقدر دليل على انه الواحد بلا شريك ووزير والقادر بلا
نصير والعالم بلا تبصير وتذكير والحكيم بلا روية وتفكير والحي الذي

ترجمه تاریخ یمینی

لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير رفع السماء عبرة للنظار و
علة للظلم والانوار وسببا للغيوث والامطار وجوه للحمول و
القفار معاشا للوحوش والاطيار ووضع الارض مهادا للابدان
وقرارا للحيوان وفراشا للجنوب والمضاجع وبساطا للمكاسب و
المنافع وذلولا لطلاب الرزق وارباب البضائع وانتصب الجبال
اوتادا راسية واعلاما نادية وعيونا جارية وارحاما للاجنة الاعلاق
حاوية وجعل البحار مفايض لفضول الانهار ومغايض لسيول الامطار
ومراكب لوفاق التجار ومضارب لمصالح الامصار ومناجح الاوطار يحوي
من الدر والمرجان بنانا وتنبع بين الملح والاجاج عذبا فراتا وتقذف
الاكلين لحما طريا وتحمل للابسين جواهر وحليا واستخلف على عمارة
عالمه من انتجبهم من خلقه واثرهم بالهامه ودبرهم باوامره واحكامه
وكان اعلم بهم من ملائكته حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا
تعلمون واقام عليهم مهيمنا من لدنه يهديهم الرشاد ويجنبهم
الفساد ويرجيهم الثواب وينذرهم العقاب ولم يقتصر على ما اقامه
بهم من الحجة واوضح من المحجة حتى ابتعث الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
بالمعجزات الباهرة والدلالات الجلية والبينات الظاهرة داعين الى توحيده

وناديهن لتسبيحه وتمجيده فازاح بهم العلة وازال الشبهة وافاد
سكون النفوس ونفى خلاج الشكوك ولم يزل يستخلف من خليفته
من بين بنى الانبياء ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة
والامراء حتى انتهت نوبة الخلق الى زمن النبى المصطفى الامين المجتبى
الابطحى الاريحى المرتضى محمد صلى الله عليه وعلى اله خيار الورى
فارسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
وجعل امته افضل الامم وكلمتهم اعدل الكلم وملتهم اوسط الملل و
قبلتهم اسد القبل وسننهم اقوم السنن وكتابهم اشرف الكتب و
وعدهم ان يكونوا يوم العدل والقضاء الفصل شهداء على من يظهر
الجحود وينكر الواحد المعبود قال الله تعالى جده وهو اصدق القائلين
واحكم الحاكمين وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فنسخ بشريعته الشرائع و
بصنيعته الصنائع وبدليله الادلة وببدره الاقمار والاهلة
وانتشرت نبوته مسداة بالخلاص ملحمة بالاخلاص معلمة بالتمام مطرزة
بالدوام على تعاقب الليالى والايام لم يفرط فيها من شى يقتضى تماما
ويستدعى دوامه ولحاما قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فاطلق على الدين لفظ الكمال

لاستقامته على غاية الاعتدال وانتفائه من عوارض النقص والاختلال
الى ان قبضه الله جل ذكره اليه مشكور السعى والاثر ممدوح النظر
والظفر مرضى السمع والبصر محمود العيان والخبر فاستخلف فى امته
الثقلين كتاب الله وعترته الذين يحميان الاقدام ان تزل والاحلام
ان تضل والقلوب ان تمرض والشكوك ان تعترض فمن تمسك بهما
فقد امن من العثار ونجا عن النار وربح البوار ومن صدف عنهما
فقد اساء الاختيار وركب الخسار وارتدف الادبار اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين فصلى الله عليه واله ما انبلج الليل عن الصباح واقترن
العز باطراف الرماح ونادى المنادى بحى على الفلاح صلوة تكافى
حسن بلائه وتضاهى سابق غنائه وتقضى فرض طاعته وتقتضى فرض
شفاعته وسلم تسليما **وبعد** فان الدين والملك توامان فالدين
اس والملك حارس وما لا اس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع
والسلطان ظل الله سبحانه فى ارضه وخليفته على خلقه وامينه على
رعايته حقه بدرته السياسة وعليه تستقيم الخاصة والعامة و
بهيبته ترتفع الحوادث والفتن وبايالته تنحسم المخاوف والمحن
ولولاه لانحل النظام ولتساوى الخاص والعام وشمل الهرج والمرج

التباين والتماين

وعم الاضطراب والهيج واشرأبت النفوس الى ما في طباعها من التباين والتفاضل والتماين حتى يشغلهم ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا ويقيم اودهم يوما وغدا والى هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران اذ كان اكثر الناس يرون ظلم السياسات فيروعهم خوف المعاقبة وحذار المواخذة عن تنكب الجدد والعدول عن السمت المقتصد ومن لنا بان يتفكر في اي كتاب الله بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل لنفسه منها زماما يهديه الى الاصلح وزماما يثنيه عن الاقبح فيكون مؤدب نفسه ومقوم ذاته وابغض اخلاقه وعاداته ومعنى حديث عمر بن الخطاب منتزع من قوله عز وجل ذكره لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فموضوع السيف للعامة ومجموع القران للخاصة وان كان الجميع في معانيه مشتركا وباوامره ونواهيه مرتبطا غير ان العامي يرى السيف فيرتدع والخاصي يرى الحق فيتبع فشتان ما بين مدبر ومتحير بغيره ومؤدب ومهذب بنور رتبه وقد كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز لجمعه بين الكتاب والميزان

والحديد على تنافر ظاهرها في المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط عن جوار المشاكلة والمجانسة وسالت عنه عدة من اعيان العلماء والمجانسة بالتفسير والمشهورين بالتذكير فلم احصل منهم منهم على جواب يزيح العلة ويشفي الصدر وينقع الغلة حتى اعملت التفكر وانعمت التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد ويفصل جمل الفرائض ويرهن مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود وقد حظر فيه التعادي والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وامر بالتناصف والتعادل في اقتسام الارزاق المخرجة لهم بين رجع السماء وصدع الارض ليكون ما يصل منها الى اهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب واحتاجوا في استدامة حظوظهم باقواتهم مع النصفة المندوب اليها الى استعمال آلة العدل يقع بها التعامل ويتم معها التساوي والتعادل فالهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما ياخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته فيها فيتهالكوا به اذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع سوغ ظلم البعض منهم على البعض ويدل على هذا المعنى قوله جل ذكره والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط

ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء علة للارزاق والاقوات
من انواع الحبوب والنبات فكان ما يخرج منها من اغذية العباد ومرافق
حيوتهم مضطرا الى ان يكون اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف
ولم يكن يتم ذلك الا بهذه الالة المذكورة فنبه الله جل وعز على
موقع الفايدة فيه والعايدة به بتكرير ذكره فكان ما تقدم ذكره
معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر
الالهية والالة الموضوعة للتعامل بالسوية انما يحفظ العام على
اتباعهما ويضطر الظالم الى التزام احكامهما بالسيف
الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند ونزع من صفقة الجماعة
اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعذبة عذابه
فهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله تعالى بالباس الشديد
فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة
المطالع مقومة المبادي والمقاطع فظهر بهذا التاويل معنى الاية و
بان ان السلطان خليفة الله على خلقه وامينه على رعايته بما قلده من
سيفه ومكن له في ارضه واحق الولاة بان يكون شريفا نبيها وعند الله
كريما وجيها من كانت عنايته بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام
المسلمين اوفر واوفى ومجاهدته لاعداء الله المارقين عن شرايعه المادرين

دون حدوده وفرايضه بنفسه وماله ورهطه ورجاله اشرح للصدور
واشفى وقد علم ابناء البدو والحضر انشاء المدر والوبر من حيث
مد الصباح جناحيه الى ان ضمهما للوقوع في افق الغروب ان راية
الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا واصدق يقينا واوسع علما
واوقع حلما واسد سيرة واخلص سريرة واتم وفاء واعم سخاء واوفر حياء
واغنى غناء واعظم قدرا وافخم ذكرا وامد باعا واشد امتناعا واجل
جلالة واكمل عدة والة وارفع ملكا وسلطانا واطوع انصارا واعوانا
واروع سيفا وسنانا واحمى للاسلام وذويه وانفى للشرك ومنتحليه
واعدى للباطل ومن يليه اكتنابا وورداثة وطباعا واستفادة من
الامير السيد الملك المؤيد يمين الدولة وامين الملة ابي القاسم
محمود ابن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين اطال الله بقاه وملك
الشرق بجنبيه والصدر من العالم وبديه للانتظام الاقليم الرابع
وما يليه من ثالث الاقاليم وخامسها في حوزة ملكه وحصول ممالكها
الفسيحة وولاياتها العريضة في قبضة ملكه ومصير امرائها وذوي الالقاب
الملوكية من عظمائها تحت حمايته وجبايته واستذلالهم من افات
الزمان بظل ولايته ورعايته واذعان ملوك الارض بعدهم
لعزته وارتياعهم من فايض هيبته واحترابهم على تقاذف الديار

قايض

وتحاجز الانجاد من فاحمي ركضته واستخفاء الهند والروم تحت جيوبها
عند ذكره واقشعرار مهب الرياح من ارضه وقد كان ادام الله دولته
مذ لفظه المهد وجفاه الرضاع وانحلت عن لسانه عقدة الكلام واستغنى
عن الاشارة بالافهام مشغول اللسان بالذكر والقران مشعوف
النفس بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالي الامور معقود الامنية
بسياسة الجمهور لعبه مع الاتراب جد وجده مستكد بالم لما يعلم
حتى يتلقه علما وخبرا او يحرز لما يحزن حتى يبعثه قسرا وقهرا وكان
الامير الماضي انار الله برهانه يرى الدنيا بعينه ويسمع باذنه وينطق
بلسانه ويستحلي مذاق العيش به ويستطيب روح الهواء بقربه ويستفتح
مغالق الامور بيمنه ويستمطر عوارف الخطوب باسمه ولم يزل يتنقل
ويجربه الى ان استنزلته رتبة البلوغ وبصيرة الادراك عن حجره ولم
ينفك يتدرج بين الطاقة وكراماته وولاياته واقطاعاته من رتبة
الى اخرى اعلى منها مكانا وارفع شانا الى ان ولي قيادة الجيوش
والعساكر بخراسان وهي الرتبة التي طالما تناجر عليها اكابر الرجال
وقروم الابطال فلم يحظ بها الا العدد اليسير الذين سار ذكرهم
في الافاق وتسامع بهم رجالات خراسان والعراق سناء وقدرا و
دهاء ونكرا ومهابة وحشمة ونباهة ورفعة هذا على طراءة سنه ونضا

غصنه وعنفوان امره وريعان شبابه وعمره كما قيل: قاد الجيوش
لخمس عشرة حجة ولداته اذ ذاك في اشغال قعدت بهم هماتهم
وسمت به همم الملوك وسورة الابطال وهلم جرا الى ان ملك خراسان
باسرها وزاولستان عن آخرها وبلاد نيمروز بحذافيرها وجال
الغور على حصانتها ودوخ السند فاستباحها وغزا الملتان فاجتاحها
وتوغل الهند عودا على بدء فكاسر اجامها واذل لقاحها وجاس مغانيها
ورباعها وافتتح صياصيها وقلاعها واقام عن بيوت الاصنام
الاسلام وعن مشاهد البهتان معاهد التوحيد والايمان فصار
الاطفال تهدد في بطالاتها باقدامه وتفزع باقبال الويته واعلامه
فظل اندابهم وحبالهم فكماتهم وابطالهم كما قال اشجع السلمي: وعلى
عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام فاذا تنبه
رعته واذا هدا سلت عليه سيوفك الاحلام وحاز الله له من
البسطة في العلم والحلم والهيبة بالاسم والجسم والظفر باكابر
الاعداء في وقائع يعز صبر النفوس على امثالها وتكاد الارض تموج
من اهوالها ما لم يسمع بمثله خبر لاحد من الملوك الاعن اساطير
الاولين ابد بها التهويل والتطويل والتعجيب والتغريب دون
الحقيقة التي تشهد بها العيان ويقوم عليها البيان والبرهان

فلو نُشرت صحايف الدول الاسلاميه وايام الملة الحنيفية لكانت
دولته غرة تلك الدول ومساعيه فيها طراز علم تلك الحلل اذ لم
يتفق لاحد من سلف الملوك من غرر المآثر وزهر المناقب والمفاخر
ما اتفق له هو بنفسه وابنه وآثاره ومساعيه ولما خار الله له كرايم
الخصال ووفاه طبع الكمال في معاني الكمال سياسة اذكرت زيادا
في زمانه والمنصور في سلطانه وهيبة خضعت لها جنادب الكتايب
الناجمة وخمدت عليها عيون الايام العارمة وعدلا ضم بين الضد
حتى النار الى الماء والف بين الذئاب الطلس والشاء فكبت
الانياب شبا الاطراف في القرون صلابة الاجواف وكانت ايام
شغوله بمراتب السياسة عن حلو ثمار الديانة وبغرض السيادة عن
نقل الاستفادة لطف الله تعالى له باولاد كالنجوم الزواهر بل البدور
الجواد بل السيوف البواتر بل العقبان الكواسر من لم يرموا الالحاظ
توادبهم فخامة وجلالا ودسامة وجمالا وسعادة واقبالا وسماحة
وافضالا وعلوما وادابا ولفظا وكتابا وحفظا وحسابا واخلاقا
مرة وعذابا نعم وصرامة ومضاء وشجاعة واباء وسيادة وعلاء
ونجابة ونباهة وجلالة ونفاسة وايالة وسياسة واسامة
وحراسة وفروسة وفراسة فجمع الله له تمام السعادة وقصر عليه

ادوات السيادة فما زال يربيهم في حضن الحدب ويصنعهم في مضمار
الادب ويروضهم بين الكتائب والكتب حتى نجا في حجاب الملك منهم
عن شموس الايام وبدور الظلام وبحور الكلام وليوث الزحام و
جدود الجسام وفرايد النظام وزينة الليالي والايام فاشرابت
اليهم الآمال والهمم وتباهت بهم الدوات والقلم كذلك
يصنع الله بعباده في كل زمان ويلطف لذوي العلوم في جنب كل
سلطان وقيض الشيخ الجليل شمس الكفاة ابا القاسم احمد بن الحسن
لوزارته وتدبير امور مملكته من ذخره الله لزمان صادف فترة
من احرار الرجال وابناء الفعال فلم يطبع مثله على غراره ولم يصنع
شرواه في مضماره سجاحة شيم ودجاجة كرم وسماحة كف وفصاحة
قلم وهمة ترى الدنيا هباءة منثورة بين اخواتها الثايرة بل نقطة
موهومة من نقط الدايرة وغدت سدته ميقاتا للفضل واهليه
وسوقا للادب ومنتحليه يجلب اليها بضاعات الفضايل بين منظوم
ومنثور ومختوم ومنشور وقد صنف طبقات الادبا والكتاب تصانيف
في ذكر ايامهم وتصاريف احوال الزمان بهم بحسب تفننهم في البيان
وسهمتهم من بلاغة الخاطر والبنان حتى ان ابا اسحق ابرهيم ابن
هلال الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في اخبار الديلم موشحا

قصیده را تمام نیاورد چه هر که مطالعه فرماید از یک بیت عزارت فضل گوید

الفاظه الساحرة ومعنى بحلل معانيه الزاهرة فحل عقد البيان بما
قيده وبيض وجه البلاغة بما سوده وإن تكن دولة تقتضي إثبات محاسنها
بالتخليد وتقييد مآثرها بالتأبيد فهذه هي التي تقتضي الأدباء
ان يخلدوا ابتغاء معاليها كلامهم ويحلوا بجواهر مساعيها أقلامهم
ولو أدركها الماضون من أرباب التصانيف لودوا أن كانت ألفاظهم
عن غيرها معزولة وإلى ذكر محاسنها منقولة ولجددتهم أنفسهم بأن
يعتذروا اعتذار أبي نواس بقوله إذا نحن أثنينا عليك بصالح
فأنت كما نثني وفوق الذي نثني وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة
لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني وقد كنت أقدر أن بعض صنائع
هذه الدولة ممن له حظ في الصناعة وتوجه في طرق البلاغة يرتاح
لتقييد أخبارها وآثارها وجمع كتاب في تصاريف أحوالها والحوادث
من لدن قام الأمير الماضي أنار الله برهانه أميرا إلى أن أجلى أبا علي
محمد بن محمد بن ابرهيم بن سيمجور عن خراسان كسيرا وجعله
من بعد في يده أسيرا وولي أمورها سياسة وتدبيرا وما تقدم
له أثناء ذلك كله من إغاثة الأمير الرضي أبي القاسم نوح بن
منصور رحمه الله ونصرته واستجابته ما لطف له من دعوته والمدافعة
عن بلته وخطته واستيفاء ما فصل عن ذوبان الترك من ولايته

وكفهم بترغيبه وترهيبه عن إزالة حشمته واستباحة ما سلم عليهم
من نعمته محافظة على حقوق سلفه الأولى طال ما صنعوا الصنائع
وأودعوا الودائع وبثوا العوارف والرغائب وأنفقوا الأموال
والمحرائب حتى كثروا المحامد والمناقب وعرفوا الحرمات أقدارها
وحفظوا على البيوتات أستارها وقضوا النفوس المنقطعين إليهم
أوطارها إلى أن ورث السلطان المؤيد يمين الدولة وأمين الملة
مكانه فخلفه في ترتيب الأمور وتدبير الجمهور وتألف الإخوة و
الأقارب واستمالة القلوب ببذل الرغائب إلى أن استقر به سرير
الملك مطاعا وتناهضت ولاة الأطراف إلى بيعته سراعا فوجدتهم
قد عولوا في معانيها على ما سار في أكناف الحضر من أشعار الفاظ
لازدحام الشعراء على بابه الرفيع بقصائد بهم ألفوا قد عبروا بها
في ديباجة الرودكي وصنعة الخسروي والدقيقي ولعمري انها
كافية شافية ومن وراء الإشباع والإقناع آتية لكنها دون
خراسان لا تعرف عن ديارها ارتحالا ولا تألف غير أقطارها مجالا
فاقتضاني حكم ما أسلفته في هذا البيت الرفيع من خدمة وتعرفه
أيام الأمير الماضي قدس الله روحه من بركة اصطناع ونعمة ثم
ما رسمه لي الأمير الأجل السيد أبو أحمد محمد بن يمين الدولة وأمين الملة

ان امتع اهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي اللسان كتابي البيان
يتخذونه سميرا على السهر وانيسا في المقام والسفر ويعرفون به عجائب
آيات الله تعالى في تبديل الابدال وتقليب الامور من حال الى حال
مبتديا بذكر الامير الماضي اكرم الله مآبه من حيث نشأت نبعته وتفرعت
دوحته الى ان استعان به الامير ابو القاسم نوح ابن منصور برد الله
مضجعه في تلافي دولته والانتقام له من ابي علي محمد ابن ابرهيم
ابن سيمجور حين نزع يده من طاعته واستجره بحجي مسئلته عن دار آفته
لكفاية ما دهاه من امره وامر من طابقهم من الترك على حضرته و
اطمعهم برسائله ووسائله في تورد مملكته وما جرى على يده من الفتوح
المأثورة والمقامات المشهورة ومتبعا ذلك بلواحقه من وقايع
السلطان الاجل يمين الدولة وامين الملة في الهند والترك والخلج
وما أتيح له فيهما من النصر والفلج وما يتصل بها من اخباره واخبار
ولاة الاطراف في جواره والله ولي المعونة على درك المنشود واصابة
الغرض المقصود بمنه وفضله وكرمه وطوله

ذكر ايام الامير الماضي ابي منصور سبكتكين رحمة الله عليه واحواله

قد كان ذلك الامير قدس الله
روحه في جبلته ابي النفس حمي الانف جري القلب قوي البطش كريم الخيم
رضي التدبير كبير الهمة كثير الحكمة تبين ذلك كله في خصاله وخلاله

ومتصرفات عزائمه واحواله وحكى لي ابو الحسين جعفر بن محمد الخازن
انه كان ورد بخارا ايام الامير السديد منصور ابن نوح في جملة
ابي اسحق ابن البتكين صاحب جيوش خراسان وهو اذ ذاك حاجبه
الكبير ووجهه الغرير وعليه مدار اموره وبه مناظم شؤونه وعرفه
اركان تلك الدولة بشهامته وغنائه وصرامته ومضائه وتوسموا
فيه الارتفاع الى اليفاع فحين صرف ابو اسحق الى غزنة واليا عليها
وسادا مسد ابيه بها انصرف هو بانصرافه على جملته في زعامة رجاله
ومراعات ما وراء بابه فلم يلبث ابو اسحق بعد معاودته اياها ان قضى
نحبه وودع عمره ولم يبق من قرابته وبطانته من يصلح لمحله ومكانه
واضطر العدد الدهم من مواليه وموالي ابيه الى من يتولى زعامتهم
ويتكفل بحسن الايالة لخاصتهم وعامتهم فلم ينفكوا مختلفين
في الاختيار وساخطين غب الاختبار الى ان اجتمعت كلمتهم على
تاميره واتفقت آراؤهم على الرضا بتدبيره والاذعان لحكم تقديمه
وتاخيره فبايعوه بايمانهم طائعين وحالفوه بايمانهم متابعين
فولي امورهم براي صليب وحزم عجيب واهتمام شديد وقيام بمصالحهم
جميل ولم يزل يركض بهم على اطراف الهند غازيا مجاهدا اعداء الله
الكفرة بها ومفتتحا قلاعها ومستخلصا دبابها وربائعها ومحكما

سيوف في أهلها مؤمنًا من أسلم وشهد وقاتلًا من أشرك وجحد فجرت
بينه وبين عساكر الهند حين غزوا عن أمره وتقاعدوا على مدافعه
واستكفاف عاديه حروب لبس منها جلد النمر واتت نارها نار
المتذمر وعفت معالمها على تواخذ النصير وجافى الجنب عن المضجع
واقنع النفس بالطوى والخمصة وانضى تحته مركب الحية وجب الحاجة
ونفقاء على لذة الامنية اوداخة المنية كما غنا عمرو بن الاطنابة
الانصاري بقوله   ابت لي عفتي وابى بلائي . واخذي الحمد بالثمن
الربيح . واجشامي على المكروه نفسي . وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت . مكانك تحمدي او تستريحي
وحكى لي رحمه الله في تعداد ما كان يذكره من مواقفه ومقاماته و
اثاره في العدو ونكاياته انه اتى وافضهم في بعض وقايعهم هولاء
ونحن في العدد اليسير وهم في الجم الغفير وطالت بنا وبهم ممارسة
الحروب حتى اقوى الناس من الزاد وعجزوا عن الامتياد والاستعداد
ولكن امامنا الا السيوف القواضب ووراءنا الا الهضاب
والشناخيب فصرخوا الى عنادهم وسالوا حيلة النبات على
ما غرامهم فوفقهم الى كف استصحبت لخاصتي على سبيل الاستظهار
صدرا من السويق وهو الان قسمة بيني وبينكم عدلا سواء

بالفاما يبلغ من قدر الكفاية الى ان يمن الله تعالى بالفرج ويكشف
هذا الضيق والحرج فكنت اخلج لهم اناءا عدة لكل منهم ادلاه
من بعدهم اخرافقها صغيرا فتجزى به طول النهار ونحن على ذلك
معالجة المكروه ومكابدة المحذور وملاقات السيوف والنهار
بحر الوجوه والصدور الى ان وهب الله النصر واهب ريح الظفر
واحاق سوء العذاب بين كفر فولوا الادبار بين قتيل مرمل وجريح
مرمل وعقير مرهق واسير بالقد موثق وسمعته يذكر انه كان من
حين لبيه ويتقدير وعند افضاء الامر اليه وافضاء الاباد
عليه ودنيا احتجاله عن التوسع في الانفاق والتعزز في البذل
والاطلاق وانه كاحد نظائه في الحال والمال واحتاج مع ذلك
الى ان ياخذ الموبة الرعاية عليهم من نفقاته الراتبة فكان يذبح
ما يفي منها بضيافتهم في الاسبوع دفعة او دفعتين ولم يزل على
هذه الجملة الى ان اتسعت حاله فزاده بحسب الزيادة الى ان استكمل
اسباب السيادة فكان كما قيل . نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما . وجعلته ملكًا هماما . فلم يلبث ان
دفعه ولايته وعظم جم جريدته وعمرت ارض خزانته واشفقت
النفوس من هيبته وتعلقت الاطماع بمعونته وكان من اجل قوم

ناحية بُست وسبب ذلك أنّ بايتوز كان قد ملكها على طغان
أحد الأمراء كان بها غصبًا واجلاه عنها حربًا ونهبًا فلجأ هو إلى
الأمير الماضي رحمه الله مستظهرًا به ومستنفرًا إيّاه عليه بمال
يضمنه وولد يرهنه وطاعة يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند
الحاجة يلتزمها فلبّى نداه وحقّق بفضله رجاه وناهض خصمه بمعظم
جيوشه حتى أناخ بباب بُست وبرز بايتوز إلى معسكره فتناوشا
القتال كأشدّ ما يكون نفحًا بالصفاح ومشقًا بالرماح وإثخانًا
بالجراح فلما اضطرب الفريقان والتفّت حلقتا البطان حمل الأمير
الماضي من قلب عسكره حملة كشفتهم عن مقامهم وأغصّت شوارع البلد
بهم وذادت عليهم الحملات من كل أوب حتى جلوا عنها مفلولين
وتفرّقوا في بطون الأودية والشعاب ومتون الهضاب مخذولين
واستقرّ طغان بها شاكرًا احسانه وموجبًا لحقوق ما أوجب عليه
ضمانه وبذل به رهنه ولسانه وهو يتمثّل في ذلك بين الانحاذ
والإخلاف ويترجّح بين وفاق وخلاف حتى إذا حان حين الأداء
طالبه الأمير بالوفاء وأغلظ له في الاقتضاء لما رآه من فرط الالتواء
وهما على صحراء غاصّة بغلمانهما وأتباعهما فحدّثته
عجرفيّة الطبع بالمنع فلم يرض بالقول حتى انتضى سيفه وضرب يد الأمير

في ظهور الهضاب وبطون الأودية والشعاب

ضربةً أوسعت جرحها فلما تبيّن غدره ضرب بيده إلى سيفه وهي تثجّ
دمًا فضرب منكبه ضربةً انتصفت له منه وطلبه بأخرى فحجز عنها
اختلاط الفريقين فأهاب الأمير إلى رفقائه وغلمان داره بطرد
الغواة وحطمهم وتبييض تلك النواحي من سوادهم فلم يبلغ النهار
إلّا وبُست له صافية وأطرافها عن ذوي الخلاف خالية وشعار
دولته خالية وامتدّ بايتوز وطغان إلى نواحي سجستان وكرمان
فلم يحلم أجلهما بأن يلتفت وراءه فضلًا عن أن ينتحي لقاءه وكان
من جملة ما استفاده ذلك الأمير من صفايا ذلك الفتح أبو الفتح
علي بن محمد البستي الكاتب صاحب التجنيس رحمه الله فإنه كان كاتبًا
لبايتوز فلما استمرّت به الكشفة أعيته صحبته فتخلّف عنه ودلّ
الأمير عليه فاستحضره ومنّاه وأعمده كما كان معتمدًا له إذ كان
محتاجًا إلى مثله في آلته وكفايته ومعرفته وهدايته وحنكته
ودرايته وحدّثني أبو الفتح رحمه الله قال لمّا استخلصني الأمير
الماضي وأحلّني محلّ الثقة الأمين عنده في مهمّات شأنه وأسرار
ديوانه وكان بايتوز بعد حيًّا وحنادي يلوون ألسنتهم بالقدح
فيّ والجرح لموضع الثقة بي لمّا أشفقت أن يرتبط العهد بالأخبار من أن
يعلق بقلبه شيء من تلك الأقوال ويقرطس غرض القبول بعض تلك

البستان لحضرته ذات يوم وقلت إن همة مثلي من أرباب هذه الصناعة
لا تؤتى إلى أكثر مما رأى الأمير أهلاً له من اختصاصه واستخلاصه
وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات أسراره غير أن حداثة عهدي
بخدمة من كنت به موسوماً واهتمام الأمير بنفض ما بقي من شغله يقتضيان
أن أستأذنه في الاعتزال إلى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر له
هذا الأمر ليكون مآلي من هذه الخدمة أسلم من التهمة وأقرب
إلى السداد وأبعد من كيد الحساد فارتاح لما سمعه وأوقعه من الإحماد
موقعه فأشار علي بناحية الرخج وحكمني في أرضها أتبوأ منها حيث أشاء
إلى أن يأتيني الاستدعاء فتوجهت نحوها فارغ البال رافع العيش
والحال سليم اللسان والقلم بعيد القدم من مخاضات التهم
قال وكنت أدلجت ذات ليلة وذلك في فصل الربيع أؤم منزلاً
أمامي فلما أصبحت نزلت فصليت ودعوت وسبحت وقمت للركوب
ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمنة محفوفة بالخضر مغمومة
بالنور والزهر وأمامها أرض كأنها مفروشة ببساط من الزبرجد
منضد بالدر والمرجان مرصع بالعقيق والعقيان يشتبك بينها أنهار
كبطون الحيات في صفاء ماء الحيوة وقد فغمني من نسيم هوائها عرف
المسك السحيق والعنبر الفتيق فاستطبت المكان وتصورت منه

الجنان

الجنان وفزعت إلى كتاب أدب كنت أستصحبه لأخذ الفأل على
المقام والارتحال ففتحت أول سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو
فإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوزه فقلت هذا والله الوحي
الناطق والفأل الصادق وتقدمت بعطف ضبني إليها وغنيت
ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه وأهنأ شرب وأمراه إلى
أن أتاني كتاب الأمير في استدعائي إلى حضرته بتعجيل وتأميل
وترحيب وترجيب فنهضت إليها وخطبت بما خطبت به منها إلى يومي
هذا فكان اختياره ذلك أحد ما استدل به ذلك الأمير على إصالة
رأيه ورزانته ودرجه إلى محله ومكانته وصار من بعد ينظم بأقلامه
منثور الآثار من حسامه وخفق أعلامه ويفتح بعباراته وشايع
فتوحه ومقاماته وهلم جرا إلى زمان السلطان يمين الدولة وأمين
الملة فقد كتب له عدة فتوح إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته ونبذه
إلى ديار الترك عن غير قصده وإرادته فمات بها غريباً ولم يجد من
مساعدة الزمان نصيباً ولما استتب للأمير ملك النواحي واستقرت
على شعار دعوته الأقاصي والأداني وصفت له أسرارها ودرت عليه
أخلافها استخلف عليها من اختاره من ثقاته وخواصه وكانت
بلاد قصدار قد وقعت من وراء بيضته وتمرد عليه واليها

اطرافها ونواحيها وخشونة مصاعدها ومهاويها فظن ان بعد
الشقة وحزونة المضرب وضيقة المدخل ووعورة المتغلغل
مانعة من الدمور عليه وقاطعة دون الوصول اليه فلم يرعه
الا صبحة الغارة واحداق الخيول به كالخط في الاستدارة وقد طوى
اليه تلك الطرق القاصية والقلل العاصية المتناصية في ركضة
لم يبل فيها جنبه قرارا ولا عينه غرارا ولا خيله جماما الا لماما
فهجم عليه في ربعه بنفسه وصحبه فاخذه اخذ المقتضب شانه عجلان
يشويها القوم نزل فكان صباحه كما قيل اذا خرس الفحل وسط
المجوز صباح الكلاب وعق الوالد ثم راى ان يمن عليه ويرجع اليه
ما كان بيديه فاطلقه مطوقا وانعاما واعاده الى مكانه احسانا
وامتنانا ووافقه على مال يعجله واخر في كل سنة يحمله فعمر باسمه
تلك المنابر واشترك في العلم بحالة الوارد والصادر والغائب
والحاضر ولم يزل بعد ذلك يدارك الركض على اطراف الهند
غازيا ومجاهدا حتى افتتح قلاعا كانت مرتفعة في جبالها مطعمة
باموالها ممتنعة برجالها وحصلها كلها في يده ونظم خزائنها في سلك
ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود حتى افتتح قلاعا لم يسكنها قبل
الا كافر ولم يطاها للاسلام خف ولا حافر وحين علم جيبال الهند

ما دهاه من يطوي مسافة ملكه ويقبض من اطراف ولايته ويلصق
الهون والخسار بمن يحامي عن حوزته اخذه المقيم المقعد وملكه
المزعج المجمد وراى الارض قد ضاقت عليه بما رحبت فنادى بنفسه
وعشيرته واعيان جيوشه وتكاكرته وما خف من ثقال فيلته
يريد الانتقام منه بوطء عرصة الاسلام واستباحة حلته الحرام
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره
ولو كره الكافرون وسار كما هو حتى جاوز لمغان دانيا من ولاية
الامير دنو الواثق بطوله الساكن الى قوته وحوله وقد باض الشيطان
في رأسه وفرخ وسوى السودا في دماغه وطبخ فهو يظن الظنون و
يعد في حساب الحسبان ما لن يكون ولما سمع الامير بوروده وتغلبه
استعد لمناهضته وجمع اولياءه على مناجزته واستجاش من مطوعة
الاسلام من وجب استجاشهم لمناصبته وكفت باسه ومعرته ونهض
من غزنة متوجها نحوه وقاصدا قصده بنية في الجهاد قوية وحمية
للاسلام ابية فوافقه بين الناحيتين في رجال كقطع الليل او دفع
السيل ومعه السلطان يمين الدولة وامين الملة كالليث الخادر
والعقاب الكاسر والموت الكاشر لا يروم صعبا الا ذلله ولا
يروم عقدا الا حلله ولا يزحم منكبا الا حطمه ولا يصاول قرنا

الا افاح دمه ونشبت الحرب بينهم اياما ولا تزال تدور عليهم كؤوس
الطعن والضرب ملأى حتى سكر الفريقان من سورة الضراب والطعان
ويقرب تلك المغارات مما يلي الكفار عقبة تعرف بعقبة غورك
ينخفض عنها طرف العقاب ويعسكر دونها جيش السحاب ذات مهاوٍ
ومشارف ومثانٍ ومعاطف وفي بعض وهادها شريعة ماء كأنها
الجنية في الطهارة لا تقبل قذرا ولا تحمل غثاء ولا غثرا فان القي
شيء من القاذورات فيها اكفهرت له السماء واختلفت النكباء
واظلمت الشواهق والاعماق وغصت بالزمهرير الافاق حتى يرى
الموت الاحمر عيانا والعقاب الاكبر حقيقة وبيانا فعندها امر
الامير رحمه الله بالقاء ضرب من النجاسات فيها فقامت
القيامة على الكفرة الفجرة وتوالت عليهم الصواعق والقوارع
واحاطت بهم الرياح الزعازع ومدت السماء عليهم سرادق البرد
والحصب واثارت عليهم زوابع الاعصار والقتر حتى عميت عليهم المذاهب
والمهارب وانسدت دونهم المسارب والمسالك فاستسلموا
لفرط الهول والفزع والوهل وشهدوا بان قد شاهدوا الموت
قبل الاجل وارسل جيبال يطلب الصلح ويستكف الحرب على مال
يؤديه وحكم للامير في فيلته ومملكته يمضيه فتمم الامير باجابة

در مشهد مقدس در ماه شعبان سنه یکهزار و دویست و پنجاه و شش هجری تا اینجا نوشته شد

در دار المرز رشت در شهر شعبان المعظم ١٢٥٧ سنه یکهزار و دویست و پنجاه و هفت هجری

الى ملتمسه اشفاقا على اوليائه او لصواب عنّ له في رأيه فقهر السلطان
يمين الدولة وامين الملة اولئك الرسل هزا وابى ان يكون فصل
الحرب الا عنوة وقهرا حمية للاسلام والمسلمين وثقة بالله رب
العالمين فانصرفوا بما عرفوا من صورة الحال وضيق المجال
فاضطر جيبال لما اعياه من الحيلة في امره الى اعادتهم في طلب الكف
خاشعا والتماس الموادعة طائعا ضارعا وكانت نبذة كلامه
انكم قد عرفتم حمية الهند واستهانتهم بالموت اذا طرقهم طارق
محذور وحزبهم حادث مكروه فان يكن امتناعكم عن الصلح طمعا
في الغنيمة والفيء والفيلة والسبي فما هو الا عزم منتظم بين
استهلاك الاموال وسمل الافيال وعرض الغلمان على النيران
ومشي الرجال بعضهم الى بعض باطراف الحراب وظباة السيوف
ثم شأنكم وما يبقى من جماد ورماد ورمات ورفات فلما سمع
ذلك من كلامه واحس صدقه فيما هم به عند يأسه من مرامه رأى
حظ الدين واوليائه في موادعته واستنزاله عن ماله وعلقة ارج
من قطيعته وما اختاره من التقاطع بالسيوف والتهافت في الوقود
فواقف الامير السيد يمين الدولة وامين الملة على كف يد الا
عنه على الف الف درهم شاهية وخمسين راسا من الفيلة ضمنها

نفذا وعلى عدة بلاد وقلاع في سرة مملكته كان اشترطها عليه ان
يسلمها الى من يتسلمها من جهته بعد ان بعث اليه رهاين من عشيرته
واعزته على الوفاء بما تضمنه والانجاز بما يعده وقبض المال و
الفيلة نقدا ووافقه على البلاد المذكورة وعدا فارسل معه مسئلة
وحاجبه دليلين يعدلان به عن المعتسف ويقفان به على القصد
في المنصرف وبعث معه بعدة من ثقاته لتسلم الاماكن المشروطة
منه فلما اوغل به المسير وراى انه قد خف عنه الطلب واسترخى
به اللبب حدثه خبث الضمير بالاخلاف وادركه عجز الراى في استيناف
الخلاف فاعتقل من كان في صحبته بدلا عمن رهنهم من عشيرته وبلغ
الامير خبر ذلك فعدّ ان الذي بلغه ارجاف يردفه خلاف وباطل
ليس له حاصل الى ان تناصرت به الانباء فبرح الخفا وانكشف
الغطاء وعلم ان الله تعالى قد طبع على قلبه وحال بينه وبين رشده
ليحيق به وبال امره ويحق عليه مآل كفره وشحذ عزيمته لغزو بلاده
وتخليصها عن خبث خبثه والحاده ونهض في الكماة من غلمانه
والحماة من رفقائه واعوانه متوكلا على الله وحده ومتنجزا في العدو
وعده وسار حتى اقتحم بهم ديار الهند فلم يبرز له بارز من اعوان جيبال
وحوشه الا اوسعهم طعنا واستلحمهم ضربا وطعنا وقصد لمغان

وهي كورة بحصانة الاطراف وغزارة الاخلاف مشهورة فافتتحها
عنوة واقتدارا واضرم بعضها على الكفار نارا وهدم بيوت الاصنام
واقام فيها شعار الاسلام ومضى عنها قدما يفتح البلاد ويقتل
الانجاس الاوغاد حتى اذل المشركين وشفى صدور قوم مؤمنين
ولما ارمى على الغاية في النكاية واربى على حد الامكان في الاثخان
وبوديت يده وايادي اوليائه بما يغمر الحمد والعد من كرايم الاموال
وغنايم تلك البلاد عطف لاعنته وراية كريم الظفر جديد الاثر
ميمون الورد والصدر وتطايرت كتبه الى الافاق بذكر ما فتح الله
للاسلام على يده فاشترك الناس خاصة وعامة في الارتياح
له والانشراح لموقعه والشكر لله على ما اتاح فيه من صنعه ولما راى
جيبال ما تقدّه جزاء عما نقضه من عهده ونكثه من مبرم عقده
وراى وجوه رجاله جزر السيوف القواطع وطعم النسور والخوامع
سقط في يده وفت في عضده ونالت منه الندامة وفاتت عليه البغية
وبقي زمانا مبهوتا على حالة لا يعرف الراى في ظهر ادباره ولا في
وجه اقباله ثم حركته الانفة لاستئناف المناجزة طلبا للثار وطمعا
في الانتصار ففكر ودبر واقبل وادبر ثم عزم فقرر ونادى فحشر وبادر
في مائة الف او يزيدون وبلغ الامير خبره فقابل اقباله بالاستقبال له

المؤمنين على القتال وسار بقلب منشرح وامل منفسح حتى اذا التقت
الخطر بين الفريقين فرع الامير ثنية مشرفة على سواد الكفرة فاذا النمل
منشورا والجراد مبثوثا فراعه منهم ما يروع الذئاب من سوام الغنم
والليوث الجياع من هوامي النعم وحث اولياء الله على الكفرة الغلف
فاجابوا سراعا بقلوب محشوة بالدين مملوة من صدق اليقين وتقدم
اليهم بان يتناوبوا الحملات بينهم في كل حملة خمس مائة غلام بالدبابيس
الخاطمة والقراكنبات الهاشمة حتى اذا ابلوا عذرهم في الجهاد خلفهم
من آخرهم من ينوب منابهم رضا وهضا وطعنا وطحنا فعلوا
ما امر واحدا فاحدا وسنم فلم تزل هذه حالهم حتى استغاث الملاء
من حر الوطيس ووقع حمى الوطيس واختلط المرؤس والرئيس عاد الدبا
وهوا بان يجعلوها حملة تزحزح الاقدام وتقتلع الجيش اللهام
فعندها تداعت الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف واختلف
الضربات فمن واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام وثارت
عجاجة غبراء سترت العيون عن الاشباح ولم تعرف الصفاح من
الرماح ولا الرجال من الابطال ولا الابرار من الفجار ثم انجلت
عن هزيمة الانجاس والارجاس واسلامهم عدتهم وعتادهم واسلحتهم
واذوادهم وفيلتهم وكراعهم وقد غصت البيدا بجيف بني حرج بجد

الحمام وطرح من هول ذلك المقام سنة الله الذين خلوا من قبل و
لن تجد لسنة الله تبديلا ولوث الهند بعد ذلك اذناها على رؤسها
ورضوا بان يسلموا من حر الطلب في اقاصي ديارهم ويتركوا في ثغادهم
ومنابت اشعارهم وصفت تلك النواحي لذلك الامير ودرت عليه
اخلاف الاموال وانجلت له عقد الجبايات وحصل له من جزية
الغنائم وغيرها ما اثار راس من الفيلة الحربية وكثف سواد جيوشه
وذلت له الافغانية والخلج فمن شاء استنار منهم الالاف فجند منهم
واستهان الارواح والنفوس في نصرته والقيام بفرض طاعته و
عند ذلك وجب اغاثة الامير ابو القاسم نوح ابن منصور والي
خراسان واغاثته على جيوش الترك الذين اجلوه عن دار ملكه بخارا
وزحزحوه عن وطنه حتى فرق دهماهم واضطرهم الى الانهزام ورآهم
كوما لم يتبسط له غيره من اولياء تلك الدولة وانشاء تلك النعمة لاجرم
ان الله تعالى جاز له جماله وذكره وقصر عليه سناه وقدره وجعل
كل خبر ستبالا انتساق الملك الى ولده وتوطية لقاء العز في عقبه
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم **ذكر ابتا**
الترك في ولاية الامير ابي القاسم نوح بن منصور وتوسط ملكه
واجلائه عن بيته وخطته فقد كان انتقل الملك اليه سنة خمس وستين

دار ملکه

وثلثمائة واجتمع ولبابه وختمه على بيعته بعد اموال عظيمة اطلت وعشر
بيّنات توقّت حتى تبدّد شمل الاموال التي كان وزراء السامانية
من قبل يكدحون لها ويدأبون لجمعها كابي الفضل البلعمي وابي جعفر
العتبي ومن كان ينتصب نصبهما في الوزارة وتدبير امور المملكة والامارة
وكان ابو الحسن محمد بن ابرهيم بن سيمجور اذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور
فتلطف في الوحي وعقد البيعة له على صغره وحداثة سنه وصوبت
لها الصلات المطلقة لامثال من كان الدولة حيّ لا ابن عركه
وبث بيعته وفوضت الوزارة الى ابي الحسين العتبي فقام على صغر
شبابه بالامر قيام الحدب الشفيق وكفله بمناصحته كفالة المؤيد بالقوة
والتوفيق حتى استقامت بحسن تدبيره الامور وانشرحت الصدور
واشتدت الثغور واستطارت هيبة تلك الدولة شرقا وغربا بعدا
وقربا وكان الامير عضد الدولة وتاج الملة على جلالة قدره ونباهة
ذكره وتمنّع جانبه وخشونة حدّه يتوخى رضاه فيما يحكم عليه به
من المطالب التي تختص بولايته وربما اخذته العزة باللجاج فيذكر
ما وراءه من الادواء المعضلة والامور المستفحلة فيسمح قرونه ويبذل
صعبه وحزونه وحدث احمد الخوارزمي وكان من جملة خاصته ثقة
تجمل رسوم كل عام الى بيت الله الحرام ومجاورته وسكان مدينة الرسول

وتفريقها فيهم ووضعها مواضعها منهم قال دخلت اليه ذات يوم
من خراسان فسألني على رسمه عن حال ذلك الشيخ في سلامته و
استقامة الامور في ضمن كفالته ثم قال هات ما استدعاه و
اعرض ما بدا له وتوخاه فعرضت عليه تذكرة كان سلّمها الي
ما رسم لحمله من ديار العراق وفي جملتها الف ثوب مستعملة مطرّزة
باسم الامير السيد الملك المنصور ولي النعم ابي القاسم نوح بن منصور
مولى امير المؤمنين وخمسمائة مطرّزة بالشيخ الجليل ابي الحسين عبيد الله بن
احمد ومثلها معلمة بالحاجب الجليل ابي العباس فلما تأمل النسخة
دخلته نخوة الملك وملكته حمية العز وطارت به الغضب كل مطار
فالتفت الي في الجواب ان ابن العتبي لو اغتنم سلامة ما يليه وتفرد
بالتدبير فيه لكان اولى به واعود عليه وعلى صاحبه مما يسوّمني
لهذه الاحكام وامثاله غير اني اجعل سواحل جيحون قبل عودك
من وجهك مرابط للجحافل ومراكز للقنا والقنابل فقمت من مكاني
متخاذل القوى خوفا من سطوته وباسه واخذت اجرّ رجلي على الارض
هيبةً وارتياعا الى ان ركبت على الرسم وانصرفت الى المناخ
فلما اذن الارتحال الحجيج اتاني رسوله فبادرت اليه واجتمعت معه
المجلس بين يديه فزادني على المعهود بشرا خصيبا وبرا وترحيبا وقال

قد امرنا في معنى المذكرة ما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستحكام
وخلافا على خلاف وفاقه فتنجز العمل به ليوافق عودك فراغ الصناعة
منه وحصول المراد به قال فاستعملت ذلك كله على الطرز المذكور
وحملتها في صحبتي الى بخارا مشفوعة بما برسم لي تحصيله وتنجزه وقد
اكثر الشعراء من اهل العصر في وصف محاسن الشيخ ابي الحسين العتبي
رحمه الله ولاسيما ابو طالب المأموني فانه سير في مدحه قصايد غير
معدودة منها قوله من قصيدة يمدحه بها **شعر** هذي عزايم عتبي
تفرقها ÷ بين الجماجم والاعناق ان عتبا ÷ ذو همة ملأ عين الارض ان
برزت ÷ من صدره لم تسعها الارض مضطربا ÷ اذا انتضى للندى او
للوغى قلما ÷ اجرى به سحبا او جحفلا لجبا ÷ يثني الصعيد صعادا
والندى نعما ÷ اذا اهل للمعروف او قطبا ÷ وقوله فيه من اخرى
كتايب منصورية ملكية ÷ ابى السيف فيها ان يرى الغمد مغمدا ÷ يؤيدها
عتبي عزم مؤيد بحزم ÷ يخلي حلقة البيض طلعا ÷ اذا امر الشيخ الجليل
سيوفها هوت سجدا في الدارعين وركعا ÷ يعودها وجه الخلافة
ابيضا ÷ بابيض من ابناء عتبة اروعا ÷ ومن ذلك قول اللحام فيه
واعتب الدهر اذ غانيته بفتى ÷ من آل عتبة نفاع وضرار ÷ كالغيث
جاره في كل نائبة ÷ جار الائام في ايام ذي قار ÷ يجري مكارمه

في لا وفي نعم ÷ فالناس في جنة منه وفي نار ÷ ومن ذلك قول ابي
الحسين العلوي الرضي ÷ كانما الدهر تاج وهو درته ÷ والملك
والملك كف وهو خاتمه ÷ والبر والبحر والاعلام اجمعها ÷ والخلق
والفلك الدوار خادمه ÷ وقلد ابو العباس تاش الحجبة الكبرى
فولي امور الكتاب وزعامة الحجاب والسفارة بين اولياء السلطان
وحشمه في نجح حاجاتهم واستطلاق اطماعهم وعشر بيناتهم واستزادة
مراتبهم وولاياتهم حتى تخففت النفوس بمحبته وتعلقت الاهواء به
وفتح ابو الحسين العتبي عليه ابواب الفوايد والاصابات حتى كثر وفره
وظهر امره واشتد بالاستظهار ظهره وكان ابو العباس من جملة قنيان
ابي جعفر العتبي ملك يمينه اهداه الى الامير السديد ابي صالح ايثارا
له بخدمته على نفسه لكيسه وذكائه ورضي شمائله وانجابه فاستنم
ابو الحسين الصنيعة عنده بالرفع منه والتنويه والاشالة بضبعه
وباعه وتدريجه الى المحل الذي توسمه في قوته واضطلاعه وجرت
امور ذلك الكتاب بتعاضدهما على النصايح وترافدهما على ارتيان
المصالح على احسن الوجوه هيبة وجمالا وهيبة وجلالا ونفاذا
للاوامر يمينا وشمالا واستخص ابو الحسين فايق لطول خدمته كان
للامير السديد وخطوته عنده واختصاصه برغايبه واشتراكه في صنايعه

وكان شريكهما في التدبير وصيانة هيبة السرير وأقران الجيش على أبي
الحسين محمد بن إبراهيم سيمجور فتفرد كل منهم بمجامع الملك سداً للثغور
وسياسة للجمهور وحسماً لنواجم الشرور إلى أن بدا تكاشحهما
وجرى بينهما تخرّق وكان من ذلك أمر سجستان وسببه أن خلف بن أحمد
كان استنصر الأمير السديد على طاهر بن الحسين مربّيه وخليفته
على أعمالها بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام وذلك من شهور
سنة أربع وخمسين وثلثمائة لتمكنه كان من الولاية واستظهاره
بالمال والعدّة واستمالته قلوب الأجناد والرعايا من أهل تلك
الخطة فأحسن نصرته ومعونته وكفاه كلفته ومؤونته وأمده بمن
استمدهم من كماة الجيوش لرده إلى بيته وتقرير مملكته في يده فانحاز
طاهر حين أحسّ بالمدد وكثرة العدد إلى إسفزار حتى تخلف قواده
ووضع عنه إصاره وصرف عن ظهر الاستغناء أعوانه وأنصاره ثم كرّ عليه
كرّة أجلته عن داره وطرحته إلى باذغيس فمن نادى بشعاره فعاد
حضرت الأمير السديد مستصرخاً إياه وضارعاً إلى عونه فيما دهاه
فأحسن لقياه وأكرم مثواه وأعاد تقويته وإنجاده وكثّف بالخيول
سواده وردّه بهم إلى سجستان فوافق وصوله إليها مضيّ طاهر لسبيله
وانتصاب ابنه الحسين منصبه ووراثته في الخلاف مذهبه فحاصر

خلف فيها مناصباً له الحرب غادياً ورائحاً حتى كثر القتلى بين الفريقين
وطال الشدّ والانتصاف على أصحاب الحسين فعندها كتب إلى بخارا مستصلحاً
عن سمة الخلاف ومتلطفاً للاستقالة والاستعطاف ومظهراً التطلّع
في وفادة الحضرة ومباشرة تراب الخدمة تفادياً من ضيق الخناق
وفكاكاً من شدة الإرهاق فأحسن ذلك الأمير إجابته وقابل بالقبول
إنابته وسهّل إلى ورود الحضرة سبيله وحفّه بالإحسان والإفضال
تأميله واستقرت أمور سجستان على خلف بن أحمد فطالت عليها أيامه
وطارت فيها أوامره وأحكامه وانبسطت بالتزيّد وباعه وتموّجت بكثرة
الأموال رباعه وقلاعه وانقطعت عن بخارا مواد خدمته وطاعته
لعنائه بمال مواضعته ومقابلته حق الاصطناع بواجبه وانضاف
إلى ذلك استهانته بالأوامر الصادرة إليه في حثه على رشده
ودعائه إلى ما يجمع صلاح يومه وغده فجرّد عند ذلك الحسين بن طاهر
لمناهضته في جمرات خراسان ومشاهير رجالها ومساعير أبطالها
فحصره في قلعة أرك ودارت عليه الحرب زماناً طويلاً فلم يغن
فتيلاً ولم يجدا إلى الافتتاح سبيلاً وجعل أبو الحسين العتبي يزيده
عدداً على عدد وصفداً إلى صفد وكان من جملة القوّاد بها كتاش
وبكتاش وإخوة الحسن بن مالك وأضرابهم من أبناء تلك الدولة

ووجوه أكنافها ورجوم سمائها فطال هناك ثواؤهم وقصر عن نيل
غناؤهم لمناعة الحصار وحصانة سوره وشدة أغلاقه وسدوده
وإعياء الخندق المحيط به على الفارس أن يعبره ركضا وعلى الراجل
أن يقطعه خوضا ولإرصاد خلف أناهم يفتنون الحيل التي يعلل استنباطها
بالظن والحسبان إيهاما للثبات واطلاعا من مأمون الجهات وقذفا
بجرار الأفاعي عن أفواه المجانيق والعرادات حتى يضطروا بذلك
إلى الارتحال والتنقل في المضارب والمحال فبقوا هناك قرابة سبع
على هذه الجملة حتى فنيت الرجال ونزفت الأموال وذهبت الجرايب
وعطبت المطايا والركائب فكانت هذه من أوائل الوهن على تلك الدولة
ومن هناك وهي العقد وانبثق الكيس وتزايد الفتق واتسع الخرق
ولكل أمر أمد ولكل أمة أجل ولكل ولاية نهاية يمحو الله ما يشاء
ويثبت وعنده أم الكتاب وتذاكر أركان تلك الدولة فيما بين هذه
الحالة لزوم صاحب الجيش أبي الحسين مكانه من نيسابور وكلا على
صاحبه لا يناهض خصما ولا يفتح سدا ولا يحسن ردا ولا يغمس في
مصالح الدولة يدا وتناصلوا بينهم ما كان الأمير السديد يصطنعه
عليه لا لرزانة بالمكان وجودة عن نصرة السلطان وتواراهم
على صرفه والاستبدال به وكتابته في الصرف وقلدوا أبا العباس

تاش ما كان يليه من الأمر ولما ورد الرسول عليه وأدى ما حمله
على رؤوس الأشهاد إليه أبت عليه الحمية خطة الهوان ولقنته
الأنفة كلمة العصيان وطارت نعرة الخلاف في رأسه فادعى الأمر
لنفسه اتكالا على فرط قوته وبأسه واغترارا بأولاده وأعضاده و
استظهارا بجيوشه وأجناده ثم بيت التدبير وخمر الرأي والتفكير
فلم يرض بأن يتناقل الألسنة ذكر استعصائه على شيوخه في الدولة
وتناهي مدته في الخدمة وتصور ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب التي
تسلب النفوس جمامها والعيون منامها والأموال المذخورة نظامها
إلى ما فيه من التعرض لمكروه النوائب والتحكك بمحذور العواقب
فرأى أن قبول الضيم على السلامة من لواحق الآفات أقرب إلى الصواب
وأبعد من المعاب ثم دعا الرسول واستقال له عثرة ما قاله وعرض صدق
الطاعة مشفوعا بفرط الخشوع والضراعة وقال إنما أنا نبعة غرسها
السلطان بيده وسقاها بماء كرمه فله المشيئة في استبقائها للإثمار
واقتلاعها وإلقائها على النار وصرفه على جملة الطاعة ولين المقادة
والبدار إلى حيث يحلى إليه من ديار المملكة وتلطف لتسكين من كان
يقبل في ذروته من بنيه وأولاده بتنويله وإغوائه فعل من استشف
أستار المغايب وأنفق عمره في ممارسة التجارب ونهض إلى قهستان

منظر المآب فانف به امره وتفرد عليه تدبيره الى ان رمى به في نحر
خلف بن احمد لاعضال دائه وتحيير العساكر طول اثامها بفنائه فبا
الى سجستان وبينه وبين خلف مودة واسباب على الايام موكدة
فانفتح الرأي عليه بالنزول للحسين بن طاهر عن متحصنه والانتقال
الى غيره من معاقله ليتنسب هو ومن كان من قبل محمد من اولياء تلك
الدولة الى الانصراف عن جنابه بعلة الانفتاح وظاهر النجاح فاذا
خلا وجهه له ثنى العنان اليه مستصفاته وممضيا حكمه فيه فقبل
مشورته وفارق ارك الى حصار الطاق حتى دخلها ابو الحسين ابن سيمجور
وصلى الجمعة بها مقيما رسم الخطبة للامير الرضى وطالعه بذكر ما فتح الله
على يده وسناه من رتاج ذلك الامر بجده وجهده ورتب الحسين بن طاهر
بها اميرا وقرد اعمالها عليه تقريرا وانصرف هو ورائه وسنورد
ما جرى في امره من بعد في موضع مثله **ذكر حسام الدولة ابي العباس**
تاش الحاجب وانتقال الملك الى ابنه ثم سير ابو العباس تاش
من بخارا الى نيسابور على قيادة الجيوش وزعامة العساكر وتدبير
القاصي والداني من امور الممالك ووصل جناحه بفائق الخاصة
ونصر ابن طز الشرابي وبكتوزون على فخامة اخطارهم وجلالة اقدارهم
وسير تحت رايته اعيان الاولياء والحشم بعد ان ازيحت علته

حال قابوس و فخر الدولة

فيما شاء واقترح من الاموال والاسلحة والعتاد والعدة وورد ها
سنة احدى وسبعين وثلثمائة في آلة راعت الابصار وهيبة
اعجبت النظار وجيوش شحنت الجوانب والاقطار ودبر الامور منهم
ونظم المنثور بفرط حزامته وتألف الجمهور بوفور سياسته وزعامته
ووافق تلك الايام انقطاع شمس المعالي قابوس بن وشمكير و
فخر الدولة ابي الحسن علي بن بويه الى نيسابور عن حرب جرت بين مؤيد
الدولة وبينهما وسببها ان عضد الدولة ابا شجاع كان فصل فخر الدولة
وهو اخوه لاجلائه عن ولايته التي كان ابوه ركن الدولة اوصى له
بها وعقد الوثيقة على كل منهما على الجملة التي اشار اليها ابو اسحق
الصابي في كتابه المعروف بالتاجي ودس الى اهل عسكره من استمالهم
عنه واغراهم به فلما ناهضه وهو اذ ذاك بهمذان وتدانت الخطى
بينهما خف معظم جيوشه الى عضد الدولة مستأمنين وولوه اعقاب
العدد هاربين فلما انس خذلانهم اياه وكفرانهم نعماه وبالامس
ما راى ابن عمه بختيار وكيف قطع رحمه واريق دمه خالفهم الى طريق الديلم
هائما على وجهه وناجيا بحشاشة نفسه ومتقيا بركوب شعابها المضطرب
واجابها الانشبة ماخاذه من مس الطلب وركض الاكراد والعرب
وتوغل تلك البلاد طاويا مسافتها الى جرجان حتى الم بشمس المعالي

41

قابوس بن وشمكير لاجئا اليه ومستأمنا اياه فآمنه وآواه ووعده
لذراه واعطاه فوق ما تمناه واشركه فيما ملكت يداه حتى انه جعل
الملك وهو العلق الذي طال ما ضنت النفوس بابتذاله وقاية
لدونه من هم باعباء الوسع في استنفاد حاله دونه وبيان ذلك ان عضد
الدولة ومؤيدها ارسلا اليه يكردانه على شرط اموال تحمل اليه
وولايات عريضة تضاف الى ما في يديه وعلى مواثيق يستانف في الثقة
على الصفا والتعاون في حالتي السراء والضراء فرجع اليهما ان الرجا
رحم والوفا كرم وان للامان عنده حرمة لا يرى اخفارها في دين المروة
وشرط الحفاظ والفتوة وعاره لو هم به او كاد ان تابى عليه بيض المواضي
وزرق الاسنة والعوالي فاحفظهما هذا الجواب وحرضهما على بكا
وانتزاع مملكته من يده وكتب ابو شجاع عضد الدولة الى اخيه يمنا
بعد ان امده بما فوق الحاجة من بهم الرجال ونفائس الاموال فبرز
من الري متوجها نحو جرجان في جيوش الديلم والترك والعرب وسار الى
استراباد متغلبا على ما يرد من بلاد طبرستان الى ان اناخ بها وكان
شمس المعالي قابوس بادره اليها وجمع عسكره بها فلما تلاقيا تناوشا
القتال من لدن طلوع الشمس الى الزوال حتى احمر بساط الارض من
دماء الابطال ثم انجهت على عسكر الجيل كشفة اعياهم ضبطها الزوال

42

الاقدام عن المقام فتفرقت جموعهم في خمر الغياض والآجام وعطف
شمس المعالي الى بعض قلاعه المشحونة بذخائر امواله واستظهر عنها
بالاهبة للغربة وسار نحو نيسابور فلما ورد ها لحق به فخر الدولة
من طريق استوا فالتقيا هناك واجتمع اليهما من فرقهم الكشفة
في الطرق المختلفة من طبقات الرجال وكتب الى ابي القاسم نوح ابن منصور
والى خراسان بحالهما في قصد دولته وتاميل الانتعاش بعزته ونصرته
وافتكاك ما غصبا عليه من الولايات بعز دعوته فورد عليهما
من الجواب الضامن الى دبادهما للايجاب ما شرح صدورهما وشد
بالنجح القريب ظهورهما وكتب الى ابي العباس تاش باجلال محلهما
واكبار قدرهما واكرام جوارهما وتقديم الاحتشاد لردهما الى ديارهما
ففعل ما رسم وتلقى بالامتثال ما حتم وعطفت اليه الخيول من كل وجه
حتى استظهر نخب الرجال وعزم على الارتحال ونهض من نيسابور قاصدا
قصد جرجان اذ كان مؤيد الدولة بويه بها لينتزع ولاية الامير شمس
المعالي قابوس اولا من يده ثم يتفرغ من التدبير فيه الى غيره وعن
له ان يبرح فائقا على سمت قومس والري ليقطع الامداد والمواد
ويلتبس اخبار تلك الديار عليه فيزيده شغل القلب بتوجه الجيوش اليه
من وجهين واخذاقهم به من جانبين فنهض على السمت بداله فيما دبر

ورأى ان التحزب للاستظهار على الوجه الواحد اصوب ومن الحزم
والاحتياط اقرب فاستمده من وجهه الى ذوداد فاجتمعا على الظاهر
وانفضا دانهم على الثنايا بروسا رحتام الدولة تاش في تلك الثنايا
الى باب جرجان وفيهم شمس المعالى وفخر الدولة حتى اناخوا بظاهرها
وتحصن مؤيد الدولة بويه بها واحتجز بخندق حفره وخندق عوده وبروج
للبلد حصنها ودروب محفوظة الرجال شحنها فقادهم الحرب حتى غبر
شهران كيوم واحد في مداومة الكفاح وملازمة السلاح وضاق الطعام
في ربض جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم الذى يحفظ على الثبات قوتهم
فكانوا يرتوون من نخالة الشعير المعجونة بالطين وعهدى بهم يلبسون
كتبهم الى اهاليهم بالرواشاه الغرائب فيها اظهار الشكوى الحال
والهزال فكانت كافراص المذاد في الشواء ونحن الفريقان بعضهم
الى البعض وكان فخر الدولة على الميسرة مقابلا لعلى بن كامة صاحب
جيش مؤيد الدولة فاظهر الغناء واحسن البلاء وحمل عليه حملة زحزحته
عن مقامه كليما وطرحه الى استراباذ هزيما ولو اعين عنه في الحال
لفسح ضيق المجال وجعلها اخرة القتال لكن القوم ناقوه فخذلوه
لاجرم ان كوكبة من كتايب الديلم عطفت على من ثنا على النهب والاغتنام
من اوباش الخراسانية فطبقوا عليهم حبالة الاسر ثم عرضوا عن خرمهم

على السيف وورد بعد ذلك على ابى العباس تاش ابو سعيد الشبى
فى رجال من جنود خوارزم وقاد الضرام وابناء الشهامة والسهام
واقحم الحرب بهم فلم تضعوا ابالهم الا غيثا في الاشداق ومواضع
الثغر والاحداق وافشوا العور والقتل والعوز في الديلم يومهم
ذلك ولم تزل نقوم الحرب بينهم على ساقها ظاهرة ورغبا فينتصف البعض
فيها من البعض وكان ابو الفضل الهروى المنجم اشار على مؤيد
الدولة بمصابرتهم الى ان يبلغ المريخ درجة الهبوط فيجعلها واحد
عليهم نحسا او محقا فاستر ذلك في نفسه واستعد لوقته فلما كان
يوم الاربعاء من شهر رمضان سنة احدى وسبعين وثلثمائة ثار بنفسه
وعسكره وعبا كراديسه على اختلاف اجناسهم وكان اهل خراسان
يظنون ان حربهم تلك عارض ينقشع عن قريب على الرسم في شلها
فلما راوها غابا تكاد باوتشاهدوها غرابا لاتنابا اخلوا اعليها
مفطرين فاذا الامر جد والخطب اد والحديد والباس شديد
وبروز الديلم من وراء الخنادق الى المرج حين جهد البلاء وضاق
البوس واللاوا فاستعرت وقدة الحرب ودارت رحى الطعن والضرب
وتحدث الناس بان مؤيد الدولة قد حنث ايمانا واضرابه بمال حمله
اليهم سرا واطمعهم في امثالها حيلة ومكرا فقطاهم على الثنايا اهل

فى الحرب لليوم الموقوت والاجل المضروب فلما حمل عسكر الديلم نعتهم
ولكوا اولئك ادبارهم نفورا وثبت حسام الدولة تاش وفخر الدولة
فى القلب يتضاربان بالسيوف والقراتكينيات ويردان الحملات
المتدارك بصدق الثبات الى ان الفت ذكاء عينها فى
كافر وقد انهزمت الجيوش وتفرقت تلك الجموع فحذره فخر الدولة فضل
المقام لتكاثر الاقبال من كل وجه عليه وتوجه الاطماع من كل اوب
اليه فانقلب لذلك بريد المعسكر فساخت قوائم الفيل الذى كان
حصن القلب به فى بعض تلك المخاضات واعجله حر الامر عن التوقف
لازعاجه واخراجه فتركه على حاله ونجا براسه وترك المعسكر شاغرا بما
فيه من الاموال المعدة والاسلحة المنضدة والغلمان الحصادية
والغلات المجموعة ومضى على حاله الى ان عاود نيشابور فدخلها
ليلا وكتب الى بخارا بخبر الوقعة وما حدث من الرجعة فعاد الجواب
بتقوية الامال وبتنمية الرجال وهيئة الامداد والاموال وطيرت
الصاحب كتبه فى الاطراف ناطقة بذكر الفتح على ما نطق به رسائله
وانشدنى الشاعر العجلى لنفسه فى موقع الدولة من قصيدة **شعر**

ما هاك غيرك فى هيجاء ملحمة ... مذكورة ال سامان وساما نا
فاكتب لمن ببخارا امنه فلقد ... غادرته عند نوم الناس يقظانا
والعجلى

هذا مطبوع الشعر مسبوك النقد سديد البديهة شديد العارضة
فانقطع الى شمس المعالى بجرجان فى آخر ايامه فعرض فى جملة خاصته
الى ان قضى نحبه ثم شعره من قصيدة فيه قوله **قصيدة** شمسان تذكر
لجزرها ... وللموثقة النقصان ملتزم
ازدى بتلك سنا من غير معرفة ... فيها وزين هذا العلم والكرم
يا ايها الملك الميمون طائره ... وخير من فى الورى يمشى به القدم
لو كنت من قبل نزغا نا وتكفنا ... لما هدى الينا الشيب والهرم
ووصف ابو الحسن الجوهرى المقبل المعقوض عليه فى الهجاء اللاذع بقصيدة اولها
قل للوزير وقد ... تبدى يستعرض الكرم المعدا
افنيت اسباب العلى ... حتى ابيت ان تستجدا
لو مس راحتك السحاب ... لامطرت كرما ومجدا
لو ترض بالخيل التى ... شدت الى العليا شدا
وصرائم الراى التى ... كانت على الاعداء جندا
حتى دعوت الى العدى ... من لا يلام اذا تعدى
متغضبا العلوج ... وفطنا اعيت معدا
متعسفا طرق العوالى ... حيث لا يلتان قصدا
فيلا كرضوى حين يلبس ... من رقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت ... اكنافها برقا ورعدا
راس كقلة شاهق ... كسيت من الجلد جلدا
فتراه من فرط الدلال ... مصعرا للناس خدا
يزهى بخرطوم كمثل ... الصولجان يرد ردا
متمددا كالافعوان ... تمده لو مضا

من ركان الغيم بردا
كانها بركاو رعدا
مثل الغمامة ملتف
كسبت من الجلالة جلا
راس كقلة شاهق
قرناه مثل طالالال
مضعفر الشاس
تهوى خرطوم كمثل

الصولجان بدرد دا
متلددا كالافعوان
على الرمضاء ملا
او كرز افصة لتشربه
الى الندمان وجدا
او كالمصلب شاخصا
الى جذع بن شدا
وكانه بوق تحركه
لينفخ فيه جدا
ليطو بنا رتع لحن
تهد مان الصخر هذا

نَدًا او كرِزٍ افصة لتشربه الى الندمان وجدًا او كالمصلب شُدَّ
جناه الى جذع بن شدًا وكانه بوق تحركه لينفخ فيه جدًا ليطو
بنا رتع لحن تخطان الصخر هذا اذ ناه مروحتان اسندتا الى
الفودين عقدا عيناه غائرتان ضيقتا تجمع الضوء عمدا فكأن كفوهة
الخليج تلوك طول الدهر حقدا تلقاه عن بعد فحسبه عماما قد تبدا
متنا كبنيان الخورنق ما يلاقي الدهر كدا ردفا ككدر عنبر
متمايل الاوراك نهدا ذنبا كمثل السوط يضرب حوله سا فاو يدا
يحطو على امثال اعمدة الخباء اذا تصدى اومثل امثال نضدن
من الصخور الصم نضدا متوردا حوض المنية حيث لا يشتاق وردا
متملكا فكأنه متطلب ما لا يؤدى متلفعا بالكبرياء كانه ملك مفدى
ادنا الى الشيء البعيد ترادمين وهم واهدى اذكى من الانسان حتى
لو راى خللا لسدى لو انه ذو لهجة في كتاب الله سردا عقبه ارض
الهند حتى حل من زهو هديا قل للوزير عبيدت حتى تداناك الفيل
عبدًا سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا لو مر اعطاف
النجوم جرين في البرج سعدا او سار في افق السماء لابتت زهرا
وودا يا ايها الملك الذي احيى واعلم كيف يحدى ما يا لك عبدك
لا يرى لنا خوا الشريف جدا برد الزمان ولبسه مما يلاقي ثياب

اذ ناه مروحتان اسند
تا الى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضيقتا
تجمع الضوء عمدا
فكأن كفوهة الخليج
تلوك طول الدهر حقدا
تلقاه عن بعد فحسبه
عماما قد تبدا
متنا كبنيان الخورنق
ما يلاقي الدهر كدا

ردفا ككدر عنبر
متمايل الاوراك نهدا
ذنبا كمثل السوط يضرب
حوله سا فاو يدا
يحطو على امثال اعمدة
الخباء اذا تصدى
او مثل امثال نضدن
من الصخور الصم نضدا

فقد صدعني بكم الالاخاشا ان تصدا وهربا بهر جرجان الذي
جرت تلك الحروب على سواحله وهو يتلوى في ارض جرجان تلوى
الحيات كثيرة الاوراد والعطفات ومنابع عيونه جبال دينار
زاديه تنصب العيون منها الى العين حتى تملا النهر وتدهده الصخر
ثم وواصل ابو الحسين العتبي كتبه الى ولاة الاطراف بخراسان
في استنهاضهم واستنفادهم ليتحدر بهم الى مرو ويجمع بينهم
بها ثم يقبل بهم وبمن يستجيشه من رجالات خراسان على دفع ذلك
الخرق ورتق ذلك الفتق ومحو سمة العجز واستعادة رونق الملك
واقبل يستعد للامر الى بثا بود بجهده وتواصل الكتب بجميل وعده
وخلع الرضي عليه خلعة جمع له بها بين تدبير الاقلام والقواضب
واضافه الى رتبة الكتاب زي ارباب الكتائب فكانت خلعته
خالعة لروحه قاطعة لعمره خاتمة لامره وذلك لان ابا الحسين ابن سيمجور
كان يشكوا الى فائق ما دهاه من قصده اياه حين عزله عما كان يليه
به وكاده في نفسه وذويه ولم ينفك يرصده بالغوائل ويطلبه بوجوه
الاوتار والطوائل الى ان اشار فائق عليه بطائفة من الغلمان
السلاجقة كانوا رؤس اضرابهم في السفه والشغب والتحكم في المطالب
بفرط القوة والغلب فدس اليهم من اغراهم به بسفانج تنجزها اليهم

حتى توامروا بينهم على قتله واجمعوا على الفتك به مغتنمين خلوا بجا
عمن يحمي له او يحامي عليه واحس ابو الحسين ببادرة من الامر واشفق
على نفسه مما استطار من شرر الشر فشكا الى الامير الرضي صورة الحال
وما ارصد به من الاغتيال فبعث اليه بعدة من قواده لمرافقته الى
الدار اجارة له مما كان يخشاه وصيانة لروحه عما يحاماه فتسامع
طائفة من المشتركين في التدبير عليه بخبره فطاروا باجنحة الركض
على اثره ووضعوا فيه السيوف والدبابيس حتى اثخنوه ضربا وحطما
وقصما واشفق من كان في مسايرته على انفسهم فخذلوه واهملوه فكان
كما قيل كليه وجريه ضباع وابشري ❊ بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره
وترك على الشارع صريعا يمج دما نجيعا وعندهم انه قتيل وان ليس للحيوة
اليه سبيل ونقل كما هو الى باغ قريب من مصرعه ليراعى ما يحدث من امره
في غده فلما غشيه موج الظلام وهب عليه رخاء السحر انّ انة سمعها
الباغبان فبادر اليه فاذا به رمق قلق ونفس مختنق فسعى الى دار السلطان
مخبرا بثبات حسه واضطرابه على نفسه حتى امر به فنقل الى المهندز
الزم الاطباء المثابرة عليه طمعا في انعاشه فاستصعب داؤه على
الدواء ونزل به نازل القضاء وقضى الله على عمره بالانقضاء فصل سبيله
عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر عديم المثل في سعة الرحل

فقيد النظير في الفضل الغزير لم ير في كتب الاولين ان احدا من الوزراء
اتسعت همته لمشاطرته على مروته ومنازعته فضل افضاله وفتوته
سماحة كالغيث يقذف بالوبل او الريح تعصف بالرمل وسياسة
خفت لها جادب الليل وغصت بها مشاعب السيل وانشد في
ابو جعفر الخافي لنفسه فيه يرثيه ❊ لهفي عليك ابا الحسين عيننا
رمتك بكل عين ❊ جرعتني غصص الجوى ❊ وارتني يوم الحسين ❊
ولبعضهم فيه وقد زاده في جماعة من اصدقائه ❊ مر على قبرك اخوانكا
وكلهم قد هاله شانكا ❊ فلم يزيدوك على قولهم ❊ عز على العليا فقدانكا
وقد كان شمس المعالي وفخر الدولة وحسام الدولة بنيسابور على
انتظار معونته واستفاضة ما اسفر لهم من عدته فحدثني ابو نصر
العتبي خالي رحمه الله وكان على البريد بنيسابور قال دعاني ابو العباس
تاش اخر يوم فلما وصلت اليه وجدت الثلثة يتناضلون بينهم
الاراء في معاودة الحرب واستيناف معالجة الخطب فخلطوني بانفسهم
فيما تداولوه وسالوني ان انهي الى ذلك الشيخ صدق انتظارهم
لمعونته واستعدادهم للبدار الى امره واقبل علي شمس المعالي من بينهم
فقال اكتب الى ذلك الصدر بان الحروب لم تزل بين الرجال سجالا
وانها تستصعب مرة وتصحب اخرى والحازم من يستفتح بالجد باب

لسبيه الوعد

بقوله

النجح والظفر والعاجز من يتلف بين العجز والضجر واضرب له ابيات
المتنبي مثلاً شعر يرى الجبناء ان العجز حزم ⁂ وتلك خديعة الطبع اللئيم
اذا ما كنت في امر مروم ⁂ فلا تقنع بما دون النجوم ⁂ فطعم الموت
في امر حقير ⁂ كطعم الموت في امر عظيم ⁂ قال فاستذلت بوشمذ
على فضله وورد عليهم بعقب ذلك نعي ابو الحسين فاوسعهم وجوما
ونثر عليهم ما كان من التدبير منظوما وورد على ابي العباس تاش
كتاب السلطان في استعادته الى الباب لتدارك ما اختل وتلافي
ما انحل واعتل فاغتنم البدار وسار حتى ورد بخارا فدبّر ملك الامر
ونظم المنثور وتتبع الجناة على ابي الحسين حتى ظفر بهم فطبقهم بالقتل
والتدمير وعمّهم بالنفي والتسيير واستوزر ابو الحسين المزني فعجل
بالتدبير وحل في التقديم والتاخير لتهافت الاعمال واستبداد
اخوين عليه بالايراد والاصدار وقد كان ابو الحسين ابن سيمجور
انكفا عن سجستان الى خراسان من غير امر صدر اليه استشرافا
لنجوم الفتن وانتقاض الاعمال بتراجع العسكر عن باب جرجان وتوقعا
لنفاق سوق فيما بينهما فكتب اليه ابو الحسن مقبحا اليه فعله وناعيا
عليه عقله وسامه ان يعدل الى قهستان متدرعا وعن ملابسة الاعمال
متورعا وان يسلم ابناء الدولة الذين هم في جملته وتحت رايته الى

ابنه ابي علي على ان يغادر سجستان فيكفي امرها ويلم شعثها ويرأب
صدعها وجعل باذغيس وكنج رستاق برسمه على ان يزاد في توليته
وحباءه متى عرف في الطاعة صدق نيته وغناءه ولما استقر ابو العباس
تاش ببخارا اغتنم ابو علي خلو خراسان عنه وعن المناضلين دونه
فراسل فائقا بزيده على مخالفته والجهار بمنابذته وترك الرضا بر غامه
فوجده سمح القياد الى المراد طوع الزمام الى العناد واجتمعا بنيسابور
على توكيد العقود وامرار المواثيق والعهود وبدا ابو علي بمصادرة
عمال ابو العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت ايديهم
من امواله وارتفاعات اعماله ثم نهضا الى مرو سدا دون الولايات
وحجابا دون الاموال والارتفاعات حتى اضطر تاش الى مناهضتهما
وكفاية ما اهم من امرهما ومداواة ما استفحل من شرهما واستفتح
الخزائن عن ذخائر الاموال ونفائس الاسلحة والاثقال فبرز من بخارا
الى امل الشط فخيم على طرف الرمل وترددت السفراء فيما بين الفريقين
على حفظ نظام الالفة واستبقاء جمال الدولة واخماد جمرات الفتنة
فوقع الاتفاق على ان يكون نيسابور لتاش وبلخ لفائق وهراة لابي
علي وتفرق كل منهم على راس عمله وللخوارزمي في ابي علي وقد جعل هراة
شعر هنئت يا امير هراة اذ قيل ⁂ علا ان تهنا عن هراها ⁂ وكيف

والاقبال

نهى بالامير همه اذ دقا
على ان يهتى عن هواها
وكيف تهتى الدنيا جميعا
بناحية من الدنيا حواها

هنا الدنيا جميعا بناحية من الدنيا احتواها ✽ وانحدر ابو العباس
تاش الى مرو وقد كان قبل فصوله من بخارا توصل الى عزل المزني عن
الوزارة بابي محمد عبد الرحمن الفارسي المتولي لامور كدخدائية لما تبينه
من ميله الى ابي علي وفايق وادهانه في امرهما فلما استقر هو بمرو صرف
عبد الرحمن بعبد الله ابن عزيز وهو المعروف بعنت العتبة ومشاحنتهم
ونصب العداوة لهم وخرق الاُرَم كيادا عليهم فيد ابصرف ابي العباس تاش
عن قيادة الجيوش ونقلها الى ابي الحسين ابن سيمجور مضادة لابي
العتبي في تدبيره وتداركا بزعمه لما وهى من اصل تقديمه وتاخيره وامر
بالكتاب اليه عن السلطان في نقل العمل عنه وتفويضه كور نيشابور
منه والايعاز اليه بالامداد اليهما والاقناع بهما وحذف عنه خطاب
الزعامة واقتصر على ما كان موسوما به من الحجابة فلما وصل الكتاب اليه
احس بامارة الشرود لالة الخلل والخبر وعلم ان ذلك فاتحة الخطب
والمشقى منه والوضع من قدره والثلم في جاهه ومحله واستحضر وجوه القواد
واعيان الحشم والاجناد وعرض عليهم الكتاب وعرفهم دابه ودابه
في طاعة سلطانه ومناصحته والاخلاص لدولته والذب عن حوزته
والشكر لما وسعه قديما وحديثا من نعمته واقبالة مدة مصاحبتهم
اياه عليهم بحسن رعايته فوق زعامته وابانه نيابة عنهم في بحر

اوطادهم وتزيين مساعيهم واثارهم ومواساته لهم بما انبعث بلده
من خاص ماله وخاص ملكه وانه يومه ذلك في نفسه ومهجته مقصور
عن باب مالكه وولي نعمته مردود ولا منع من جهته لاحد منهم عن رايه
واختياره في معاودة بخارا واللحاق باي جانب شاء فليخير كل واحد منهم
ما احب غير منازع في قصده ولا مدافع عن وجهه فاستمهلوه ريثما
يتعلمون عن ورائهم من اهل العسكر صورة الحال ويعرفون ما عندهم
من الراي في المقام او الارتحال وجمعوا بعد ذلك دفعات متباعدة
مرة في الاخبار ومتقاربين اخرى الى ان اتفقت كلمتهم على موافقته
وترك مفارقته والاذعان لرياسته وموافقته على ما يلقاهم الزمان
به من سلم وحرب وذلول وصعب وسهل وحزن وسرور وحزن وخوف وامن
وكاتبوا الى بخارا سائلين رد الزعامة عليه رعاية لحقوق خدمتهم وتحكيما
للكرم في تحقيق مسئلتهم واستبقاء لوجوههم باطاعتهم فابى ابن عزيز
ان يقع لهم نجاح ويتم بين اولياء الدولة صلاح وكتب اليهم يمنيهم
الزور ويريهم الغرور سرابا بقيعة يحسبه الظمان ماء اذا جاءه لم يجده
شيئا وسامهم معاودة الحضرة تطميعا لهم وتنفيقا للنفاق عليهم
فلما عرفوا صورة الجواب ازدادوا بصيرة في طاعة ابي العباس تاش
ونفاذا في خدمته وتصرفا بتصاريفه وخضوعا له في وجوه تكاليفه

ذكر انقلاب فخر الدوله الى ولايته وماجرى بعد ذلك بينه وبين
حسام الدولة ابى العباس تاش من المكاتبه والتعاون الى اخر عمره

اتفق بعد معاودة ابى العباس تاش بخارا ان قضى مؤيد الدولة نحبه ولقى
ربه وقبل انقضاء الحرب التى كانت بينهما ادهاه الخبر بوفاة عضد الدولة
اخيه فتماسك عن اظهار المصاب اناة بالخطب الذى كان امامه
يكفيه بحفيظة المرة ويقضيه بعزيمة المستمرة وتشاور اولياء تلك
الدولة فيمن ينصب منصبه ويسد فى الرياسة مسده فاشار الصاحب
اسمعيل ابن عباد الى فخر الدولة اذ لم يكن فى ذلك البيت احق بالامارة
واتم استقلالا باعباء الرياسة والسياسة سنا وكفاية منه فطيروا
البريد اليه فى ابتدار الى ما اوديه الله من عقيلة الملك وذخيرة الملك
عفوا صفوا لامنة لاحد عليه بها ولا حق لانسان شكره واستخلفوا
اباالعباس خسره فيروز ابن ركن الدولة على ضم المنتشر وتقويم المتاود
الى ان يلحق بهم فيتولى بنفسه ما يليه ويتولى عنه بحرمانته برايه و
وبادر فخر الدولة من نيسابور الى جرجان تطاير البرق بين جناحى الافق
فاستقبله العسكر خاضعين طايعين وعلى المماللات والموالاة متبايعين
وتبوأ مقعده من سرير الملك وارثا ما اوصى به له ابوه وسايرما كان بيد
اخوه كذلك يؤتى الله الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو الفعال لما يريد ولقد

احسن ابو بكر الخوارزمى بقوله فى قصيدة يرثى بها مؤيد الدولة ويعزى
ويهنى فخر الدولة شعر وقولا لفخر الدولة الملك الذى يسير العلى فى
طرفه حيث يسرى ذبيت اخا الوجه المجد بى اخ من الناس طرا ما عداه
وما استثنى وقد جاءت الدنيا اليك كما ترى طفيلية قد جاوبت
قبل ان تدعى طبت بك عشقا وهى معشوقة الورى فقد اصبحت فينا
وعهدك بها البلى ولما رات خطابها فى كثيرهم فلم لا زوجها الاول
الاولى ولم تتناهل فى الكبى ولم تقل رضيت اذا ما لم يكن ابل
على انها كانت جفتك تدللا فخليتها حتى اتت تطلب الرجعى وانشدت
لابى الفرج ابن ميسرة ابياتا من قصيدة يرثى بها عضد الدولة شعر فلو قبل
الفدى لكان يفدى وان جل المصاب عن التفادى ولكن المنون لها
عيون تكد لحاظها فى الانتقاد فقل للدهر انت اصبت فالبس بزعمك
دوننا ثوب الحداد اذا اقدمت خاتمة الرزايا فقد عرضت سوقك للكساد
وكتب الى ابى العباس تاش يذكر ما اصاره الله اليه واعلمه بيده وان
ذلك كله موقوف على احكام مشاركته ومصروف الى اقسام ارادته
وانه لم يرخ للاستجابة ايام النافرة واعتابه ولله الغائبه ارتياحه
لما يمكن من معاضدته على مصالح احواله ومرافقته على مناهج اماله
شكرا لما كان مهده من مقامه قبله وقدمه من جهده فى انشاد الحرية و

النجح وافاجابه عنه مهنيا بما اتاه الله من كريم صنعه وذخر اليه من هنى
ملكه وشاكرا له ما اوجبه وذامّه وشاكيا اليه ما رهقه ودهاه فكتب
اليه بانه سيمده فيما يليه وقيمه على ما يجويه وان امره ممتثل في كل ما
يرومه ويبتغيه فلبث امره على ما اتفق عليه اقتراحه منتظرا لما يقتضيه
شركة المفاوضة من التسمح بالملك والمال وتشريب الرجال في اعقاب
الرجال وكان قد انهض ابا سعيد الشبيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين
الى فائق فخر الدولة رسولا فصرفه في العاجل بعدد من المال وزهاء
الف فارس من سرعان العرب والاتراك فورد نيسابور وانضم اليه
ابو محمد عبد الله ابن عبد الرزاق موالياً لابي العباس تاش على ابي
الحسين ابن سيمجور فاجتمعا على التعاضد واتفقا على التكانف
والترافد وانحدر تاش الى نيسابور فسبقه اليها ابو الحسين وانحاز
اليهما المقيمون بها انتظارا لوصوله في سواد خيوله ولحق بهم فصارت
الايدي واحدة والقلوب على الاخلاص متعاقدة وقصد باب نيسابور
من جانبها الغربي فخيم بظاهره وناوش ابو الحسين الحرب اياما عدة
وهو متحصن بالبلد ودروبه ومتحجر بضيق مداخله وسدوده ولحق بابي
العباس زهاء الفي رجل من خلص الديلم ونخب الاتراك يقودهم ابو
فيروزان ابن الحسن في كبار القواد ممن يعذمون على الزبر ويدخلون و

الابر فلما احس ابو الحسين ابن سيمجور باناختهم على قوتهم على حرب المضيق
واعجازهم باطراف الرانات والمزاريق فاتخذ الليل جملا وترك البلد
هملا وسار يريد قهستان ساترا عورة الانهزام بلباس الظلام وسمع
عسكر ابي العباس بانجفاله فشدوا على اثارهم واتقالهم واصابوا منهم
غنائم موفورة واثقالا غير محصورة ودخل ابو العباس تاش نيسابور
وجاوزها الى المعسكر بظاهرها مما يلي الجانب الشرقي حميد الظفر
مرضي الاثر وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه في تلك الوقعة شعر
قل للذي انا في هواه خاش ۞ صاد الفؤاد بصدغه الجماش ۞ صدغ يو
عند الرياح كانه ۞ قلب ابن سيمجور احس بتاش ۞ وله ايضا ان الشتاء
مضى بقبح فاش ۞ واتى الربيع لنا بحسن رياش ۞ ومضى ابن سيمجور بقبح
فعاله ۞ واتاش ابناء الكرام بتاش ۞ ولزم تاش مناخه ذلك يواصل
الكتب الى بخارا في الاستمالة والاستقالة والضمان لانفاذ الطاعة
وعرض النفس والملك بلسان الضراعة فلجّ بابن عزير صلابته في عقد
العتبة دون مغايظته ومعاداته ومعاندته فطفق يتفق على الامير الرضي
والدته التي كانت كافلة بالملك ان تاش معتصم بالديلم وقاصد
قصد الاجحاف بالدولة وانه متى ارخي من عنانه فيما يستدعيه وجب
التعزّي عنها والتكبير عليها حتى ظنا ان الامر كما زعم فوكلا اليه

اليه وجعلا رباط الحجر والتربية وقد كنت اروى لصديق لى فى تلك
الايام بيتين لابن المعتز سمعتهما فى الشباب وهما **شعر** شيئان لو بكت
الدماء عليهما • عيناى حتى تؤذنا بذهاب • لم يبلغ المعشار من حقيهما
فقد الشباب وفرقة الاحباب • فقال ان الاليق بحكم الوقت والحال
بيتان فى وزنهما وصناعتهما للحسين بن على المرورودى فيهما **شعر**
شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما • راى النساء وامرة الصبيان • اما
النساء فميلهن الى الهوى • واخو الصبى يجرى بغير عنان • فانصف
لعمرى فيما وصف وحكم حكما يشهد به العيان ويسجل بصحته الامتحان
وابى الله ان يكون ظئر فى شفقة الام وخال بمنزلة العم وعسيف بمثابة
الصاحب ووزير بمحل الملك الغالب المستبد برايه الصائب وفكره
الثاقب واهمل ابو العباس تاش ما اهمه من امر ابى الحسين بن سيمجور وفضله
مداراة لولاة التدبير بخارا واستمالة لهم واستبقاء واستذراء بهم
واستئناسا للوحشة من الازدياد وصيانة للفرج من الامتداد وهما
بينهما يهتبلون فرصة الرخاء ويغتنمون فسحة الامهال والامهاء ويقبلون
على مواصلة الاحتشاد والاستعداد ومداومة الاستمداد والاستنجاد
وكتب ابو الحسين بن سيمجور الى ابى الفوارس بن عضد الدولة بفارس
فامده بالفى فارس من نخبة الاعراب وانضم اليه فايق فى خواص غلمانه وبنادر

من استجاشهم من اطراف خراسان وكروا باجمعهم على ابى العباس تاش
فى خيول غص بها عرض الجبوب وضاق عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب
فلما قاربوا نيشابور وخالفوا معسكره الى البلد لامتلاكه عليه وممانعة
الحرب عن ظهر منعة واقتدار وحال نجدة واستظهار فغافصهم ابو العباس
تاش فى مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وابى سعيد الشبيبى وخواص غلمانه
وناوشهم الحرب من حيث متع النهار الى ان صارت الشمس كعين الاحول
وظلت حملاته تحطمهم حطما وتوسع اركانهم هدا وهدما وكانت الجماعة
ما بين سرخس الى مقامهم ذلك قد بلغ منهم مبلغا احرج صدورهم واقنع
بالاجفال جمهورهم ايثارا للفسحة المضطرب والخلاص للجماعة عن ضيق المعترك
وحمل ابو العباس تاش اخر النهار حملة قد دها خاتمة القتال واخرة الازال
فتلقيها ابو الحسين وابو على ابنه بشكائم قوية وعزائم فى الثبات صريحة
وردوا مطلقات الاعنة بمترعات الاسنة ومسرعات الزحوف بمرهفات
السيوف فلما انقلب الى مقامه وقد تعرق فى تلك الحملة عنه سواد جماعته
وحفظة راياته شدوا الحملة عليه دفعة واحدة واضطروه الى الانهزام
واسلام المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب فايق حتى نزعت
صفوفهم واضطربت جموعهم فنادوا الامان من قراع السيوف وخلا من
النجدة صهوات الخيول فجمعوا فى قيد الاسار على حال الذل ثم حملوا الى بخارا

على الجمال في الجوالقات ونكالاً وتنفيثاً ممن ساقهم الى خراسان ارسالا
فاستقبلهم المخانيث بالدفوف والمغازل بدلاً عن السيوف والعوامل
وأمرّهم الى مجالس الفهند ذا الى ان اقتسمتهم الايام بين ممات ونجاة

ذكر انتقال ابي العباس تاش الى جرجان ومقام ابي الحسين سيمجور على قيادة الجيوش

وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان
فتفصل عنها فخر الدولة متوجهاً نحو الري واخلاها له ولاهل عسكره
وترك دار الامارة محفوفة بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والاهب
الوافرة حتى المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية والاواني الذهبية و
الفضية وتقدم بان يسلم اليه خزانة كان قد اعدها للحمل اليه قبل
الكشفة مشتملة على خمسين الف دينار والفي الف درهم وخمسمائة تخت
من الوان الثياب الى غيرها من عتاق الافراس وجياد المراكب والدواب
واعداد الاسلحة والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع وجواشن
وترسة وزانات اكثرها مغشى الظهور والنصب بحلى الفضة والذهب
وسوغ له دخل جرجان ودهستان وابسكون واستراباد الا ما كان
مصروفاً الى عمارة القلاع وادرار مستحفظيها من الخواص وامر ابو العباس
تاش بتفرقة تلك الاموال والمبار فيمن صحبه من القواد وطبقات الاجناد
حتى جبر كسرهم وقوى اسرهم وواصل اليهم الاقامات والاطماع حتى ادنا ...

لحوالهم وخصبت رحالهم فصاروا بجرجان احسن منهم بخراسان حالاً
وارغد عيشة وانعم بالاً وجعل فخر الدولة يتابع الحمول اليه من طبرستان
زيادة في تاثيل حاله واستبقاء لنظم جنوده ورجاله فعل من لا ينفس على
اخيه بنفائس ما يحويه ولا يظن على صديقه بجليل ملكه ودقيقه وقد
كان الصاحب اسمعيل ابن عباد يستشرف ما يوجبه له من الاحسان
والمواساة ومواصلة الصلات والكرامات ومن قبل ما نصح له في
خراسان برجاله مخالفة لسلفه فيما اشاروه من سلمها واغتنام
السلامة منها فقال له ذات يوم ان حقوق ابي العباس على حقوق لو خرجت
معها عن جميع ما افاء الله على من ثمرات هذا الملك حتى احل له عروة هذا
القميص لوجدتني في ادنى درجات المكافاة وايسر مراتب المواجب والمجازاة
واشار الى واحدة تكفيه امارة على ما اوجبه له ايام مقامه قبله
اشفاقاً على مهجته وحرصاً على محبته وذباً عنه في حال غربته وهي ان
اخويه عضد الدولة ومؤيدها ارسلا اليه يستردانه على اموال عظيمة
تحمل الى خراسان في كل سنة للسلطان اولاً وله ثانياً مشفوعة بمجلوبات
العراق من وشي الثياب وفرة العتاق واغليا في الاسيام والتطميع حتى
لم يبق للرد مجال ولا للسان العذر مقال وانا في جر الرسالة فاستظلمت
ضوء النهار واستخشنت جانب القرار وقنطت من الحياة على شفا جرف

هاذا اذ لم يكن في الهرب مطمع ولا في قوس الرجا منزع وبت بليلة انقد آدى
الشركاني قد الى ان اصبحت قواي متخاذلة وادكاني متهافتة خوف الأذن
بالبلاء العناء والداهية والدهياء فاتاني حاجبه بعد فراغه من الأذن
داعيا وآذنا فلم ادر آداع هو أم ناع وادب هو ام نادب وطالع ضيافة
ام طارق آفة وحسبت في الفرق كنايته عن المحذور وتوريته دون القتل المقدر
فركبت اليه وسرت على احصف مرة من تاني عليه الى ان حصلت في
مجلسه فصادفت من حسن القيام وقوة الالتزام وفرط الاكرام والاعظام
وتفضل البر والايناس ونصرة الرجاء على الياس ما لم اكن عهدته
فيما مضى من مجالسه ومؤانسه وما زال يرفيني بشره ويسحرني بلطفه
وبره الى ان ثاب نشوالى وانحلت عقدة الخوف على وتطاير الهم عني
شعاعا وذهب سوء الظن جفاء ثم ناولني الرقاع الواردة عليه بشرها
عن ابناء الايام وتبع العلام وحماة العقارب على الرسم المعتاد من كيد
الاقارب ثم اقبل على فقال قد كنت على ان اكتم الامير صورة ما ورد صيانة
لقلبه عن نوازع الظنون والاوهام ولكني فكرت في حكم الحال التي
تجمعنا واياه فرايت اطلاعه على ما كتب والافضاء اليه بحقيقة ما طلبه
املك لسكونه واوقع لطائره وانفى لخلاع الشك عن خاطره واقسم بجميع
ما يلتزمه ايمان البيعة انه لا يعدل خراج العراق باسره على نفاسة قدره

بشعرة من بدنه ولا بزبير من بزته وان جميع ما املكه من صامت وناطق وقاعد
وقائم حتى فص هذا الخاتم وزر هذا القرطق وقاية لمهجته ووقف على مصلحته
ومعد لدرء الحوادث من ساحته ومبتذل في الانتقام له ممن نافسه
في ملكه ونازعه حق اديه حتى باذن الله في رده الى بيته قرير العين
منشرح الصدر صاعد النجم ماضي الحكم على الخصم ايحق من يسمح
بمثل هذه الاكرومة طوعا وطبعا لا عن رغبة في رغيبة ولا امل
في نيل ولا تطلع الى وجه مطمع ان يتغافل عن معونته وارفاده ويتجاهل
دون ما يجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة وحق ركن الدولة
لا اعرف الناس نسيا في هذا الحق العظيم والكرم العميم وقد استسهلت
طريق المكافاة واصبت عون الله على حسن المجازاة على ان الفضل له
لسبقه الى البر وان جهدت في المقابلة وشددت الى الغاية في المساجلة
فتعجب الحاضرون من هذا الكلام والكرم الذي عز سماع مثله في
سالف الايام واحتشد الصاحب من بعد لمصالح ابي العباس ما شاء
مناصحة لصاحبه وكفالة عنه بما يقتضي الحق عليه ويفيد شرف الوفاء
له ونبي ابو العباس بجرجان ثلث سنين نابي الجنب عن القرار جافي الجفن
دون الغرار شوقا الى خدمة سلطانه وحرصا على عرفان حق اصطناعه
واحسانه واشفاقا من تاويل حساده في انقياده عن خراسان انكاره

حق الولاء ونزع عن رغبته طوق الطاعة والوفاء وجعل همته معاودة
مجاذ الاستيناف الخدمة والسلامة من المذمة وارسل ابا سعيد الشبيبي
الى فخر الدولة فى الاستعانة على معاودة خراسان فجهز اليه اسفاد
ابن كردويه وعدة من اعيان القواد فى زهاء الفى رجل من خلص الديلم
وكتب الى نصر بن الحسن بن فيروزان وهو بقومس فى صلة جناحهم والزيادة
عليهم فى ازوادهم واصدادهم والصدد فى ذلك كله عن راى حسام الدولة
ومثاله والتصرف بمقتضا ربقه فى حاله وترحاله وتاديت سلمه
وقتاله وحمل فى صحبته من المال لاقامات اهل عسكره ضعف ما كان
خلفه عليه عند فصوله من جرجان فسار ابو سعيد الى قومس فانتدب
نصر لقراه وقرى القواد فى صحبته كما قرى تميم ضيفها وجارها ابن
حذو النعل بالنعل وذلك انه امر به فى صحن داره فاخذته السيوف يمنة
ويسرة حتى برد وعمد الى اخرين فحبسهم فى سرب واوقد النار عليه وسد
منافس السرب دونهم حتى اختنقوا بين حر الحبس وعدم المتنفس واقتات
بتلك الاموال المحموله والدواب المقوده راضيا شمة الغدر وقاضيا
على نفسه بالخزى اخر الدهر وانفل الباقون نحو الرى لا يلوى واحد منهم
على اخر الى ان وردوها فقرروا الحال الصورة وقروا الصحيفة المنشورة
فورد من ذلك على فخر الدولة ما اطار واعه فهاج وادعه وعلى حيا

الدولة ما اقلقه واكمده واضعف عن كل شيء قلبه ويده وكتب اليه
فخر الدولة بذكر ما راه من تجهيز الجيوش اليه وبتحدره الى استراباد
ليصير المقصود محصورا بين العسكرين ومضغوطا من كلا الجانبين
الى ان ياذن الله فيه بالبوار والانتباذ الى غيرها من الديار ونجد
ابو العباس تاش الى استراباد فخيم بهزارخان فاخذ نصرا ما قدم وحدث
ومر وخبث وراى الحين قد فغر فاه والسيوف بطلب وجهه وقفاه فلاذ
بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاسترحام وطفق يكتب فى الاعتذار
الى الجانبين بانه كالعائذ حياء مما ارتكبه وخجلا من عوار ما اكتسبه
وتحمل بشفاعة حسام الدولة فى الاستصفاح واستقالة ما خبط فيه
لسوء الاختيار حتى كتب فى بابه بما نفس من خناقه وتكرم فخر الدولة بقبول
انابته رعاية لحق شيبته وقرابته وعاد ابو العباس تاش الى جرجان
على ان يستانف تدبير خراسان وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن
اخيه بهاء الدولة لاحوال اخل فيها بحقه وترخص معها فى المفروض
من اجلال قدره ومحله فناهضه فى معظم جيوشه مزاحما له فى اعمال
خوزستان ومعه بدر ابن حسنويه فى جنود الاكراد اولى البسالة فى
الجلاد وسار حتى غلب على كورها مدلا بالقوة السابغة والنجدة الوافرة
والهض ابا العباس فيروزان ابن الحسن نحو البصرة لاستنصافها

الى اخوالها فلما عبر هزسوسى استجاش المقيمون بها من عسكرها الديلم
اهل البصرة عليهم فعمد منهم خلق عظيم الى المسالك بينه وبينهم
فبثقوا سكور الاهواز عليها حتى عميت الطرق واعوزت المجال والمخارق
وبقى هو ومن معه فى مخاضات ووحول سدّت عليهم وجوه الاخبار و
دونهم معالم الاقبال والادبار ووافقهم اقبال الخيول من الموصل على
عوادل الطرق لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما اخذتهم اصحاب
ابى العباس ورأوا انهم شوكة ووفورا ولّوا على ادبارهم نفورا وكان
بدر بن حسنويه قريبا منهم فلما رأى الكشفة جاء ممانعا وثبت بنفسه مدافعا
فاعياه سدّ ما اختلّ وردّ من اخلّ فاستمرت الهزيمة بهم الى فخر الدولة
وهو بسوق الاهواز وشكوا اليه ضيق المجال واجمعوا على رسمهم للمطالبة
بالمال فغاظه ما ظهر فى الاول من عجزهم وخودهم وما انتشر فى الثانى
من سوء فعلهم واثرهم وانكفأ بهم راجعا الى همدان على ظاهر هدنة وقع
التغاضى عليه ومنها الى الرى وذلك فى شهور سنة سبع وسبعين و
ثلثمائة وحدث وباء بارض جرجان خارج عن الحدّ فى هذه السنة فهلك
من اصحاب ابى العباس ناس ووجوه قواده واعيان رجاله والمذكورين
من كتّابه وعمّاله وساير حاشيته وغلمانه خلق عظيم وعرضت له باخرة علّة
صعبة ختمتهم بمقضى سبيله رحمه الله وقد كان اصحابه قد اوغروا القلوب

اهل جرجان برسوم ذميمة ابدعوها ومعاملات قبيحة اخترعوها واحوال
عنيفة اوقعوها فلما فشا خبر وفاته صاروا يدا واحدة على اصحابه فكبسوهم
فى الدور والحجر وطلبوهم تحت كل حجر ومدر وجعلوا القتل جفلى وانتظم
الكبير والصغير والشريف والمشروف فى سلك القتل والتنكيل والاباده
والتمثيل وشغل وجوه اهل عسكره دهاء المصيبة عن الفراغ لغمهم
وعقهم واخماد جمرتهم واستكفاف معرتهم واقتضتهم صورة الحال
البروز الى ضاحى البلد لضبط الامر وضم النشر واتقان التدبير فى
من يصلح للتأمير فبرزوا اليه واتفقت كلمتهم على ابى احمد ابن اخت
له فقدموه وطالبوه بمال البيعة فاطلق لهم ما وجد فى خزانة الماضى
مضافا الى ما امكن تحمله واجتبا له عشر بيتة واحدة حتى هدأت فورتهم
وسكنت سورتهم وتوالى النفير من البلد بما اهلها ابدلهم الى
عورات النساء الخراسانية بغيا وكيادا فحركتهم الحمية للانتقام
من اولئك الرعاع والاغنام وركبوا على سمت بكراباد لجاهدهم
وثار اولئك الاشقياء اليهم للمقاومة متهافتين فى الدمار تهافت
الفراش فى النار فلم يلبثوا ان حمل اهل العسكر عليهم حملة كشفتهم
عن رؤس بلا غلاصم وايد بلا معاصم وفرشوا ارض ذلك
الفضاء بجثث القتلى متشحطين فى الدماء وضربت الدور والجواز

بالتقاطات وبسطت عليهم الايدي بالغارات فجرى عليهم ما لم يجر بعد
يزيد بن المهلب مثله نكاية رادعة وعقوبة وازعة قامعة وعندها ارسل
مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الامان ويناشدون الله والايمان
فكفوا عن القتال وانكفأوا الى الرحال فسكن نابض الفتنة ووقع
طائر الهيج واللوثة واختلف العسكر في الاختيار فمال الفؤاد وكبار
الغلمان الخاصة الى خراسان واستحب الدارية الانقطاع الى فخر الدولة
والاختصاص بخدمته وكتب الصاحب اليهم اجمعين بالتوقف ريثما يلحق
بهم الاستاذ ابو علي فيطلق لهم اموالهم ويحقق في الولايات وزيادة
الاقطاعات امالهم فحفزهم حب خراسان على التوقف واعجلهم طول
العهد بالاوطان دون التثبت فثاروا على سمت الرغد معاودين نيسابور
للاتصال بابي علي ابن سيمجور وهو اذ ذاك صاحب الجيش مكان ابيه
واقام الباقون من الدارية الى ان وردها الاستاذ ابو علي فاستعرضهم
واثبت اساميهم واطلق اموالهم وسيرهم الى الري فامر فخر الدولة بنقلهم
الى الدار وتوخيهم على الرسم في امثالهم بمزيد الاكرام والايثار رعاية
منه لحق ابي العباس تاش من جانب واستظهارا بهم من اخر وقد كانت
جرجان تموج بالقافة وذوي العيث والحرابة ممن قتلوا اهل خراسان
ومثلوا بهم فوضع الاستاذ ابو علي الارصاد لهم وبث العيون عليهم

وقتل ممن حمل منهم يوما واحدا خلد بدة واحدة زيادة على ثلاثة الاف رجل
طلبا وصبرا او غيلة ومكرا فتمت بذلك سياسته واستفاضت هيبته
واستقامة اموره وصفت جرجان في ايامه ممن يعيث في فسادها بحكم بغيه
استقامة وسدادا ذكر ابو الحسن ابن سيمجور في قيادة الجيوش الى ان قضى نحبه وانتقال
الامر الى ابنه ابي علي الى الحين فاستقامت بولايته وقراره بنيسابور وانحدار
ابي العباس الى جرجان امور خراسان وانصرف عسكر ابي الفوارس الى
كرمان وعاد فائق الى بلخ واستقر ابو علي بهراة وكان ابن عزير يستحث
ابا الحسين على قصد جرجان ويؤنبه عن التقاعد عنها وهو يستمر على
المعلوم من عادته في استشعار الحلم واستحباب السلامة والسلم اشفاقا
من عثرة قدم تفضي الى الندم كالتي عرضت لابي العباس تاش بجرجان من
الكشفة التي جلبت على الدولة من الوصمة ما سار في البلاد خبره الى ان
اقيم ابو علي محمد ابن عيسى الدامغاني للوزارة وذلك في جمادى الاولى
سنة سبع وسبعين وثلثمائة ونفي ابن عزير الى خوارزم فجهد ابو علي في تثمير
الاعمال وحفظها على الاعتدال فاعياه ما اراد لانسداد الولايات
وتراجع الارتفاعات واستشراء الحشم وضراوة الاتراك وتحجيهم
على الوزراء واحتكامهم في المطالب خلعا للجام المراقبة وامنا من مراجعة
السياسة وصدق المؤاخذة فصرف بابي نصر ابن ابي زيد وهو الشهم الكاف

يصيب المحز في اقواله ويطبق المفصل في افعاله ويبذ الكفاة بغنائه ومضائه
وصواب تدبيره وآرائه ثم بدا لهم في امر ابي علي فردّاه الى مكانه من صدر
ديوانه واتفقت لابي الحسين ابن سيمجور بين هذه الاحوال الهضة الى خرمك
بعض متنزهاته بواحدة من حظاياه فجاءته نفسه خلال الرفث وخرّ الى
الارض عن صدرها ميتا واخفي خبر وفاته الى ان رُدّ الى داره واستُبعد
لاظهاره وورث ابو علي رياسة بيته واخوته وجيشه فسد الثلمة الحادثة
بابيه برفق سياسته وحسن رعايته وخفي ايالته وولايته وحببت
طاعة ابي القاسم اخيه وساير اخوته له وعم رضاهم به وبلغ ابا علي ان هراة
سميت لفايق فقصدها ابو علي وكتب اليه بعتابه على ما استجاده من الخطبة
على خطبته ثم اتفقا على ان تكون هراة لفايق ونيسابور مع قيادة الجيوش
ورتب كل منهم اصحابه بناحية عمله وحملت الخلع من بخارا على الرسم لولاة
الجيوش وابو علي يظن انه هو المقصود بها والمحبو بالكرامة فيها حتى اذا بلغ
الرسول منتصف الطريق فعدل الى فايق بما صحبه فعلم انه مكروه وغدر اسرّ
وانه هو المقصود بالسوء والمراد بالمحذور فلما علم ان فايقا شخص عن هراة
نهض ابو علي من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب المرصد حتى انقض عليه
فيما بين هراة وفوشنج فعل من اتخذ الجد خدنا وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب
جانبا وعلم انه متى استمرت به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة وعرف

جبنه وخوره لم ينفع له ولا لاهل بيته زائد ولا يعرف لانتقاص الامور
عليهم وانتياب المحذور اليهم من كل وجه غاية فصدق قتاله اخذا بفرط
الجد والتشمير ودق عسكره دقة المضب اشاه المسامير فولّوا الى مرو
الرود وادركهم ابو علي بعدة من قواده للتشريد بهم في مهربهم فوافقوه بقنطرة
مرو الرود مستعدا للمدافعة ومحتشدا للممانعة فقادهم حتى اسر منهم
عدة وحملهم الى بخارا وسار ابو علي الى مرو خاطبا عمل ابيه وممدّا لابنا نوح منا
ومساعيه ومتكثرا باخوته وذويه فحقق الرضى سؤله وجرد اليه فيما استدعاه
رسوله وفوّض قيادة الجيوش عليه وناط مصالحهم بيديه وجمع له بين ولاية
نيسابور وهراة وقهستان ولقبه بعماد الدولة فانكفا الى نيسابور وقد نال
ما اراد فهذب الاعمال ورتب الاحوال والرجال واخذ امره يزداد نمودا
وبهاء ويتضاعف قوة واستعلاء الى ان تلقب بامير الامراء المؤيد من السماء
وامتدحه ابو بكر الخوارزمي بقصيدة اولها شعر

ان الاولى خلف الجدود ... هم في الضماير في الصدور
وقع الغبار عليهم ... فغدا بيتهم على العبير
لما مشين على الثرى ... تاه المغار على المغير
فغدوت في حال الاسير ... ووجدت في حال الحسير
وكذاك من عشق النجوم ... ونام صيدا للبدور
يا سائلي ما في البراقع ... والهوادج والستور
فيها الرضاع من المنية ... والفطام من الثبور
وسالك عن زوج المنابر ... حين يخطب والسرير
فهو الامير ابن الامير

ابن الامير ابن الامير المشترى المديح القليل ‧ بما له الجم الغفير ‧ من سيفه

كثر الجبير ‧ وسيبه جبر الكبير ‧ والناظم المعنى الطويل ‧ بلفظه النزر القصير ‧

يرمى اغاديه بسهم ‧ من سعادته طرير ‧ حتى لو افترش الحرير ‧ لشاكهم مس الحرير ‧

وبونت الهم الذكور ‧ بلكم البيض الذكور ‧ وسهامه نوب الخطوب ‧ و

قوسه عقب الدهور ‧ وبماحه حشو العدى ‧ وعداته حشو القبور ‧ استغفر

الرحمن ‧ بل حشو الجوامع والنسور ‧ وبصوم ضاربه فيفطر بالجماجم والنحور ‧ و

اتاه سائلا ‧ رب الخورنق والسدير ‧ امجد ابن محمد هذا ‧ الثماد من البحور ‧

لو كانت الدنيا تدور ‧ على الحجا بوني الامور ‧ ما صنع تاج محمد ‧ الا

القمر المنير ‧ واتاه البديع ابو الفضل الهمذانى وهو يمدحه بالقصيدة التى

اولها شعر على ان لا اريح العيس والقتبا ‧ والبس البيد والظلما والليبا ‧

واترك الخود معسولا مقبلها ‧ واهجر الكاس تغدو واشربها طربا ‧ حبى الفلا

مجلسا والبوم مطربة ‧ والسير يكرنى من مسه تعبا ‧ وطفلة كقضيب البان

منعطفا ‧ اذا مشت وهلال الشهر منتقبا ‧ تظل تنثر من اجفانها حببا

دونى وتنظم من اسنانها حببا ‧ قالت وقد علقت ذيلى تودعنى ‧ والوجد يخنقها

بالدمع منسكبا ‧ لا در در المعالى لا تزال لها ‧ برق يشوقك لا هونا ولا

كثبا ‧ يا مشرعا للمنى عذبا موارده ‧ بيناه متشم الارجاء اذ نضبا ‧ طلت

لحق اسعد امنازله ‧ حتى اذا قلت يجلوا ظلى غربا ‧ كنت الشبيبة ابهى

ما دجت درجت ‧ وكنت كالورد اذكى ما اتى ذهبا ‧ استودع الله

عينا تنتحى دفعا ‧ حتى تؤوب وقلبا يرتمى لهبا ‧ وظاعنا اخذت منه النوى

وطرا ‧ من قبل يقضى الهوى من حكمه اربا ‧ غطى عليك قناع الصبر انا انا

اليك اوبة مشتاق ومنقلبا ‧ ابى المقام بدار الذل لى كرم ‧ وهمة تصل

التخويد والخببا ‧ وعزمة لا تزال الدهر ضاربة ‧ دون الامير وفوق النسر

طنبا ‧ يا سيد الامراء الفخر فيا ملك ‧ الا ثمالك مولى واشتهاك ابا

اذا دعتك المعالى عرفت هامتها ‧ لم يرض كسرى ولا من قبله ذنبا ‧

اين الذين اعدوا المال من ملك ‧ يرى الذخيرة ما اعطى وما وهبا

ما الليث مختطما والسيل مرتطما ‧ والبحر ملتطما والليل مقتربا ‧ امضى

شبا منك ادهى منك صاعقة ‧ اجدى يمينا وادنى منك مطلبا ‧

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ‧ لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ‧ والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

يا من يرى ملوك الارض فوقهم ‧ كما يرون على ابراجها الشهبا ‧ لا تكذبن

خير القول اصدقه ‧ ولا هابن فى امثالها العربا ‧ فما السموال عهدا

والخليل قرى ‧ ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا ‧ من الامير

بمعشار اذا اقتسموا ‧ مآثر المجد فيما اسلفوا حقبا ‧ ولا ابن حجر ولا ذبيان

بعشرتى ‧ والمازنى ولا القيسى منتدبا ‧ هذا لرغبته اوذا لرهبته

او ذا الرغبة او ذا اذا اطربها. ثم واستولى على بلاد خراسان وارتفاعاتها
فجبيت له عن آخرها وكتب الرضى اليه يستنزله عن بعضها لاطماع حشمه
وعوارض مؤنه فاعتل عليه باستغراق اعطيات جنوده ارتفاعات
خراسان وحاجته الى زيادة يتحملها لتتمة اطماعهم فى السنة وهو فى
ذلك يخلط طاعة بجفاء ويترجحوا فى ارتفاعاً ونصب ابا على النيسفى لصاحب
الديوان وبسط يده فى المصادرة والاستخراج حتى كنس خراسان فلم يبق
بها ذو در الا ادمى خلفه والصق بظهره بطنه ثم طالبه بما دفع عليه وامر
بدق يديه على رجليه الى ان اعفى بعض المال ومات باخرة على شر حال
وصار يكاتب الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة هرون بن ايلك
بغراخان وهو ببلاد الترك سراً على ان يشاطر خراسان وما وراء
النهر متى ملك على الرضى بخارا فكان مثله كما قيل شعر سلوا سيوفا محددة
بمجد. رضوا لها ما نأت المجد. وهو فى ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار
الدعوة استعمالا للتقية او تحذرا الى الرعية وقد كان طائفة من دهاة
ما وراء النهر امتلتهم ايام تلك الدولة فغرت نفوسهم الى الاستبدال
والاعتياض بها عن خلة الالفة والاعتياد فواصلوا بغراخان بكتبهم فى
تورد ذلك الحريم شاحذين غربه فى المضا والتصميم فصار ينظر فى تلك
الجدود شيئا فشيئا كالبازى يحك نصاح اجفانه على التدريج تأنيا

له من الوحشة وتنكبا من الروعة وتضرية على القنص الى ان ورد استجاب
فانهض من بخارا اينج الحاجب فى طلبه ورده على عقبه فالتقيا على حرب
اشابت الذوائب وانادت الكواكب ثم انجلت عن اسر اينج الحاجب فى
الكبار فى تورد سائر البلاد والاغارة على الطريف والتلاد من القواد
والكثير من الافراد واستحكم لذلك طمعه فى البلاد **ذكر فائق وما انتهى**
اليه امره بعد الوقعة المذكوره اقام فائق بناحية مرو الرود على رم الرث
وجبر الكسر واسو ما فشا فى عسكره من كلوم الحرب فلما التحم امره وانضم
نشره سار يريد بخارا من غير استيمار واستطلاع راى فاذ ناب الرضى
فلما قاربها برز الى فضاء النهلة بنابه ورماه بانج ويكتوزون الحاجبين
وسائر مواليه وموالى ابيه فلما ارهقه الكفاح وعضه السلاح اجفل
اجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل والاسر
والتذليل ووافى الشط منهزما فوجد السفن معينة فركب الخطر واحال
حتى عبر وسار الى بلخ على ان يتناش منها ويرتاش واقام بها اياما ثم عبر
الى الترمذ وواصل بغراخان بكتبه يبعثه على الانحدار ويحثه على البدار
وخوطب من بخارا والى الجوزجان ابو الحرث احمد بن محمد الفريغونى بقصد
وحصده فجمع جيشا عظيما وساق من ارض الجوزجان بريعا فانتدب لهم احد
غلمانه وكان يعرف بارسلان اخرسالار فى زهاء خمسماة من الترك والعرب

فانقضوا عليهم انقضاض الصقور على بغاث الطيور فمزقوهم بددا واجلوهم

طرايق قددا وفرشوا الفضا بجثث القتلى وغنموا اما لا لا يعد ولا يحصى

وغادروا الى بلخ ظاهر بن وقد كان طاهر بن الفضل ملك الصغانيان على

ابى المظفر محمد ابن احمد وهو واحد خراسان جلالة قدر ونباهة ذكر

ومتانة رأى فخجره وصانة نظم ونثر فقطع ابو المظفر الى جانب فايق هاربا

فزعا فاجتمعا اضراخه وامده بمن بره ورداه فاغتنم طاهر خفة اهل فايق

ببلخ فلقت لفتة اليها طامعا فى الاستيلاء عليها فزحف المقيمون بها

لمدافعته وهدوا المناجزة وتناوشوا القتال وصدقوا المصاع

وثقف بعض العرب مكان طاهر ابن الفضل فقصد قصده بطعنة اذرته

عن مركبه وبادروا اليه فاحتزوا راسه عن مركبه وثار القتام بقتله فولى

اصحابه الادبار هاربين بين سمع الارض وبصرها وهامين اثناء حجرها

ومدرها ولما جرى فى امر انج الحاجب ما جرى ونقل الى بلاد الترك

فى زمرة الاسرى انتقضت مرائر الاعمال بما وراء النهر ووهت قواها

وتداعت قواعدها وبناها واشفق الامير الرضى واركان دولته من

ان يتفاقم الامر ويتراكم الشر ويعضل حادث الداء وينضب باقى الماء

فخوطب فايق فى الاستمالة وقوبل عثرته بالاقالة واستنهض الى

بخارا للاستظهار على سد الخلل وتعديل الميل وسرب عنها بعد

حسن القبول والاقبال وازاحة العلة بالاموال الى سمرقند فلم يرع

الا خبر بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة وقد استعار

اليه قوادم الطير ركضا لم يبل فيه جماما ولا غمضا فولى فايق من بين

يديه هزيما ولم يلو على تعرف الاحوال مقيما وجعل من كان معه من

اصحاب السلطان عرضة للسيوف وفريسة لانياب الحتوف وتوافقت

الشهادات على ان انهزامه كان عن مواطاة لبغراخان على ال سامان

فعل من لا وفاء يزعه ولا حيا يردعه ولا نعمة تحفه ولا حرمة تكفه وسار

كما هو حتى افتح بعقوة بخارا فراع السلطان بالداهية الدهيا والخطة

النكرا والقضاء المبرم من السماء حتى اضطر الى مفارقة الدار والبلد

بذمة الاستتار

ذكر ورود بغراخان بخارا وخروج الرضى عنها وانصرافه ثانيا اليها بعد قفول بغراخان عنها

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فايق مختصا به ومنخرطا فى سلكه ومكثرا لسواده وملقيا

اليه لين مقاده كانهما كانا على ميعاد وتلاقيا على سابق صحبة

واتحاد ولما استغربت الدار بقرارها استاذنه فايق فى النهوض

الى بلخ لاستضافتها الى ولايته واثارة اموالها لخزانته فاذن له

فيه وسار الى الترمذ وبعث نعتا الى بلخ فاحتاط عليها ونصب بها

من يجبى الاموال ويدبر الاعمال واهتبل الرضى فرصة الكرة من مستتره

في بزة الذكرة حتى عبر النهر الى امل الشط وقد هاجر اليه امامه عدة
من خواصه وحجابه وغلمان داره غابرين خائبين فاعتدوا بمقدمه
عيدا وظنوا انهم انشئوا خلقا جديدا وتلاحق بهم من ندمن ابناء
الهجرة فتموا عدة وعديدا واعتمد الامير الرضي ابا علي البلعمي للوزارة
وضبط اطراف ذلك القدر من الامارة فعجز عن التدبير لضيق المجال
والمجال وانسداد وجوه الاموال وتزايد عدد المهاجرين من الرجال
وقد كان نفي ابن عزيز الى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة وامر الرضي
بالكتاب اليه في استحضاره لاستئناف الاعتماد عليه فيما كان يليه
واستكفائه المهم وتخفيف ما دار اليه منتهى خدمته في تلك الحال
ومتوصلا الى مرضيه بوجوه الاحتيال وقد كان الرضي من لدن هجوم
الترك استطاره شرره باعالي ما وراء النهر من جهة الترك بكاتب
ابا علي محمد بن محمد بن سيمجور وهو الملقب بعماد الدولة والمعتمد بحياطة
الحوزة وحراسة البيضة في الاستنفار والاستمداد وتلطف في التحضيض
للجهاد وتطهير تلك البلاد من ذوي البغي والعناد بعد ان ساجحه
باموال خراسان واغضى له عن ارتفاعها ترضيا له واحتمالا لامته
واستبقاء للصنيعة عنده وطمعا في الانتفاع بمكانه والاستظهار
بمكانه فعيل الاستعداد للنهوض والاحتشاد للبروز حتى استغرق

مواعيده شهورا عدة ثم نهض من نيسابور الى سرخس ومنها الى مرو
في مثلها من المدة وتربص اثناء ذلك زحف القوم وتغلبهم فيشاطرهم
الملك على حاجز النهر فيكون له ما دونه ولهم ما وراءه وكان قد اتصل
به طائفة يزينون له هذا الراي ويحلونه في عينه ويجلونه في معرض
التصويب عليه تقربا اليه ويوحون اليه انها دولة قد عثت انيابها
وحان ان ينوح عليها اصداؤها وهامها لاستمرار العثرات
عن اطرافها وانثيال الفتوق من كل الوجوه عليها وان المعنى
بنصرتها مخذول بخذلانها ومحكوم عليه بالادبار لادبار زمانها
ووهي قواعدها واركانها فلما استشعر ذلك السلطان بامل الشط
كتب اليه بان الخفاء قد برح والبلاء قد برح وانه آن له ان يثأر
بعز الاجلونة في مظاهرته والاقتداء بسلفه الذين هم صنائع دولته
ودولة ابائه في طاعته ونصرة دعوته وكف الاذى عن وجه دولته
الى دار قراره ومعشر اوليائه وانصاره فقد قطع طمعه الامنة واستحكم
الباس الامن لديه وقبل هجوم بغراخان على بخارا انا واصله بكتبه
في الاستصراخ والاستغاثة ومجاوزة التلطف الى التضرع في الاستنفاد
والاستنجاش فمن تلك الكتب فصل حفظته عن انشاء ابي علي الدامغاني
وهو وانما يحتاج الدولة الى عمادها اذا قصدها من نزع اسبابها

اوتادها فالله هذه الدولة فقد جاءتك مستغنية اياك لا ايذنك
فكان تاثيره فيه تاثير الرخاف في الصخرة الصماء لا خدش ولا حك ولا
شق ولا شلل ونوقش خلال ذلك فواش الدالة والاقتراح بسبب تزيد
الرضي وتنبيه في المخاطبة على ما كان يخاطب ابوه وغيره من اصحاب
الجيوش به ولم يرض بذلك حتى اقترح الجمع له بين اللقب والكنية
على العنوان منسوبا ولاء الى امير المؤمنين واتماما ولاؤه لال سامان
وقابل الرضي جميع ذلك بالايجاب ووفاه ما اشتهاه من شريف الخطاب
وقد كان تشرح ذات يوم على لسان خادم للرضي ورد عليه
رسولا يعرف بارسطاطاليس ايام مقامه باملٍ نيادة على المبذول
له ما كان يجري مجرى الشطط والمحال فقال ايها الامير ان ذلك
السلطان اليوم بحيث لو اقترحت عليه مخاطبتك بالتامير لفعل
ولكن رأى اليوم غدا فاختر لنفسك ما هو اجمل بك وازكى في الاحدوثة
عنك فكادت عند ذلك العيون تصوب والقلوب تذوب واستمرت
النشوة به فلم يزد على وعد مطال وتسويف ومطال لا جرم ان الله تعالى
كفى الرضي شغل ما ناداه ونصره واواه واعاده الى خطته ومثواه وحتم
بالجحر عقباه واسلم الغادر بما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد
ذكر انصراف الرضي الى بخارا بعد جلاء بغراخان عنها واتفق ان منيت

بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا فانزعج عنها عائدا ورائه و
معباً ودا اهواه وعدا اهل بخارا الى تفاضات عسكره فطحروهم طحرا او
دحروهم دون نحو الهما دحرا وبادر الاتراك الغزية على اثره شلا
وطردا وعركا وطحنا ولم ينفك بمضي على الاحجام والانهزام على نابه
من الم السقام حتى ذاق كاس الحمام وحين احس الرضي بانجفاله على
حالة ابتدر العبور الى بخارا فيمن تضام الناس اليه من حاشيته
ورجاله فتباشر الناس بما اتاح الله من عوده الى دار ملكه وقرار عزه
تباشر الصيام بهلال الفطر وذوي المحول والاعدام باستهلال
وصفت له بخارا وسمرقند وما صاقبهما من ولايته وسائر مملكته
ولما راى ابو علي ما استقام له من الامر وانضم من النشر وسقط من ناجم
الشر وخمد من نائرة الفتنة التي قدرها صما لا تسمع ودهياء لا
تنقطع وانضاف الى ذلك ان بغراخان لما القى عصا القرار ببخارا
كاتبه على الرسم الذي كان ولاة خراسان يكاتبون اصحاب جيوشهم
لها غير واف له بالشريطة التي كانا تعاقدا عليها وتواصيا بها من
النزول على رتبة التماثل واقتسام جانبي الملك على حكم التناصف
والتعادل سقط في يده وغث في عضده ونهب عليه امره واظلم عليه
رايه لاستفساد الاختيار وعن خلاف تقديره وانكشاف العواقب عن ضد

ما اجاله من قداح تدبيره فاستشار نصحائه فيما دهاه واستفدح اذاهم
فيما عراه فاشاروا عليه بمعاودة التقرب واستئناف التلطف والاحتيال
لما يزيل عارض الوحشة ويحوا سمة العصبة ويتخلل التقصير الواقع في
الطاعة فاعد من صنوف الاموال والهدايا ما رام ترضيته بها واستمالة قلبه
عليه وسنح لفايق بعد احساسه بعود الرضي الى قرارة ملكه ان ينهد الى
بابه متغلبا عليه ومتحكما على رسمه فيه وقد كان دها الرضي من جهته مثل
ما دهاه من جانب ابي علي تصامما على نداءه وتقاعدا عن غنائه وتعاميا وتغافلا
عن فرض طاعته وولائه فضرب الرضي وجهه بوجوه حجابه ورجال بابه وثاقفهم
الحرب بغلمانه وكافة اعوانه حتى استلحمت العدد الجم من الفريقين وقرشت
القضا بالقتلى من الجانبين ثم انفل عنهم هزيما وحث مركب النجا
حرصا على النجاة هشيما ضمرا الى بعض الاطراف وتلاحق بهم من اخطاهم
ظبات السيوف وحلق الاسار من اصحابه فانحدر بهم الى ابي علي منسلا
في حبله ومنخرطا في سلكه ولائذا بذمته ومتذرعا بظل طاعته ووافق
ابو علي منه منيته التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه ويعدها على الحادثات
احد سلاحه واستقبله باهل عسكره على اتم اجلال واعظام واعم اكبار
واكرام واحسن ترتيب وترحيب وبشر رتق وتخصيص بمكانه ودح القفي
عن الرضي فصرف اليه ما كان اعده لمن الهدايا مفصحا بالجفاء والخلاف

ومصرحا بالتمرد والانحراف وتحاملا على الصفا والوفا والتظاهر
على الاعداء فنهضا الى نيسابور للاستعداد وتخمير الرأي في حسم الفساد
ولما يئس الرضي من صلاحهما له دبر في الاستعداء عليهما والانتصاف منهما
بمن يشتد باسه ويجلي في اللقاء مراسه فوقف به التدبير على الامير ابي منصور
سبكتكين لما توسم فيه من امارة الخير باعتكافه على غزوة الهند احتسابا
لثواب الله وادخارا الكريم القربة الى الله فارسل اليه ابا نصر احمد بن
محمد الفارسي النائب عنه ببابه وكتب على يده بذكر ما اعياه من الداء
بمكان موليه ابي علي وفايق وحطبهما على دولته وقصدهما اياه في نفسه
ومملكته واستبدادهما عليه بارتفاعات حوزته غير ناجعين الى حشمة
ولا راعيين لحق نعمة ولا مستحيين من الحياء بعصمة وان الذي دهمه
من امرهما قد سد عليه وجه الخلاص وطريق الانتصاف الا من جهته
وما يرجوه من معونته والطف المقول في استدعائه وتطميعه في جمال ما
يتكلفه من نصرة اولياءه بفرط قوته وغنائه فصادف وصول الكتاب
والرسول نفسا منه مرتاحة للاجابة منشرحة لطاعته نواقة الى مقام
الجمال بارتهان رضاه وموافقته وبادر بالعبور الى ما وراء النهر
للقاء الرضي ومشاهدته واستماع المقصود من رايه واشارته ونهض الرضي
الى ناحية كش فخيما بها على موعده ووصل اليه الامير سبكتكين فالتقيا

هناك على أحسن ما يُسمع بمثله من تسوية المواكب وتعبية الخيول والكتائب
وقد كان الأمير سبكتكين يستعفي لشيبته عن منزل الخدمة وملتزم الأرض
على رسم الطاعة فأُعفي عنها اكتفاءً بصدق الضمانة والرعاية منه حتى إذا
اختلط الخيول والتفّت الصفوف وأصابت عينه صفحة وجه الرضي
أزعجته روعة الملك وأبهة العز للنزول والتسرع بما كان يستعفي
منه قبل الوصول فتلقاه الرضي بتمام الإعظام والإكرام ورعاية الحق
والذمام وجرى مشهد لم يُسمع بمثله في الفخامة وتباشر الخاصة والعامة
وأمر الرضي بإقامة ما وجب إقامته له من صنوف الأنزال وإتباع ذلك بما
يصلح لأتباعه من طبقات الرجال وسأله بعد ذلك أن يفرغ له نفسه و
ينصرف بغزوه إلى قصد أبي علي وفائق وكفاية شرهما عنه فضمن له إحسان الطاعة
وبذل الوسع والاستطاعة واستأذنه في الانكفاء إلى وطنه ريثما يجمع
متفرق الأهبة وينظم منتثر العدة ثم يواجه الخطب بجد جديد وحد حديد
وبأس شديد ويجول في بحار من حديد فأذن له وصرفه وأمر له من الخلع
الفاخرة والأخبية الباهرة بما ضاهى جلالة قدره وأكد الثقة بصادق
وعده ورجع كل منهما إلى مكانه وأقبل على استصلاح شأنه ومحادثة صفحة
سنانه وورد على أبي علي من ذلك ما أهمه عليه وجه التدبير وسد
عليه باب التقديم والتأخير وجعل الرأي شورى بين أصحابه فيما كثر

له الأمر عن نابه فكانت زبدة مخضهم مكاتبة فخر الدولة ومعاقدته وموادّته
ومعاهدته ونائل خالٍ في جانبه تُرجى ليوم العثار ونائبات الليل والنهار
فأرسل إليه أبا جعفر ابن ذي القرنين بما أعرض من تحف خراسان وأوفد
الصاحب مثل ذلك طمعاً في حصول الغرض المقصود من الاتحاد على يده
ويمن سفارته ووساطته وحدثني أبو جعفر أنه دخل على الصاحب فعرض عليه
ما كان صحبه ثم قال تخاطبنا عن صاحبه مثلنا في حمل هذه التامة الطفيفة
إلى الصاحب الجليل مثل من يستبضع التمر إلى هجر فقال الصاحب قد ينقل
التمر من مدينة الرسول عليه السلام إلى هجر لا للحاجة ولكن للتبرك به
وسعى الصاحب في تمهيد الحال وتوكيد أسباب الوصال حتى تمت الألفة
واستحكت العصمة ودرّت المكاتبة واستحكمت الصداقة وقد كان مأمون
ابن محمد صاحب الجرجانية وأبو عبد الله خوارزمشاه قد أحسنا التقرب
إلى الرضي أيام انحيازه إلى آمل بما ساعدهما الوقت عليه من مال وحال
فعرف ذلك لهما وأحب أن يجزيهما عما خدماه به وقدماه من قدم الطاعة
فجعل نسا برسم مأمون ابن محمد وأبيورد برسم أبي عبد الله خوارزمشاه
وعقد لكل منهما على عمله عقداً فأنهض كل واحد منهما من يقوم بضبط
عمله وتدبير ما أضيف به فأفرج أبو علي لمأمون ابن محمد عن نسا لحالٍ بينهما
في المودة قديمة وأسباب في الاتحاد وكيدة ودفع خوارزمشاه عن أبيورد

اعتلالاً بالهنا ولاية اخيه ابي ابرهيم وانه لا يمكنه النزول عنها الا بعوض
له منها وامر بطرد اصحابه عنها وتسلّم دونها فاسرّ ذلك خوارزمشاه
في نفسه الى ان تمكن من الفرصة في امره فاستشفى منه على ما سنذكره
عند الانتهاء الى ذكره وطلعت خلال ذلك رايات الامير سبكتكين من
غزنة على ما كان سبق من وعده وجمع واحتشد واستمد واستنجد وقام في
الاحتياط والاستظهار وقعد وساق امامه الفيول التي ملكها على ملوك
الهند في غزواته ومقاماته وعبر الرضي الى الجوزجان فالتقى مع الامير
ابي الحرث الفريغوني واليها واقام الى ان وصل الامير سبكتكين ولحق
به الشار ومن جرى مجريه من زعماء البلاد في طبقات الاجناد فاجتمع سواد
شرقت بهم المسالك والمذاهب واجدبت عليهم المراتع والمشارب فنهض
ابو علي وفايق من نيشابور الى هراة وبها ايلمنكو غلامه وصاحب جيشه فخيم
بها مدافعا عنها ومراميا دونها وضوى اليه من كان مقيما من جهته
بمرو الرود وبادغيس وغيرهما من النواحي اخذا بالحيطة واحتراسا من الغرة
وسار الامير الرضي والامير سبكتكين حتى اناخ بناحية بغ وارسل عند
ذلك ابو علي الى الامير سبكتكين يذكره الحال التي كانت بينه وبين ابيه
من المودات الممهدة والحرمات الوكيدة وما استمر عليه بعده من تبرئة
في الاتحاد والوداد والاشتراك والاشتباك ويسئله ان يتوسط الامر

بينه وبين الرضي على ما يجلو حزازة قلبه ويطفي حرارة غيظه ويبرد
شادّ اناته ويمسح جانب رضاه محتكما عليه بما يستصوبه في حسم الداء
وحقن الدماء وتسكين الدهماء وتاليف الاهواء فاحسن الامير سبكتكين
الاصغاء الى ما سئل وشد النطاق لما التمس وامال الجهد الى الاستطاع
ووضع السلاح على عادته في كراهة الفتن واماتة الاحقاد والاحن
وسال الرضي في مجالس عدة شفاها ودسّا له ان ياخذ بادب الله تعالى
في العفو والغفران واقالة العثرة بفضل البر والاحسان ايثارا للذي
هو اقرب للتقوى واحمد في البدء والعقبى ولم يزل به على اتصال الفترة
واشتغال جمرته حتى سمح بالاجابة واسجح بالعفو والاقالة على ان يفتدي
من ارش عصيانه بخمسة عشر الف الف درهم يؤديها في ثلثة انجم على رسم
الموافقات وكتب اليه الامير سبكتكين بذكر ما انتظم من الصلح على
يده وانتظم من عقد الصلاح بسعيه وكده وتشاور اصحاب ابي علي
ووجوه قواده في اقتسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه من الغرامة
واغتناما لما يرجون عليه من السلامة فصادف ذلك حدة من
شبّانهم ونزقا من احداثهم وفتيانهم ذهابا بانفسهم على الاذعان
للمكافة والرضا بالصلح الجامع لمصلحة الكافة وثار من ذؤبان الاكراد
وسرعان الصعاليك طائفة الى معسكر الامير سبكتكين فاجتلسوا

منه غلاماً له كان يلي امر الفيلة وقتلوه في عدة ممن اصابوا غرتهم
وانضاف الى ذلك ان رسول الامير سبكتكين لما كرّر وراءه بجواب ما
تحمّله وافق ابا الفضل الزيادي احد نواب ابي علي موكلا ببعض تلك الثنايا
والمخارم فقال له هيهات ان سعيك لفي ضلال وان صاحبك لا يلقى
الا في مجال ما نحن باحلاس الصلح وابنائه ما دامت هذه العيون قاطعة
سوادها والعواتق حاملة نجادها يعني به قول القائل شعر كذبتم وبيت
الله لا تاخذونها • مراغمة ما دام للسيف قائم • فلما انهت هذه الاخبار
الى الامير سبكتكين استشاط غضباً وقضى من ادبار القوم عجباً
وعزم على المناجزة واستخار الله تعالى في صدق المجاهدة وارسل
الى ابي علي ان خذ في ارهاف سيفك وسنانك فقد حيث بما لا
يغنيك عنه غير حدة الحسام وثبات المقام وزحف الى الفضاء الرحب
بفرهنة يوم الاربعاء من شهر رمضان سنة اربع وثمانين وثلثمائة ووثب
الحول مقانب ومناسر وعبى الجيوش ميامن ومياسر وشحن الصفوف
بفيلته المجففة كانها شواهق اعلام او طوارق غمام ووقف الرضي به
وبالامير محمود ولده في القلب شجواً بكماة الرجال ومحفوفاً بحماة الابطال
شعر من كل اروع يرتاع المنون له • اذا تجرد لا نكس ولا نكد • يكاد يبدي
القرن من حنق • قبل السنان على حوبائه برد • وسار نحوك الارض سائره

والجبال نابرة والنجوم منكدرة والسماء منفطرة وثار من وقع السنابك
نقع اوهم كسوف النهار الشامس او عود ظلام الليل الدامس وقد كان
ابو علي رتب جيوشه اسوة الامير سبكتكين فجعل فائقاً في الميمنة واخاه
ابا القاسم والميكالي في الميسرة وثبت في القلب مع حماته وذوي الوفاء
والحفيظة من ثقاته فكانوا على الحقيقة جنس الطواويس من وبيص الحديد
ولمعان الحمرة والبيض واشرقت عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق وتلالا
الافاق حتى اذا اندانت الخطى بين الفريقين بدات الفائقية بالحملة على
ميسرة الرضي فبددوا نظامهم وزعزعوا عن المقام اقدامهم وثنى ابو القاسم
ابن سيمجور بمثلها على من قابله فصنع صنيع الاخرين وحل دارا ابن شمس المعالي
من قلب ابي علي فظنوه يسعى لشرف المقام او رعاية حق الانعام حتى اذا بلغ
بين الصفين وفي ظهره ترسه واقبل على موقف الامير الرضي بوجهه فاستامن
اليه ووقف للقتال بين يديه وانخزل اصحاب ابي علي لما اخفره من الذمة
وقطعه من العصمة اشفاقاً من مواطاة اضرابه اياه على مثل صنيعه وعندها
حمل الامير محمود على قلب ابي علي في سواد فليج بفيلة كاهل الارض وشد
بقسطله مناكب الافق فلم يلبث احد من اصحاب ابي علي لكفاح او مدافعة
بسلاح بل انفضوا عن مواقفهم انفضاض العقد خانه النظام وانسل منه الفرد
والتوام وجعلوها هزيمة انتكست بها الاعلام وغصت بجموعهم الاباطح

والاعلام وركب الامير محمود اكتافهم بضربات تفلق الهام انصافا وتسقي
النفوس سمّا ذعافا فلم يبق الاسرعان تلك الجموع ومن خفّ عن ظهره
ثقل الجواشن والدروع وغنم اهل العسكر اموالا لو افتدي ببعضها
على الصلح المعقود لبقيت الوجوه بمائها ووضعت الحرب تلك الاوزار
عن ابنائها وسار ابو علي بالفلّ من اشياعه الى نيسابور فاقبل بها على جبر
الكسير وريش الجسير استعدادا للانحياز عنها قبل رهق اللحاق ووشك
التلاق وخيّم الرضي والاميران سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما اجمّت
ركابهم ووفرت على الاولياء رغائبهم ولقّب الامير الرضي الامير سبكتكين
بناصر الدولة ووارث مملكته السلطان محمودا بسيف الدولة وقلّده قيادة
الجيوش سادًّا مكان ابي علي به وسار الى نيسابور في هيئة اشعرت النفوس
مهابة وملأت قلوب الاعادي كآبة ورجال كالقروم المصاعب وافيال
كالاسود مخطومة بالاساود وفي ذلك يقول ابو الفتح البستي شعر سيف
الدولة اتّسقت امور رايتها مبتدءة النظام سمّي وحمي بني سام وحام
فليس كمثله سام وحام وسنجري ذكره انفا بسيف الدولة الى افضاء الله
الملك منه الى مظنة الاستحقاق وشهره بلقب اليمين في كور الافاق ولما
تسامع ابو علي بمكانهم فارقها منجدا الى جرجان على الوثيقة التي كان اخذها
على فخر الدولة في بذل المشاركة وصدق المساهمة حتى الم بها وكتب اليه بالحال

التي الجأته الى قصده والانقطاع الى جانب مملكته وارسل ابا نصر
الحاجب اليه في تقرير حاله واستدعاء معونته بذاته وماله واستناب القضاء
في تنجز ما كان يعده لنفسه على الايام من بركة وصاله ويعتدّها من ثمرة
وداده فامر عماله بقيام مناوبة لوكيله وبالغ في التقدم من ارتغاث
جرجان لاهل عسكره واقام هو وفائق بجرجان حتى انحسر عن غرة الربيع
قناع الشتاء وانكشف عن الزمهرير آفاق السماء وقد كان الرضي انحرف
عند انحدار الامير ابن سبكتكين وابنه سيف الدولة الى نيسابور بعبد الله
ابن عزيز الى طوس انحرافا عليه مما صوّره له من ارصادهما اياه بالمكروه
على مادعته النصيحة اليه من مناقشتهما في بعض الاعمال والاموال فنهض
الامير سيف الدولة محمود على اثره اظهارا للبراءة واستشعارا للطاعة
واستتماما للخدمة وازاحة لعارض الظنة وطار عبد الله بقوادم العقاب
تحت حوافي الليل الى مرو على عوادل الطرق اشفاقا على نفسه من غائلة
التضريب فعل المتهم المريب وتلقّى الرضي مورد سيف الدولة باتمّ اقبال
واشبال وصرفه وابنه على احسن حال وانعم بال وانخل بعقبه الى مرو
لاحقا بوزيره وتم منها الى بخارا حتى استقر بها على سريره وقد كان الامير
سبكتكين وسيف الدولة لما وصلا الى نيسابور فرشا مهاد العدل و
رفعا عماد الامن وتتبعا رسوما كانت حائفة من قبل فنسخاها وبثّا الرأفة

وحسم المخافة وارتياد مصلحة الكافة فانشرحت الصدور واستقامت الامور
وامنت الطرق وانسلت القوافل والرفق ثم سنح للامير سبكتكين ان ينقلب
الى هراة لمطالعة ما كان برسمه فسار واقام سيف الدولة بنيسابور على قيادة
الجيوش وزعامة الجمهور وقد كان ابو علي طمح الى زيادة من المال يحمل اليه
معونة له على اقامات عسكره من الري فكتب اليه ابو نصر الحاجب بان غرض
الكتاب قربت المراد وكان من جواب فخر الدولة ان مثل الملوك مثل
الانهار العظام تصطفق مياهها وتزدحم شعابها فيرى الناس ملتقى
عبابها ومصطفق امواجها ويغفلون عن الجداول التي تغترف منها
والسواقي التي تنشعب عنها ولو انا قدرنا على مؤن اهل خراسان لاستقصاها
الى ما نليه من سرة الارض وواسطة الاقاليم لكنا سمحنا بما تيسر والعذر
ظاهر فيما تعذر فاستوحش ابو علي من جوابه واستشار رفقاءه ووجوه
قواده في تدبر الامر بصوابه واتيانه من بابه واختلفوا وهم بحسب اجتهادهم
في المشورة ودوتهم في استكشاف العواقب المستورة فاشار بعضهم
بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضي بها والكتاب اليه
بالطاعة وضمان الاتاوة اذ كانت تلك ولاية قد عاثت صيد الملوك
وصناديد القروم على خطبتهم لها بشم العساكر وطلابهم اياها بسمر الرماح
وبيض البواتر واذا انهم عليها مصونات الرغائب وتغريهم فيها بكريمات

والخرائب وقد حصلت له عفواً صفواً وانفتحت عليه سهواً رهواً وبيع
العين بالضمار محال وافاته النقد بالشيء الكالئ ضلال واشار فائق
بمناهدة الامير سيف الدولة ومناهضته لاعتراض الفرصة عليه بتفرق
الجموع عنه واخلاد ابيه بالمخالفة هو واجرجان طباع عسكرهم ونكاية
فيهم قد دمنا بسكرهم الفصل ويحدم عليهم الجو فوافق هذا الراي
جمهور العسكر لحرصهم على الوطن ونزاعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا
على هذا الراي وتطابقوا على الانكفاء واضطروا ابا علي الى مساعدتهم
واتباع ارادتهم وعند ذلك ورد الخبر بمضي الصاحب اسمعيل بن عباد
لسبيله وكان معنيا بمصالح ابي علي وتحسين آثاره والاشارة على فخر
الدولة باغتنام جواره ومعاونته على ثباته فنكرته الى ابي علي بغيته
فضل المقام واغراه بتعجيل الانتقال والانصرام ولما استاثر الله بالصاحب
اكثر شعراء العصر في مرثيته فمنها قول ابي محمد الخازن شعر يا كافي الملك
ما وفيت حقك من ∴ مدح وان كان تمجيد وتأبين ∴ فت الصفات فما يليك
من احد ∴ الا وزينه اياك تهجين ∴ هذي نواعي العلى قد قمن نادبة ∴ من بعد
ما ندبتك الخرد العين ∴ تبكي عليك العطايا والصلوة كما ∴ يبكي عليك
الرعايا والسلاطين ∴ مامت وحدك لا بل كل من ولدت ∴ حواء طرا بل الدنيا
بل الدين ∴ قام السعاة وكان الخوف اقعدهم ∴ واستيقظوا بعد ما نام الملاعين

يا كافي الملك ما وفيت حقك من
مدح وان كان تمجيد وتأبين
فت الصفات فما يليك من احد
الا وزينه اياك تهجين

لا يعجب الناس منهم ان انتشروا ☼ مضى سليمان فانحل الشياطين ☼ ومنها قول
ابي سعيد الرستمي الاصفهاني بعد ابن عباد ☼ هش الى العلى اخو امل
او يستماح جواد ☼ ابى الله الا ان يموتا بموته ☼ فما لهما حتى المعاد معاد
ومنها قول ابي عيسى المنجم ☼ والله والله ما افلحتم ابدا ☼ بعد الوزير ابن عباد
ابن عباس ☼ ان كان منكم جليل فاجلبوا اجلى ☼ او كان منكم رئيس
فاقطعوا راسي ☼ ومنها قول ابي العباس الضبي وقد اجتاز ببابه بعد موته
ايها الباب لم علاك اكتئاب ☼ اين ذاك الحجاب والحجاب ☼ قل بلا رغبة
وغير احتشام ☼ مات مولاي فاعتراني اكتئاب ☼ مات من كان يفزع الدهر
منه ☼ فهو الان في التراب تراب ☼ ومنها قول ابي الفتح البستي الكاتب
مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده ☼ كريم يروي الارض صوب غمامه ☼ فقدناه
لما تم واعتم بالعلى ☼ كذاك كسوف البدر عند تمامه ☼ ومنها قول ابي منصور
الثعالبي ☼ الا يا صاحب الدنيا وعين السودد اليمنى ☼ اما استحيى ابو يحيى
لقبض العالم الكبرى ☼ لئن ختمت بك الدنيا لقد فتحت بك الاخرى ☼ ورحل
ابو علي من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائة
ونفذ معه فايق على طريق اسفراين حتى اذا قارب نيسابور عدل اليه واختلط
بوساده امير المستعدين للحرب المجدين في الطعن والضرب وبلغ سيف الدولة
خبرهما فكتب الى الامير سبكتكين باقبالهما وبرز الى ظاهر البلد في خف من العدد

باد هران تك كا محالة تزجي عرضتي ولكل دهر شان
فاقصد براحلتي هراة فانها عدن وان رئيسها عدنان

وختم به على انتظار المدد فاعجلاه عن المراد وناوشاه الحرب قبل وصول
الامداد فاضرم عليهما نارها وباشر بنفسه وخاصته اوارها من حيث
ترحل زاد الضحى الى ان القت ذكاء يمينها في كافر فعصفرت ارض الوغى
بدماء القتلى واضحت مناسم الفيول رجالا كانوا اركانا للصفوف
عند اشتجار الزحوف واختلاط الاسنة والسيوف وهم اصحاب الي
بالانخزال جبنا عن النزال ثم تداعوا مناص طلبا للخلاص فكانت حملة
وافقها المدد وانحاز سيف الدولة بمعظم جيشه الى مناخ ابيه الامير
سبكتكين في امان من لباس الظلام ارصادا للخصوم بيوم الكرور على
الثاد واسلامهم لقدار الاقدار وتخلف عنه ما اعياه استصحابه
من اثقال وفيلة ثقال وعجز عن خدمة صحبته طائفة من رجال الهنود
وساير افناء الجنود فكانت عند ذلك شغلة لابي على اطمعته في استقلاله
وعوده الى المعهود من حاله لكن الله تعالى قضاها سببا لاجتياحه
واستيصاله واشار عليه عند المنامه بنيشابور ان تتبع اثر الاميرين
معجلا لهما عن عدة الارتياش والانتعاش وقوة الاستنجاد والاستعداد
فادرتها فعل من كلت بصيرته وانحلت مريرته وعمي عليه قصده ونعى
اليه جده واخذ يعتل بصفورة يده وخلو خزائنه واشفاقه من خذلان
عسكره اياه ان دعاهم الى البراخ وسامهم خطة الكفاح واخذ يكتب

الى بخارا معتذرا من جنايته ومنتصلا من بادرته ومستقيلا عارض عثرته
ومستنجحا قبول عذرته وارسل الى الامير سبكتكين رسالة الواهي جلده
المتناهي كده المخاذل لسانه ويده يحيل بالكشفة التي استمرت بالامير
سيف الدولة على فايق وساير اهل عسكره لاكراههم اياه على مفارقة
جرجان ومعاودة خراسان وانه لو وجد الى مراده سبيلا اوفى ذروة اختياره
وهواه مقيلا لما التفت لقصد خراسان ما عاش تفاديا عن وحشته وتحرزا
عن كراهته ويسئله ان يهيل ثاره ويستوهب الرضى خطاءه وعثاره فلم
يرده رسالته الا التطمع في اغتياله والتنبيه على انخزاله والتضرية
على اقتناصه والايمان من فوته وخلاصه وبث الامير سبكتكين الى من
تفرق عنه في ديار مملكته واطراف ولايته من قواده واجناده في استنهاضهم
الى مخيمه واستعجالهم الى مضربه وانهض ابا نصر بن ابي زيد الامير خلف
بن احمد والي سجستان يحثه اللحاق به من جميع عسكره وكتب الى الامير
ابي الحرث الفريغوني والي جوزجان بمثله وطالع حضرة الرضى باستعداده
وانتظار ما يرد عليه من مثاله وكتب الرضى الى القواد بنواحي خراسان
بالبدار اليه وتتابعت الامداد من كل جانب عليه فصار الامير سبكتكين
في جيوش لو زاحموا الجو لاستنزلوا طيارته او وردوا البحر لابدوا قراره
وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت به مذانبه

وقد كان فايق عدل الى طوس يكاتب الامير سبكتكين مداهنا ويطمعه في
الانحياز اليه مهادنا فتلقى وجهه بمثاله ويحيل عليه بلاء سباله و
نكفاه امير ك الطوسي حد الامر لمنابذته لابي علي بين الطاعة والمنا
والموافقة والمنافقة يقدم رجلا للورود ويوخر اخرى للقعود فقد
ابو علي ابا القاسم الفقيه اليهما للاستمالة ويحذرهما قدم الضلالة
اليهما واخذ له الميثاق عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما وسار
ابو علي وتلقاه فايق وامير ك بناحية الطابران فانعقدت كلمتهم على
التظاهر والتظافر وخلصت نياتهم في التساعد والترافد واختاروا
معسكرا بقرب اندرخ فخيموا به وقد كان ابو القاسم اخو ابي علي قد عتب
بعد وله بولاية هراة وتمرات اعمالها عنه الى ايلمنكو غلامه وتقصيره فيما
يقترحه عليه من امثالها على وفائه له وولائه اياه والتزامه حكم المشا
له في كل ما نابه وعراه فتقاعس عنه عند نهضته من نيشابور اعتلالا
ببقية من اشغاله حتى اذا انقضت مدة ارتحاله اليه من وصوله وصاله و
احوج ما كان الى عونه ونصاله فزاد ذلك في انخزاله وكسوف باله وحث
الامير سبكتكين تلك الخيول في قصد ابي علي حين اناخ بطوس مقابلا
لمعسكره فاردفوه من قرى طوس فتادفقت الخيول وتشابت الجنود الى
التطارد والتجالد فبغوا على ذلك سحابة يومهم فلما قبض الليل مسافة

ابصارهم غادوا الى مضاربهم ومقارّهم وشاور ابو علي وجوه قواده في
معاودة الحرب فاشار عليه ايترك الطوسي وذووا الحصافة منهم بلحى
الجبل والاستظهار على الامير سبكتكين بمناعة ارجائه وغزارة مائه
وسعة العلوفة من ورائه ومماده الحرب على اعرار الرجالة مبيتين وخابرين
ومغيرين وغايثين الى ان يدركه الملال ويلحقه الفشل وتفرق عنه الحشر
فسدها بناخوبه على بصيرة وقوة مرية واستماحت خيرة فشغب من سمع
هذا الراي من احداث العسكر وقالوا اما لنا نطاول القوم ونتدافع الى
لا تعرف الناس انا نميل عن المصاولة الى المطاولة وعن المساورة الى
المصابرة فها نحن نسائفهم المنية ونصبحهم منها كاسا رويّة فانتقض
عليهم التدبير وصار المامور هو الامير ووثب كلا العسكرين عند
انفلاق الصبح الى الاستعداد للقاء والاحتشاد لحرة الهيجاء واقبلوا
على تسوية الصفوف مشحونة بالالوف كاجام الليوث من ذبل القنا و
السيوف وحصن الامير سبكتكين مواقف عسكره بنخب فيلته فحكت
الطواد افارعها وامواجا تدافعها ودنا الفريقان بعضهم من بعض فلم يرع
ميسرة ابي علي الا رهج ثار عليهم من وراء قرية فرضتهم ذات اليمين فاذا هم
بالامير سيف الدولة في اللجم والكوم والليل المدلهم وتزلزلت اقدامهم
وضلت احلامهم وانهالهم وداد ان قلب ابي علي قد حمل على قلب الامير

کتابخانه مجلس شورای ملی

سبكتكين فساعدوهم على حملتهم تفاديا عن ايقاع الامير سيف الدولة
بهم فمزقوا صفوفه ونقضوا عن الزحام موقفه فوقف لهم الامير سبكتكين
فيمن اجتمع به والتف عليه من خواص غلمانه وردّ حملتهم في وجوههم فادبروا
على ادبارهم وقد اطل سيف الدولة عليهم من ورائهم فبقوا محصورين
بين العسكرين واخذتهم السيوف من كلا الجانبين وثار قتام خلط
البعض بالبعض فلم يتميز غير ووقع البيض على بيض المغافر وحطم الدبابيس
ما بين الطلى والعواتق وظلت خراطيم الفيول تسلب الفرسان من صهوات
الخيول وتلحق القاتل بالمقتول وبلغ سيف الدولة من الايقاع والايجاع
والانتقام منهم وصب السيوف عليهم ما لو سمع به رستم في زمانه لرهبه
وخلعت عنانه وهدّته اداب سيفه وسنانه وفات بعض المحصورين بقايا
المهج تحت غواشي الرهج وبرزا انا الادواح من شجر الرماح فانجلت المعركة
عن قتلى مضرجين في الدماء وجرحى مطرحين على العرا واسرى ابين
من القدا وركب سيف الدولة اكتاف الفل فاسر منهم من قصر عن اقتحام
شعاب الجبل وعمى عليه وجوه تلك المغارات والمدخل وكان من جملة
الماسورين ابو علي ابن نصر الحاجب وبكتكين الفرغاني وارسلان بك و
ابو علي ابن نوشتكين واياسار ابن سجاف الجبلي ولشكرستان ابن ابي جعفر
الديلمي فهؤلاء اعيان عسكر ابي علي ورؤوس قواده ووجوه اركانه

واعضاده وسار ابو علي ابن فايق بين مهاوي تلك الجبال ومصاعد تلك
القلال الى ان اناخا بقلعة كلات وهي التي تخفي التياح بين ثغافها
وتزل الابصار دون ذوايبها وشعافها فاضافهما بها ابيرك الطوسي
الى ان ظهر لهما عدد من سبق ومن لحق وجملة من اجتمع ممن تفرق وكان
ابو علي قد سرب الغيلة التي قبض عليها بباب نيشابور الى كلات في
جملة ضبنته وكتب ابو علي ابن نصر الحاجب وساير الاسراء يذكرون ان
الامير سبكتكين قد استدعاهم ومناهم ووصلهم وحباهم ووعدهم الافراج
عنهم متى ردت تلك الغيلة الى مرابط امثالها من مناخه وسالوه ان يفعل
ذلك تنفيسا عنهم وتخليصا لهم فتقدم ابو علي الى ابيرك بردها والافراج
عنها ونهض هو وفايق على سمت ابيورد مصحرين عن تلك المضايق فبعث ابيرك
تلك الفيول الى الامير سبكتكين وكتب اليه يريه انه المتقرب بردها المتفرد
بالخدمة فيها فاستشعر بذلك ريبته واحبط على ابي علي قربته وفي ذكر هذه
الوقعة يقول ابو الفتح الكاتب البستي رحمه الله شعر الم ترنا اتاه ابو علي
وكتباه ذالت وكيس ❊ فصار مذللا لابعد اعتزاز ❊ وظل مقفقفا من بعد
مين ❊ عصى السلطان فابتدرت اليه ❊ رجال يقلعون ابا قبيس ❊ وصير
طوس معقله فاضحى ❊ عليه طوس اشام من طويس ❊ وسار ابو علي وفايق
الى سواد ابيورد على ان يقصدا كورة نسا فنخ لفايق ان يعدل الى سرخس

لراي رآه وخذل ابا علي على المكان وسار بمن معه من الغلمان فلما سمع
ابو علي بنبأه ارسل اليه باني غير مفارقك على اية حال تصرفت بنا من
اجداب واخصاب واحزان واسهال وان ركوب هذا الطريق كان
على ما سنح لنا بادي الراي من الصواب واذ قد بدا لك في التدبير
فاني تابع رايك وها انا من ورائك فوقف له الى ان لحق به وسارا الى
سرخس ومنها الى مرو وحين تسامع الامير سبكتكين بمجرعدوهما عن سمت
ابيورد نهض على اثرهما مسرعا واستخلف الامير سيف الدولة على ما فوض
اليه من اعمال نيشابور ضامنا عنه كفاية امرها فقضيا اوطارهما
بمرو ثم اخترقا مفازة امل الى الشط متجرين بحزونة المفازة وصعوبة المنا
وانسداد المسالك وانهدام المناهل والقيا بها عصا التراد وارسل
ابو علي ابا الحسين محمد ابن كثير وفايق عبد الرحمن ابن احمد الفقيه ورسيهما
الى بخارا في استعتاب الرضى واسترضائه واستقالته الى رغائب حقوق
مواليه واوليائه فاما ابو الحسين ابن كثير فانه صرف وزانه على وجه جميل
وكتب الى ابي علي في تمنيته وتاميله ورسم له ان ينحرف الى الجرجانية فيقيم
بها الى ان يستانف تدبير امره بواجبه واما عبد الرحمن ابن احمد فانه
امر باعتقاله ووضع في الحبس على رسم امثاله وندب من بخارا بعض الموثوق
بكتاب الى مامون ابن محمد والى الجرجانية ليتقدم بتقرير خالة وذكر ما

من الراي في بابه فاستغض فاتق لما قوبل به رسوله وعمد ان يعبر النهر الى ما
وراءه ملتجئا الى ايلك الخان ومستصرخا اياه ومستعينا به على نادها
واشار على ابي علي بان يساعده ويجمع اليه يده وساعده فان الغرض المقصود
في طرحه الى الجوزجانية تعريق ذات بينهما في المساعدة والمرافدة والاجتماع
على المخادمات باليد الواحدة وان الذي عساه ابديهما من الخلاف
على تلك الدولة اضطرارا كان او اختيارا لا يوجب الاغضاء عن تبعاته و
الذهول عن نفثات انيابه وحماته فاختار ابو علي متابعته على مساعدة
ومجانبته على مقاربته سر الله تعالى فيما احكم به من صدع شمله وقطع حبله
ووضع رجله شعر فليس لرحل حطه الله رافع * وليس لامر شانه الله دافع
وافترقا عن متاخمتها فاما فايق فعبر النهر الى ما وراءه عائذا الى ايلك الخان
مستجيرا اياه وواصلا عروته بعراه فانهض من بخارا على اثره بكتوزون الحاجب
فصادمه بجدود تنف وولى كل واحد منهما صاحبه ظهره بعد ان التقى
في اللقى عدده فقبله ايلك الخان احسن قبول وقراه احسن مقول ومفعول
وضمن له الوفا باملة ورده الى ما استنزل عنه من عمله واما ابو علي فانه اخطا
الطريق وحرم التوفيق فبادر متعللا بما اجترحه من العصيان مجلا لما فاته من
فرصة البر والاحسان قد كحلته يد القدر بمرود الحيرة والسدر وغمت عليه
غياهب القضاء مذاهب الفضاء فهو يخبط خبط عشواء مستبدلا للمقدور

مستلما لطوارق المحذور انشدني ابو حاتم البستي المذكر في مثل حاله
شعر اذا اراد الله امرا بامرئ * وكان ذا راي وعقل وبصر * وحيلة يعملها
في كل ما * ياتي به مكروه اسباب القدر * اغراه بالجهل واعمى عينه * وسله
من عقله سل الشعر * حتى اذا انفذ فيه حكمه * رد اليه عقله ليعتبر
ثم ومر ابو علي قدما على سمت الجرجانية الى ان بلغ به المسير الى هزاراسف
وهي قرية تقابل بلد خوارزم من جانب الغربي فارسل اليه خوارزمشاه
من اقام له نزلا وقدم اليه عذرا ووعده العبور اليه غدا للمشاهدة وقضاء
حق وفادته وقد كمن دهاه الغي من افناء عسكره في خمر الغياض والاجام
لاغتياله جنح الظلام وحكى لي ابو علي الحسنامي احد ثقات ابي علي وكان
قد نهض فيما مضى من ايامه رسولا من جهته الى ابي عبد الله خوارزمشاه
انه انشده ابياتا لابن المعتز ورسم له تبليغها الى ابي علي معنى النصيحة
اذا امكنت فرصة في العدى * فلا تبد فعلك الا بها * وان لم تلج نابها
مسرعا * اتاك عدوك من بابها * واياك من ندم بعدها * وتاميل اخرى
واتى بها * قال فوديتها له وذلك قبل استيحاش ابي عبد الله عليه
بمدة ثم ذهل عنها كان لم يقرعها قط سمعه ولم يستودعها يوما من الدهر
ذرعه ولم يعلم انها كانت رمزا له من الايام بارتقاب النوائب وانتقاء
العواقب ولم يدر ان للاعمال والافعال جزاء يحيق باربابها وحيا او بطيئا
محسنا او مسيئا وغفل ليلته تلك من الاحتراس واقتدى بغفلته سائر

الناس حتى اذا ائتمّ العيون كراها ونفثت النجوم سراها ضجت الآفاق

بخفق الطبول وغطغطة الخيول واحيط بالقصر الذى نزله ابو على على قاله

او نيل المراد من استنزاله فثار من حضر حوله من غلمانه للدفاع وما يستجرّ اليه

المصادع وخفّ بنفسه الى زعيم القوم يسأله ما خطبك وما ذا حربك

فقال ان خوارزمشاه امرنى فتقرّب اليه برفق الاذعان دون عنف

الضراب والطعان فهو للفتنة اطفى وللاحنة انفى ولباع الانتقام

اقصر ثم انه بالرأى البصر فبادر ابو على الى النزول فاستردفه الزعيم

حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك قبل الفجر من ليلة السبت غرة شهر رمضان

سنة ست وثمانين وثلثمائة وامر به الى بعض القصور معتقلا فيه وشد

على اصحابه وقواده فاسر منهم الاعيان والاركان وافلت ايلمنكو صاحب

جيشه بمن اتبعه نحو الجرجانية ونودى فى الافراد وخدم القواد من اقام

يومه هذا السيف ابيح دمه فتفرقوا ايدى سبا فى الاقطار كتوارد الامثال

واعتقل الباقون على صفاد وخسار الى ان اذن الله فى خلاصهم

بوالى الجرجانية مامون بن محمد وذلك انه لما سمع نبأ ابى على وما ادركه

منه خوارزمشاه اضطرب قلقا واضطرم حنقا وبات يرعى النجوم ارقا

الى ان استتب له التدبير عليه فرماه بعسكر جرار يستخفون ثاقل الاعمال

ويخوضون مشارع الاهوال ويعلون رواسى الجبال ويستنزلون العصم

من شعف القلال وسار فيهم ايلمنكو فى خواص ابى على برجال قد اوغر بهم

الحفائظ والاحن واحرجتهم النوائب والمحن فهم ينعون الى الثار ونفى

العار ودرك الثار فعبروا الى كاث مدينة خوارزمشاه واحاطوا

بها احاطة الاطواق بالاعناق وناوشوه الحرب من كل وجه ودرب

فظلت تلفح وجوه رجاله بجمر القنا حتى اجلتهم عنها مدحورين وحصلتهم

فى ربقة الاسار مقهورين وظفروا على خوارزمشاه فى قرارة بيته فاعطاهم

بيده ووصل الى ابى على فحمل ثقل قيده على كعبه وتبادلت الاهما

فى دفعة من اديم النهار فصار الاسير منها اميرا والامير اسيرا وكان

ذلك على الله يسيرا وتحمّل ابو على نحو الجرجانية فى احسن شعار وحمل

ابو عبد الله على قتب غار بين خزى وعار فاستقبلهما مامون بن محمد

فقابل ابا على بالاعظام والاجلال وعومل ابو عبد الله من ضروب الاذلال

بما يجل عن المقال وانسلخ مامون بن محمد عن مجهوده فى اكبار ابى على

واجلاله ومشاطرته صنوف امواله واقامة العطايا العامة رجاله حتى استطلت

اخوالهم وانسدت بها اختلالهم وقراه ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسا

كانما عمل عليه صناع صنعا تزيينا وتحبيبا وتنضيدا وتخيّر احفى

عليه فى الشرب احفاء الف ومسئلة لطف اذ كان قد هجر الشراب و

ودع منذ زمان فلما اخذت الكؤوس ماخذها منهما اقترح احضار

خوارزمشاه فاحضر يحجل فى قيده ولم يزد فى جواب ما سئل عنه وعيّر به

على الاطراق وسمر الارض بالحداق وجملة امره انه امر به فاذيق حمامه

عن منكبيه فلحق جنبه الى الارض شيبته البيضاء كذلك الله يفعل ما يشاء
وصفت خوارزم للمأمون ابن محمد فرتّب بها من اقام الخطبة برسمه وجبى اموالها
على حكمه وتابع كتبه الى الرضى مستشفعاً في امر ابي علي وسائلا ان يتدبر امره
بما يؤمن وحشته ويجبر خلته فخوطب هو وابو علي في الملتمس بصحيفة الملتمس
رضى عما انطوى عليه حقد دفين وداء في الصدر ردي فامر ابو علي بالمسير
الى الخدمة السرير فلاحت له اماني فعلق بها اجله واصلت عليها ذنبه فشخص
نحو بخارا سائرا الى دمه بقدمه وقد اغفلت الايام قلبه عن ذكر فعلاته
وزلاته ليلقى قدرا مقدورا وليقضي الله امرا كان مفعولا ولما شارف
بخارا استقبله الوزير عبد الله ابن عزير والقواد على طبقاتهم مهنئين
ومتبركين ومضى فيهم الى السهلة ونزل بها واخذ يلثم الارض الى ان بلغ
السدة ودفع له الحجاب وسار امامه الحجاب الى ان وصل الى الرضى فاستوفى
ادب الخدمة ولبس ذل كفران النعمة واستنزل بعقبه المنكوبين كبار اخوته و
قواده حتى اذا نودي بدابته للخروج من الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك
هو والاخرون في القيود والاصفاد واطلق على الوقوف بالباب ايدي
الاولياء والحشم فطبقوهم بالسلب والنهب وسلخوهم بين كل مضيق
مضيق ودريب وختمت حال ابي علي بيومه ذلك يوم نظام في صورة
واستقام صغره ونضج لثمره واعيا على وزره صدره كذلك كفران
النعمة لا يرضى الا بسخط صاحبه واباد الزمان بانيابه ونوائبه ورحمه الله

من قال فلقد احسن المقال شعر اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يأت من
امره ازينه واعجب بالعجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه فدعه فقد
ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه وقد كان الامير سبكتكين منجحا
بمرو فلما بلغه ايقاع خوارزمشاه بابي علي عدل منها الى بلخ فغني بها
على جملته في الطاعة وارتياد مصلحة الكافة الى ان ورد ابو علي بخارا
واوعز في بابه بما تقدم ذكره وطلع اثناء ذلك كتاب الرضى بما اهتم
به ايلك من الانحدار عن الاعالي وحيازة ما في ايدي عماله من اعمال
تلك النواحي يسئله تجشم الخفوف في وجهه لكفاية شغله متمما للصنيعة
عنده في استحياء دولته واستبقاء ملكه وحوزته فاستشار في ذلك
وجوه نصحائه ووزرائه فترجحت الاجوبة بين تبعيد وتقريب وتخطئة وتصويب
فاخذته العزة بالوفاء وهزته الحفيظة للندا فعدل عن مشورة النصحاء
الى صريمة العزيمة والرأي واقبل على الاستعداد والاحتشاد وبث كتبه
الى ولاة الاطراف وزعماء البلاد بتعجيل الورود وتقديم الوفود
وعجلهم الى العبور قبل تلاحق الجمهور ومضى الى ما بين كش ونسف فخيم
بقرية تدعى دارى الى ان وصل اليه ولاة الجرجان والختل والصغانيان
وسائر اطراف خراسان وورد عليه الامير سيف الدولة من نيسابور في
هيئة راقت العيون وهيبة راعت القلوب ورجال تؤذن اخاذهم بالالف

وافرادهم باضعاف قد دربتهم الحروب في حجورها وارضعتهم التجارب من
شطورها فلم نسمع بمعسكر بما وراء النهر جمع بين كبار الملوك واعيان القروم
وطبقات الجنود مثل ما جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك عبورهم
للقائه فارسل الى الامير سبكتكين عدة من شيوخ بابه يذكر انهما اخوان
في ذات الله تعالى لا تفاقهما على نصرة الاسلام واقتسامهما دیار الترك
والهند بالغزو والانتقام وانهما بحكم مساعيهما في اظهار دين الله واعلاء
حجة الله احق بارتفاعات خراسان وما وراء النهر من مستخلص يبذله على
مآرب نفسه وشهوات بدنه لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر حساما مغمودا
وان احتيا عمّا على خطتهما اعود عليهما من ركوب الخطر واجتلاب الضرر
لحظ تخلص الى غيرها وانه لا يستحل في دينه ان يعدل بالسيف عن اعداء
الله وجهه الا اذا اضطره اليه ابتداء وسامه الدفاع عن نفسه اعتداء فليخبر
ايما الامرين يراه من وفاق وافتراق وايتلاف واختلاف فهو كريم بناده و
يجدوا على غراره فرجع اليه ان اعتماد الرضي اياه بتاميله حين خذله
ابناء دولته وكفره واشاعة نعمته يذمم بذمم اليه الاغماض دون حيف يجري
عليه وملك يراد انتزاعه من يده وان تغريره بجميع ما يحويه على استغراقه
ايام العمر فيه احب اليه من سمة الخذلان واختيار الاساءة على الاحسان
فليقطع طمعه عن الرتاع حول تلك الرباع او فليأذن بحرب تتحطم فيها متون

الصفاح وتتقصد معها عوالي الرماح وترخص عندها غوالي المهجات
والارواح فلما علم ايلك جده وذاق بلسان الاختبار ما عنده قرع للأمر
ظنبوبه وشد للحرب حيزومه ورمى احياء الترك بقداح هي فيما بينهم
علامات الاستنفار فثار اليه الطم والرم جيوش تضل البلق في
مجراها ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وكتب الامير سبكتكين الى الامير
الرضي يستعجله اللحاق به لتقدمهم هيبته في مناهضة الخصم وفل حده وجرح
عن صدد الملك الى ما وراء حده واشفق ابن عزيز على نفسه من حركته
التي كانت الجأته الى الهرب واللياذ به من حر الطلب فنصح للرضي بان الأمير
سبكتكين وغامة ولاة الاطراف عبروا النهر في احسن عدة وعتاد
وابلغ استظهار واحتشاد وان المحن التي استمرت بك قد نفضتك عن
تحمل مثلك واخلت بزينة الملك في رحلك فيقبح بنا ان نجاوز من حاله
احلى من حالك ورجاله اتم استظهارا من فرسان رجالك فالرأي
لك ان تستعفيه عن شهادتك بنفسك على ان يحشر الله وجوه القواد في
جماهير الاجناد من اطراف البلاد وتحكمه فيما يراه من مسالمة او محاكمة
ومكافحة او مصالحة ليكون فيصل الامر بيده على الوجه الذي هو اخف
عليه فكتب الرضي بذلك اليه فعلم ان ذلك من تسويل ابن عزيز واقتعاله
وتمويهه واحتياله وقصده ان يحبط عليه سعيه الذي سعاه في العبور واستجاشه

الجمهور وتحمل الاثقال واستنفاق الاموال فقرب الامير سيف الدولة
واخاه بغراجق فى قرابة عشرين الف رجل الى بخارا لازعاجه عن مكانه وسير
معهما ابا نصر احمد ابن محمد ابن ابى زيد لتدارك امر الديوان الذى كان يرسمه
فلما احس ابن عزيز باقبال الهم واتى ليث الموت كاشرا عن نابيه وعقاب
العقاب ناشرا جناحيه للانقضاض عليه فاستبقى نفقا فى الارض وسلما
فى السماء حتى اذا اعياه ما نوخاه فرع الى الانحجار ولاذ بكنف الاستتار وولى
الرضى ابا نصر ابن ابى زيد ما كان يليه وهو الشهاب الثاقب والنقاب الذى
هذبته المناقب فقام بكفاية عماده وقوم منآده وحذف عنه ما كان نقله
ووصفه ابو الفتح البستى بابيات وفق الصدق بما حفه وهى شعر نديت
ابا نصر المرجى لتفريج كل ظلام يطله فلم حدته لا يكل اذا كان فى الحرب
سيف يكل فيوجز لكنه لا يخل ويطنب لكنه لا يمل وكيف يمل ويوفق من
افاد العقول عليه يجود فريحته بالبديع عفو الجود القراح المغل
مدق محل واولى الكفاة باعلى الصفات مدق محل وكتب اليه عند
الوزارة عليه شعر ابلغ معالى كل غاف مجتد ومؤمل فى قصده ان يهتدى
عرج على الشيخ الجليل المرتجى وزر الوزارة احمد ابن محمد فهو الذى
ملؤ العيون وجيه ملؤ القلوب مهيبه ملؤ اليد بمرى امور الملك
دائبا فيصلا وعزيمة تردى بكل مفند فيفيض نائله بسيل راعب فقول

سائله غرفت تندى فاثن الرجا الى علاه فانه غوث الردى غيث
الصدى بدر الندى لا زال فى يوم اغر مبشرا بسعادة غرا تطلع فى غد
ليقيم كل مأود وينيم كل مسهد ويضم كل مبدد وقد كان الامير سبكتكين
احس بابقاء ابن عزيز على ابى على وجده فى النضال عنه لما يقدره فى الاباء
من التسلح به عليه فلوح الرضى الى ما يقع من نقله الى جنابه فاوجب قبل
وصول سيف الدولة اليه اسعافه به وحمل هو وايلمنكو فى عمارية كانت
خاتمة لعمره وقاصمة لظهره وامره الامير سبكتكين فنقل الى جرديز فى محل
لو راى من قبل مثله فى منامه لعاف برد الماء على زرقة جمامه واستعفى
عن طيب الحيوة باقى ايامه ثم واخذ فيما بين نهوض سيف الدولة
الى بخارا ايلك فى قبائل الترك واستانف مسئلة الصلح فاوجب الامير
سبكتكين اجابته الى مسئلته لقعود الرضى عن مشاهدته وقعوده فى امر
نهضته واشترط عليه ان يخرج عمادا دون قطوان فلا يطلق عليه عنانه
ولا يبرح اليه عماله واعوانه على ان يفرد سمرقند على فائق ابقاء بالشفا
ورعاية لما سلف فى بيت الرضى من حق طاعته وعقدت وثيقة الصلح
على هذه الجملة بمشهد الفقهاء والاعيان من الجانبين وانصرف كل
منهما عن وجه صاحبه وعاد الامير سبكتكين الى بلخ وسار سيف الدولة
نحو نيشابور وهذا على الرضى ما كان ممزوجا من امور الاعالى وافل ابو

على جهات الوزارة واكرهها شغل الاثارة لتقلص الولايات وقصور
الارتفاعات عن الوفاء بما كان مثبتاً في القديم من وجوه الاطماع والا
وجعل يزجي فيها يوماً بيوم ويغسل درماً بدرهم الى ان ثار به بعض غلمانه فقتلوه
وذلك على ناس خمسة اشهر من وزارته فضاق الرضى ذرعاً بما دهاه
لاشفاقه من ظن الامير سبكتكين ان هناك قصداً في امره او رضى للحادثة
به واظهر الاكتئاب واستعظم المصاب وبرز من الدار فصلى على جنازته
وامر باقامة التنكيل على الفتكة به انشدني المضراب الفوشنجي فيه يرثيه

شعر قلوب الناس له سقاماً ونفس المجد والهمة سقيمة وما فجعت
بك الدنيا ولكن تركت بفقدك الدنيا يتيمة وفيه لبعض اهل العصر
لما ثوى صدر الوزارة احمد وهوت نجوم المجد في ملحوده اذريت من
فرط المصاب مدامعاً كالغيث بعد بروقه ورعوده قال العذول وقد
راى فرط الجوى والطرف يمزج دمعه بصديده خفّض عليك فقلت قولاً
زاجراً دعني ابكيه بنسخة جوده

ذكر ابي القاسم بن سيمجور اخي ابي علي وما انتهى اليه امره بعد تقاعده عن اخيه ابي علي

ولما انحاز ابو القاسم عن اخيه
اقام بجرجان الى ان ورد الامير سبكتكين خاسر من نيسابور فنهض اليه
متعرضاً للقائه وتمهيد حال في موالاته وولائه فرعى حقه ورفع قدره
وقوّى اسره وضمن له ما سرّه وخطب له الى الرضى ولاية قهستان فاجاب

اليها وامر له بالمنشور عليها واضاف الى ذلك الخلع عرفه يمنة الطاعة
وكشف يمنة الغدر في الاخلاط بالجماعة فاوى الى قهستان ساكن الجاش
ظاهر الرياش اثيث الجناح مريع المسرح والمراح الى ان سنح للامير
سبكتكين عبور النهر لتدبير امر الترك وكتب اليه لينهض الى مجمع
اركان الدولة واعيانها ليضرب معهم بسهم الغنا في كفاية الامر الحادث
وممانعة الخصم الغالب فحملته نفوس العواقب واساءة الظن بالنوائب
وطراءة عهده بخرائجه فيما درع من لباس الهوان وجرع من كاس الذل
والامتهان على ترك المسير والادلاء ببعض المعاذير وعلم ان يتقاعد
عن اجابته سيورثه بعد قراعه داء عضالاً ويكسبه خطباً لا يطيق به استقلالاً
فبادر الى نيسابور مغتنماً خلو خراسان عن حماتها وطابقه ابو نصر ابن محمود
الحاجب على ضلاله ودائه فتظاهرا على الاستظهار بجمع المال واثبات اصناف
الرجال وحين سمع الامير سبكتكين بخبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة
في الانحدار الى نيسابور وامدّه باخيه بغراجق والى هراة لتقضيا امر من امرها
وحصد ما نجم من شرّهما فسارا اليهما ولم يرضهما حتى انحط على اثرهما من بلخ
كالشهاب في اثر العفاريت فلم يرع ابي القاسم وابن محمود غير اطلال الجيوش
عليهما فارتحلا مطايا الهرب وسارا الى اسفرائين حرّ الغضب ودكّ
الاميران اكتافهما بتلاؤمهما تشل النعم حتى لفظهما حدود خراسان الى

جرجان وامتد الامير سبكتكين الى طوس فاناخ بها الى ان تطاير جرابيا
فزاد في حفزهما للانهزام واعجالهما دون المقام وعطف اليه سيف الدولة
ويفراجق بعد فراغهما من تفريغ خراسان عنهما مجددين العهد به وقد
كان فخر الدولة على ابن بويه قد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه ببلخ
على سبيل الملاطفة بجملة من المبار ومال من العين واللجين على سبيل
اقتناصا للمحبة واستخلاصا لرضاه وموافقته فقابله الامير سبكتكين باضعاف
من الالطاف وزاده عليه ثلثة من الفيلة الخفاف وارسلها مع المعروف
بعبد الله الكاتب احد ثقاته فنمى الى فخر الدولة بجسه عليه عدد اجناده
وغوامض الطرق المفضية الى بلاده فكتب الى الامير سبكتكين يشير الى
ان رسول المرء لسانه وعنوان ضميره وترجمانه وان فلانا ورد فخالف
باطنه ظاهر مقاله وكان من بعض فصوله انه لو ازاد لعلم ان
الملك لم يستقر في سرة الارض الا بغلب غلب واسود سود فحز هذا الكلام
في صدره وخدش وجه الحال التي كان خطبها فخر الدولة الى وده ثم اردف
كتابه ذلك بابي القاسم الرسول احد وجوه بابه واصحابه مشافهة مشتملة
على ذكر الحال التي يروم عمارتها في مودته وان الرضى يترع له بالرغاية الوافرة
وبل الحال ببلال المصاهرة ولكنه يرى نظام ذلك وقوامه بما يوجبه من مواصلة
وعمارة حاله من ذات صدره وسأله ان يثق بالاخلاص له من قلبه والاسعاف

بما تحت يدي ملكه وملكه وان ينطوي له على مثل ما بذله من نفسه ليستحصد المرائر
ويتوكد الاواصر ويستمر التحالف والتالف ويرتفع التخالف والتجانف
فاحسن الامير سبكتكين اجابته الى ما طلبه وانجحه من سره ما خطبه وصفى
الحال بينهما عن الشوائب وانتفت عن وجوه المقادح والمعايب واستامن
ابو القاسم ابن سيمجور الى فخر الدولة عند الياس من خراسان فاستدناه
الى دامغان وقومس وجرجان وفرض له ولمن اشتملت جريدته عليهم من حشمه
ورجاله ما لا بد عليهم وسناتي على بقيته ذكره في موضعه وورد على الامير
سبكتكين مونس الخادم رسولا عن الرضى ليشيره فيمن يرشح للوزارة
لخلو مكانها بعد ابي نصر ابن ابي زيد عمن يراعيها ويستقل باعباء الكفاية
فيها فوكل الاختيار الى رايه واظهر مظاهرة من كان من وزرائه فاختير
ابو المظفر محمد ابن ابرهيم البرغشي لها وحبي بالخلعه والكرامه فيها فتكفل
بالامر كفالة الثبت الحذب وقام بالتدبير قيام المنجح المتدرب الى ان اختطف
الرضى اجله وعثر بحوبته امله وعطف الامير سبكتكين بعد ذلك الى بلخ
وعاد سيف الدولة الى نيسابور وقد كان ابو الحسن بن ابي علي ابن سيمجور
مقيما بقاين عند الوقعة بناحية طوس فلما سمع بانكشاف عسكر ابيه
ركب المسافة نحو الري فاواه فخر الدولة واكرمه وخلع عليه فضله وكرمه
وامر له بخمسين الف درهم مشاهرة تدر عليه عند ولاد كل شهر واضاف

إليه من المبار والصلات ووجوه الأحبية والكرامات ما تميز به عن أشكاله

ورعاية لحق أبيه فيه وتبجحا بحصول مثله في جملة أوليائه وحمله إيادية فاغراه

سوء القضاء وداء الشقاء بالهرب من مفرش الراحة ومتوسد الدعة

ومضطجع الرفاهية ومرتبع السلامة والعافية حتى زج بنفسه في فحمة الشبود

من كورة نيسابور مطاوعة لهوى له كان زعم بها فطن أن استثاره يطوى

خبره ويخفى عينه وأثره إلى أن يقضي من هواه وطره فلم يرعه إلا إخالة أطالب

به من حوالي مستره فاحرشوه كما يحترش الضب من جحره وعجلوا به إلى الحبس

من فوره وحمل بعد ذلك إلى معتقل أبيه إلى أن نفذ محتوم القضاء فيه فيا له

من أسير هتك أستره وختم بطابع الشقاء عمره ورحم الله أم المؤمنين أم سلمة

رضي الله عنها حيث يقول شعر لو كان معتصما من زلة أحد كانت لعائشة

الرتبى على الناس قد ينزع الله من قوم عقولهم حتى يتم الذي يقضي على الراس

وكان أيرك الطوسي قد اختلط بعسكر الأمير سيف الدولة فلما عن

له عبور النهر لتدبر أمر الترك رأى الاحتياط في الاستيثاق منه فألحق

بأبي علي وذويه إلى أن حاق بهم القضاء وحق عليهم الانقضاء وكذلك

يفعل الله ولما استقر الأمير سبكتكين ببلخ منصرفه من طوس ورد الخبر

بنفوذ قضاء الله في أبي علي ومن كان معه في حلق الوثاق واستتبع خبره

موت الملوك والعظماء بأطراف خراسان والعراق في مدة اتصلت

كعوب أيامها وتناسقت قوائد نظامها فكأنهم كانوا على ميعاد وذلك

أنه تلا خبره خبر مأمون بن محمد والي الجرجانية في فتك طائفة من أصحابه

في مأدبة صنعها صاحب جيشه له واستحالت المأدبة مندبة والدعوة

والغناء عويلا والسرور حزنا طويلا وردفه خبر الرضي في مرضة لم يمتد

فيها أيامه حتى ألم به حمامه وانتقل إلى ثوابه بماء شبابه وكانت وفاته

يوم الجمعة لثلث عشرة ليلة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة ولقبه

كتاب بابه بالرضي فرحمه الله عليه رحمة يبرد ضريحه وتروح روحه فقد كان

طود الملك زال بزواله وزل عن مراتبه بزلزاله وتتابعت المصائب على آل

سبكتكين بعده في تلك المدة بتقفية له كانت أعز أهله عليه وأولاده

صغارا وغلمانا ذاد وهلم جرا إلى أن سقط على الفراش وأيس من الانتعاش

فاشتاق إلى غزنة استرواحا إلى طيب هوائها واستشفاء بنسيم أرضها ومائها

فأخذ المدد وعليه بالمرصد واخترمته يد المنون دون المقصد فنقل

في تابوته إلى غزنة ومن عجب العجائب في أمره أني حضرته ذات يوم وقد جرى

حديث العلل في إقبالها وزوالها فقال وهو يشير إلى كاتبه أبي الفتح

البستي مثلنا أيها الشيخ في اختطاف المنايا أرواحنا مثل القطيع يعمد

الجزار إلى الضائنة منها فيطرحها إلى الأرض ويوثق قوائمها للجزر فلا

تقلق لخلاف العادة وتضطرب خوف الإبادة إلى أن يقضي الجزار منها

وطرأ فحل وثاقها وبحسن اطلاقها فتاح لنا باب النجاة وبعاد
البهاء من روح الحياة حتى اذا كانت من قابل عاد الجراد لعادته فبهاد
لنا بين امل وياس وتفرقة واستيناس نظن ان الامر كما عهدت تارة ونخشى
خلاف العادة اخرى الى ان يقع الافراج منها فنظفر فرحا بالنجاة ونعود
مرحة للنبات فما هي الا الثالثة حتى يسلمنا الجراد الى الجراد فيمر الشفرة
على ودجيها اوثق مما كانت بالعادة وابعدها من المخافة وامنها من الافة
كذلك نحن فيما يتعاقب علينا من الامراض ويستمر بنا من الاوصاب بينا
نحسن الظن بما يطرق منها اذ قامت النواعية وسارت بها الناعية
وكان بين هذا التمثيل وبين ان قضى نحبه قلد عقاد النحل فقضينا العجب
بعده لما املاه المقدور في شانه على لسانه وقد كان حل وفاته مسجد
عمارة الدار المعروفة بسهلاباد وانفق عليها مالا عظيما فلم يتمتع بكنها
حتى خذله الرجاء وحق عليه القضاء واعتاقها ولده من بعده فاهملوا امرها
حتى تداعت بالخراب وسمعت بعض الافاضل ينشد وقد اجتاز عليها
بعده لبشرة **شعر** عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجت لي شوقا قديما
وما تدري عهدتك مذ شهر جديدا فلم اخل صروف النوى تبلى مغانيك
في شهر فلحى الله دنيا تامن ضبة تاكل اولادها عقوقا وجافية لا ترعى
لاضيافها ذمة وحقوقا والى الله المشتكى من صرف الزمان وريب الحدثان

ورثاه ابو الفتح البستي كاتبه بقوله قلت اذ مات ناصر الدين والدولة
حياه ربه بالكرامة وتداعت جموعه بافتراق هكذا هكذا تقوم القيامة
وله فيه توكل على الله في كل ما تحاوله واتخذه وكيلا ولا تجد عنك ثوب
صفا فانمي قليلا وادوي غليلا فان الزمان يذل العزيز ويحمل كل
جليل ضئيلا الم تر ناصر دين الاله وكان المهيب العظيم الجليلا اعد
الفيول وقاد الخيول وصير كل عزيز ذليلا وحف الملوك به خاضعين
وزفوا اليه رعيلا رعيلا فلما تمكن من امره وصاد له الشرق الا قليلا
واوهمه الغر ان الزمان اذا رامه ارتد عنه كليلا اتته المنية مغتاظة
وسلت عليه حساما صقيلا فلم يغن عنه حماة الرجال ولم يجد فيل عليه
فتيلا كذلك يفعل بالشامتين ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا ولبعض كتاب
اهل العصر فيه مضى الامير نصير الدين منتحيا في قبره بمساع اشبهت علما
وكان مدة ما قد عاش منتصبا لله والدين والاسلام منتقما كالليث
والغيث طبعا ان حمى وهمى والنجم والرجم شكلا ان سما ورمى يا من اسال
رقاب الكاشحين دما من بعد فقدك ابكي العيون دما لئن اباح
صروف الدهر ساحته فانظر الى الملك والاسلام لا جرما فالدين منثلم
والملك منهدم وظل حبل العلى والمجد منصرما وردف الحادثة بالنعي
بفخر الدولة علي بن بويه وكانت وفاتهما في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة

وكان سبب انقراضه انه فرغ القلعة التي استحدثها على جبل طبرك مرتاحا للا
واشتهى طرائح من لحم البقر فحرت بين يديه واجده وطفق اصحابه يشهون
له من اطايبها وهو ينال منها فاتبعها بعنا قيد كرم وذادت عليه الكوس
منها مدآ وولاء فلم يلبث ان لوى عليه جوفه واتصل على الالم صوته الى
حتم عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوى بقوله هي الدنيا تقول بملأ
فيها حذار حذار من بطشي وفتكي فلا يغرركم حسن ابتسامي فقولي مضحك
والفعل مبك بفخر الدولة اعتبروا فاني اخذت الملك منه بسيف هلك
وقد كان استطال على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك فلو شمس الضحى جاءته
يوما لقال لها عتوا اف منك ولو زهر النجوم ابت رضاه تابى ان يقول
رضيت عنك فامسى بعد ما فرع البرايا اسير القبر في ضيق وضنك اقد
انه لو عاد يوما الى الدنيا تسربل ثوب نسك دعي يا نفس فكرك في ملوك
مضوا بل لانقراضك ويك فابكي فلا يغني هلاك الليث شيئا عن الظبي
السليب قميص مسك هي الدنيا اشبهها بشهد يسم وجيفة طليت بمسك هي
الدنيا كمثل الطفل بينا يقهقه اذ بكى من بعد ضحك الا يا قوم انتهوا
فانا نحاسب في القيمة غير شك فاما مامون بن محمد فان ابنه عليا ولى
الامر بعده وتسارع الناس الى بيعته وعاد الملك به الى بهائه ورونقه
واما الرضى فقد كان عهد ملكه الى ابنه ابى الحرث منصور ابن نوح فلما

ومضى لسبيله تناصر على بيعته الاولياء والحشم ووزع بقايا الاموال وخبايا
الذخاير والاعلاق في اعطياتهم وتحقيق اطماعهم حتى استوسقت امور الجماعة
واتفقت الكلمة في الطاعة وتولى ابو المظفر محمد ابن ابرهيم على الوزارة واما
الامير سبكتكين فقد كان عهد الى ابنه اسمعيل واستخلفه على اعماله
واوصى اليه بامور اولاده وعياله وجمع وجوه قواده وحجابه على طاعته
ومتابعته والرضى بايالته وولايته فلما طرق الناعي به تبادروا الى
البيعة له وامضاء الوصية فيه واستقر اسمعيل بعد قضاء المأتم على سرير الامارة
وامر بفض الختوم عن بيت الخزانه وصب الاموال حتى ارضى الرجال واما فخر الدولة
فان عسكر الديلم اجمعوا على ولده الامير مجد الدولة ابي طالب رستم ابن فخر الدولة
ففوضوا الامر اليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقب السلطان مجد الدولة
وكهف الملة وسياتي بيان حال كل واحد منهم في موضعه على الاثر وانشد ابو
منصور الثعالبي لنفسه في عجايب هذه السنة وتبدل احوالها وتفاني امرائها قصيدة
منها هذه الابيات شعر الم تر مذ عامان املاك عصرنا يصيح بهم للموت
والقتل صائح فنوح ابن منصور حوته يد الردى على حسرات ضمنتها الجوانح
ويا بؤس منصور وفي يوم سرخس تمزق عنه ملكه وهو طامح وفقء عنه السمل
بالسمل فاغتدى اسيرا ضريرا تنتحيه الجوائح وصاحب مصر قد مضى لسبيله
ووالي الجبال غالته الصفائح وصاحب جرجانية في بذلة يوصله طرف

من الحنين طامح ❊ تساقوا كؤوس الراح ثم تشاربوا ❊ كؤوس المنايا والدماء سوافح
وخوادزمشاه شاه وجه نعيمه ❊ وعن له يوم من النحس طالح ❊ وكان على في الارض
يخبطها ❊ ابو على الى ان طوحته المطاوح ❊ فعارضه ثاب من الشر اعصل ❊ وعن
له طير من الشوم بارح ❊ وصاحب بست ذلك الضيغم الذى ❊ براثنه للمشرقين
مفاتح ❊ اناخ به من صدمة الدهر كلكل ❊ فلم يغن عنه والمقلد سائح ❊ خيول
كامثال السيول سوابح ❊ فيول كامثال الجبال سوارح ❊ جيوش له ادبت على عدد
الحصا ❊ تغص بها فيفاؤها والصحاصح ❊ ودارت على صمصام دولة بويه ❊ دوائر
سوء بثلهن فوادح ❊ وقد جاذوا الى الجرجان شاطر الحيوة فواقته المنايا
الطوائح ❊ وفائق المجبوب قد جب عمره ❊ فغاظ ولم يندبه في الارض نائح ❊ مضوا في
مدى غامين فاختطفتهم ❊ عقاب اذا طارت تخر الجوارح ❊ وكان بنو سامان
اطواد عزة ❊ فاضحت لصرف الدهر وهى اباطح ❊ اما لك فيهم عبرة مستفادة ❊
بلى ان نهج الاعتبار لواضح ❊ تسل عن الدنيا ولا تخطبنها ❊ ولا تخطبن قتالة من
تناكح ❊ فليس يفى مرجوها بمخوفها ❊ ومكروهها اما تدبرت راجح ❊ لقد قال فيها
الواصفون فاكثروا ❊ وعندى لها وصف لعمرى صالح ❊ سلاف قصاراها ذعاف
ومركب شهى اذا استلذذته فهو جامح ❊ وشخص جميل يونق الناس حسنه ❊ ولكن
له اسرار سوء قبائح ❊ ولما افضى امر الامارة الى ابى الحرث منصور بن نوح
وهو في جدة البلوغ وبيع الشباب وعند مشتعل الحركة ومستنبح النجابة

ومستوضح الاصالة والاصابة اقام ابا المظفر محمد ابن برغش وزيرا وفوض
الملك الى فائق كفالة وتدبيرا وكان عبد الله بن عزير اتقى شوكة الامير
سيف الدولة عند قصده بخارا بالاصعاد الى الاغالى فلما انقرضت
جوه الوحشى اطمع ابا منصور محمد ابن الحسن الاسبيجابى فى صحابة الجيش
بخراسان وحمله الى الانحدار به الى بخارا مستعينا بايلك الخان على نيل
الارب المنشود واصابة الغرض المقصود فنهض ايلك لضاحيتهما وسار
الى سمرقند فلما صار اذا اناخ بمرج على ظاهرها اتاه ابو منصور في خف من
غلمانه فاتزاها حبسه بعلة الطعام واصحابه بين التجهيم والاستجمام و
امر به وبابن عزير فشدا في حلق الوثاق وقرنا في قرن الاعتقال وارسل
الى فائق فلما اتاه اجله ودفع محله وخفض من مكانه اجلالا له وضم اليه
ثلثة الاف رجل وامره بالمسير الى بخارا على مقدمته فسار على ما رسم له
فلما بلغ ابا الحرث خبر اقدامه اريح عليه وجه الصواب وصر عليه
الغراب واعجلته فظاظة الخبر عن التدبير فبادر الى العبور لمن معه
من صغير وكبير ودخل فائق بخارا فبادر الى الباب ولم خلا لشراء
جلس مجلس الحجاب واظهر القلق والالتياع لاخلال ابى الحرث بداره
وشرفه ومقر الماضين من سلفه وحشم مشايخ بخارا اليه في مسئلته
تقديم الاياب وتعجيل الانقلاب فوثق اذ ذاك به وامر بالكتاب اليه

في اجتهاده على طاعته وتقربه فكان مفتتح ما خوطب به من جميل المخاطبة ولئن

الله دنا ما نمدّه وللناصح اما ما يهديه ويرشده فمسعود وفوقه

حيث وقفته هذه ومحمود نصره حيث نصره فذلك وارتاح ابو الحرث

للانصراف حين امن جانب الخلاف وسيّر قبل صريمه الراي بكتوزون وهو

الموسوم بالحجبة الكبيرة على نيابه الى نيشابور على قيادة الجيوش ولقبه سنان

الدولة ثم عبر النهر عائدا ادراجه فلقاه فايق فيما رسم العبودية ومودّنا

فرض الطاعة المحمودة في انكفائه الى بخارا واستقام له الامر وجمد ذلك

الجمر وقد كان بين فايق وبكتوزون سخيمة واحنة في الصدر فتخلفه

ابو الحرث على الاغماض لهما والاغضاء عنها والعفو عما حزّ في صدره

منها استبقاء لاقدامهما في الطاعة واستجماعا لاهوائهما في المشايعة

فاظهر الانقياد وحلف بما اراد واستقرت امور الشاه ادبه على بكتوزون

فجبى اموال خراسان لابى الحرث من غير منازع ولا مدافع الى ان طارت

العزة في ذنابه وجمعت الوجرة على صدره فارتقى من قصد سلطانه وولي

نعمته الى ما عرض به الملك الملك والدولة الغولة واردح الدهر بعادية

لا ترخص عنه وضره ولا تدفع عن وجهه فتره **ذكر ما جرى بين الامير سيف**

الدولة والامير اسمعيل اخيه بعد انتصاب ابيه ولما اخترم الامير سبكتكين

واستقر الامر على ابنه اسمعيل طمح اهل العسكر الى مال البيعة فامر به واطلق

لهم استخفافهم المعين استصلاحا لذات البين ثم احس القوم خورا في عوده

وغباوة في عنان تدبيره لحداثة سنه وطراءة شبابه ولا اشفاقه على نفسه من جانب

اخيه وفضله وانتزاعه الامر من يده فاستوطأوا مركب الطمع واستسهلوا

جانب التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات على الرواتب لهم حتى استغرق

ذلك ما خلفه الامير سبكتكين وخلت الخزانة مما يسع الاستظهار به فاضطر

اسمعيل الى ان يفرغ فيما بيوت انفاقا من مؤن اطماعهم الى العدة التي كانت

مذخورة لثغرته ولو بقوا على جملتهم في التسحب عليه لاسرع تمزق تلك

الاموال وتفرق جميع الاولياء والرجال ولما ورد على الامير سيف الدولة

نعي ابيه وقضى ايام المصيبة بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في تعزيته عن

الرزية واتبعه بابى الحسين الحمولى في اذكاره الحق الكبر وما يجب له بحكم الرعاية

على اهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين الباصرة او اعز البد الباطشة

او امتر وانه سيبلغ في امره كل ما يهواه ويرضاه ويتعلق به مناه وان الامير

سبكتكين انما افرده بالوصية لاغمال المنية اياه عن وضعها منه موضع

الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف الشقة وان

الراي فيما بينه من توفيته حكم الرياسة ومشاطرته الارث من ذخاير

الامارة وافراده بغزنة التي هي وكر عشيرته وحاميته ومعيش خاصته

على ان يحفظ عليه مكانه من بلخ وما يليها او ينقله الى نيشابور على ما كان

بلخ

تدبره من اعمالها ونواحيها فاستشعر اسمعيل ما كتب الله عليه من النكبة في
اثنائه حتى كانه يراه راي العيان ويدرس عليه كتاب البرهان فلم يرده على
الاباء والالتواء وتعريض تلك الاموال للاتواء وتوسط والى الجوزجان ابو
الحرث الفريغوني بينهما على ان يسكن نابض الخلاف وتقفهما على نقطة
العدل والانصاف واراد كلا منهما على الثلاقي في قبلة لبشافه كل منهما
اخاه بما يبغي من مراد ويقتدحه من زناد اذ كانت لوجوه المشافهة
حوزة تعز شانها على ظهر البعاد وفي حال التحيز والانفراد فاما الامير
سيف الدولة فانه راى ذلك صوابا واوجب من نفسه اسعافا واطلابا
واما اسمعيل فانه تذبذب في الاجابة ولحظ الامر بعين الاستزابة وراى النجح
بما يقترح عليه من نيل الارث وان كان فادحا كله اهون عليه من
ذلك مرابا وايسر محملا والزم اذ غرا متمكن من نفسه وتسرعلي في صميم
قلبه وخيفة سالكة في اودية الظنون وتغريته عن ضم القوادم للسكون
وانشد ذات يوم ابياتا لسيف الدولة الحمداني في اخيه ناصر الدولة
معرضا بالالفة الوثاوطامها دا واخصب مرتعا ومرادا وهي شعر

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها ۞ وقلت لهم بيني وبين اخي فرق ۞ ولم يك
بي عنها نكول وانما ۞ تغافلت عن حقي فتم لك الحق ۞ ولا بد لي من ان اكون
مسلما ۞ اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق ۞ وزجفت عن مقاصدها من

وطالت بها بها دون الغرض المقصود لها من سمعه وتعلل الامير سيف الدولة
بتدبير ما عزاه لاستجابة الرفق على الخرق وايثاره الرفو على الخرق وميله
مع المداراة على الملاحاة والمواتاة على المناواة واختياره البر على الجفاء
وادخاره الكي لاخر الدا حتى اذا غار نجم الهوادة ورق جلباب الحشمة
استعد لاتيان الامر من بابه ورد المنزع منه الى نصابه وخاطب الامير
ابا الحرث بما عن من المهم الذي لا يسعه غير تلافيه وشكل كنانة الوسع والطاقة
فيه وسار في خواص غلمانه ورجاله وقواده المدونين لاتباع مثاله الى هراة
واستانف بها مكاتبة اسمعيل بين وعد ووعيد وعتبة وتهديد وترجيح
بين الياس والامل وتنبيه على موقف الندامة والخجل فلم يغن ذلك منه فتيلا
ولم ينقض من قوي عقده سحيلا وتراجعت المكاتبات بينهما حتى جد مزاح
الكلام واشتد لهج الخصام واعيا فيصل الامر الا بحد الحسام ودعا
الامير سيف الدولة عمه بغراجق الى مساعدته ومرافقته واتباع مصلحة
البيت بمتابعته فتسارع الى طاعته واقر بالحق عليه في متابعته واتباع
رايته ونهض معه الى البست وبها الامير ابو المظفر نصر ابن ناصر الدين سبكتكين
فنادى الامير سيف الدولة منه وليا مطيعا وصفيا الى الانقياد سريعا
هو ومنه لم يرض بزمام ولا خطام ومجنة لم تذلل باسراج والجام بل تبرع بالانقياد
وشرع الى المراد وجرى في حلبة الطاعة طلق الجواد ولما سمع الامير اسمعيل

برحيل الامير سيف الدولة على جانب غزنة سبقه اليها من جانب بلخ متجردا
للمنافقة وتجشّد للمقارعة والمدافعة وسار الامير سيف الدولة في عدّة
واجية وسائر اوليائه ومواليه حتى اناخ بظاهر غزنة وقد تطاير اليه
من قبل كتب الاعيان من قوّاد اسمعيل في ممالأته عليه لما عرفوه من وهي
امره في الرياسة وضعف يده عن حق السياسة وتردد السفراء بينهما في
الاستصلاح وكفّ عادية الكفاح فابى الله الّا ما كان مقدورا وجعل
الحق مشهورا والمحق منصورا وانتدب الامير سيف الدولة للحرب فعبّى المواكب
ورتّب الجيوش كواكب وزحف الى القتال في رجال كالرماح اوكالنبل
القداح يهشّون للقراع هشاشة الاطفال للرضاع ويرتاحون للكفاح
ارتياح الهيم للماء القراح شعر سفع الذوائب وجوههم وكانهم ‹ وابوهم
سام ابوهم حام ‹ تخذوا الحديد من الحديد معاقلا ‹ سكانها الارواح والاجسام
السابريّ مخددات مثالها ‹ الا الصوارم والقنا آجام ‹ وبرز اسمعيل
بمن تابعه من مواليه وتابعه من موالي ابيه وقد حصّن الصفوف بفيلة كالقلاع
كانها اركان يذبل او هضاب شمام ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضربا
بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح الفواتك ورضّا للهام من تحت الترائك
وظلّت رحى الحرب تفركهم بثفالها وتدور عليهم باثقالها الى ان دمت الشمس
بحجاب الظهيرة وقد لاذ بالامان من سبق وعده وطلع بالاقبال سعده وعندها

حمل الامير سيف الدولة بنفسه فتداعت الصفوف وتخالطت الزحوف وخطب
على منابر الرقاب السيوف وثارت عجاجة اخذت العيون عن الاشباح واذهلت
النفوس عن الارواح ونثرت الاعناق بايدي الصفاح وافعصت الكماة من
وقع السلاح وظلت الخيول تردي على جثث النفوس وتلعب بكرات الرؤوس شعر
تجري الجياد من القتلى على جبل ‹ ومن دماءهم يلحصن في وحل ‹ ومن جماجمهم
يمشين في نشز ‹ ومن ذوائبهم يعثرن في شكل ‹ فلم ينشب ان اسفر قتامها عن
مساقط ابدان تحت ابدان واجسام فوق هام وهام الآخرون على وجوههم
يمسحون طول الارض خوفا من حرّ العقاب ومرّ الحساب وانحاز اسمعيل الى
قلعة غزنة متحصّنا بها في العاجل من مسّ الطلب الى ان تلطّف له الامير سيف الدولة
فاستنزله على امان وحسن ضمان وحاوره بمعروف واحسان

ذكر ما جرى لابي القاسم البمجوري بكوهستان بعد ذلك

وقد كان ابو القاسم استقلّ الى جرجان بعد
انقراض فخر الدولة على طاعة ولده فصوى اليه من شذّ عنه من عسكر ابيه ومواليه
وموالي اخيه واتصل به طوايف من ابطال الاكراد والعرب واشتدت بهم
مناكبه واحدّت انيابه ومخالبه وكانت الجبلة التي ينطوي عليها فايق
لبكتوزون ترصده بالحبائل وترميه باغوال الغوائل فارسل الى ابي القاسم
يحرّشه عليه ويغريه به ويعده ما يليه من قيادة الجيوش متى اجلاه عن مكانه
وجلاه في معرض العجز على سلطانه حتى اجهضه عن جرجان تاركا للعين بالقفا

وعارضا للملك على خطر العماد وكان مثاله كما قيل وانى وتركى ندى
الاكرمين وقدحى بكفى زنادا شحاحا كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض
اخرى جناحا فنصل عنها قاصدا قصد نيشابور فى جماهير اصحابه ممن
ضرستهم وقائع الحروب ونجذتهم قوارع الخطوب وكونهم صروف الايام
بمياسمها ووسمتهم احداث الليالى بمناسمها وافرط ابا على ابن ابى القاسم
المعروف بالفقيه على مقدمته الى اسفرائن وبها بعض قواد بكتوزون فالتقيا
هناك على حومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب وتداركت الا
على اسمعيل لقرب الخطى بينه وبين صاحبه فجفل عنه اصحاب بكتوزون منهزمين
الى نيشابور وقد اقتسموا بين جرح وكسر وقتل واسر وسار ابو القاسم سير
السحاب بجنبه ريح الجنوب حتى اناخ بظاهر نيشابور مستطيلا بشوكة رجاله
وشكة ابطاله فارسل اليه بكتوزون يعلمه ان الحروب سجال وحسن الظن
بعواقبها محال وان فى قرع باب البغى تعرضا للبلاء واستيذانا على
سوء القضاء وانما يصبر على الكفاح من لم يجد وجها للصلح والصلاح فاما
من كان فى فسحة من الرأى ومندوحة من الاختيار فانه ينفس بنفسه عن التغرير بها
فى مباشرة القتال ومساورة الابطال ومغامسة الاهوال وان الرأى
ان يعدل الى قهستان لينتجز من الامير ابى الحرث ولاية هراة معها ولا له
ورغاية لحق خدمته وقدمته وسابق هواه وذمته فضرب ابو القاسم باذنه

عن الاستصلاح منتذة عن الصلاح وحمله الادلال بجاله ورجاله على التحكم
والتعتب والتمنع والتغضب واهاب بعسكره الى الحرب فاصطلحوا على
مساقاة الطعان والضراب ومعاناة الحرب ببيض الصفاح وزرق الحراب
ذاهلين عن مصرع الغرور واثقين بطلوع النجح والظفر وعبى بكتوزون رجاله
للقتال واشبال الاتراك فى سائر من اظلتهم رايته من قواد الامير ابى
الحرث وانصاره والمعتصمين بذمة شعاره فالتقوا قبالة قرية بدعة
بشنج بظاهر نيشابور واجلى ابو القاسم منهم نجوما ورجوما ولاقت بكا
الحقاق قروما فتشبكت الحرب بينهم نخعا بالمناصل وضربا بالمعاول
ووخزا باطراف العوامل واشتعل اصحاب ابى القاسم فيهم كالنار فى دقاق
العوسج او يبس العرفج ضربا هبرا وطعنا نترا ورميا سعرا وطرحوا منهم
على مبرهم طردا ودحرا وقهرا وقسرا حتى اذا ظنوا ان قوادم الهزيمة
قد افرجت لهم عن خوافى الغنيمة صك بكتوزون قلب ابى القاسم بحملة ازلقتهم
عن المقام واعجلتهم للانهزام فانصاعوا مخذولين مفلولين يقودهم الخجل
ويسوقهم الخوف والوجل وقبض فى منهزمهم على ابى القاسم الفقيه احد ذكان
ابى على فى ايامه بشهود وابيه ودهاته ومذكور عنائه ومضائه وعلى عدة من
قواده ووجوه سواده وفر ابو القاسم فى شرذمة عسكره هائما على وجهه
حتى امتد به الرجيف الى قهستان وذلك فى شهر ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين

وثلثمائة وكتب بكتوزون الى بخارا بذكر الفتح وما يسر الله عليه من عسير النجح فسر الجمهور وأثلج الصدور خلافا فايقا فانه اغتم واهتم وكاد ان يعقد المأتم لسانه وسار ابو القاسم بعد ادبار ابيه وانعاشه الى قوشنج متحكما في اموالها واعمالها فناهضه بكتوزون لانتزاعها من يده وتوسط السفراء بينهم على وصلة انعقدت بينهما وهذا ابو القاسم ابنه المعروف بابي سهل فاندفع بينهما الخلاف وحصل الاتفاق والايتلاف وعاد ابو القاسم الى قهستان وكر بكتوزون الى نيسابور في رجب من هذه السنة وجرت بين فايق وابي المظفر محمد بن ابرهيم ملاحاة في تدبير الاعمال والاموال فارصد لها بالسوء وقصده بالمكروه من اكثر الوجوه فلاذ ابي الحرث من قصده واستامنه على نفسه فاواه داره واذعليه مباره وآتاه فايق يسئله تمكينه منه واشاده بمجبهه بالرد واغلظ له في القول فخرج من مجلسه على حد منكب يتحدث بالانقطاع الى الترك والاخلال بكفالة الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارا فتصافيا واتفقا عن رايه واستماحوا الامير ابا الحرث حسن عفوه واغضائه وسير ابو المظفر الى ناحية للجوزجان وسد مكانه بابي القاسم البرمكي فصدقت فيه فراسة المعروف بالمضراب القوشنجي حيث تقول وكنا زمانا نذم الزمان ونرثي الوزارة بالبلعمي فاخرنا العمر حتى انتهت من البلعمي الى البرغشي وسوف نؤول على ما اراه منه

وكنا زمانا نذم الزمان
ونرثي الوزارة بالبلعمي
فاخرنا العمر حتى انتهت
من البلعمي الى البرغشي
وسوف نؤول على ما اراه
منه قريبا الى البرمكي

قريبا الى البرمكي وكان ابو القاسم هذا موسوما بالفضل الا ان اغلب الصفات عليه كانت صفة البخل وحين ولي الوزارة ناقش اولياء ذلك الباب في اعطياتهم الواجبة وجراياتهم الراتبة وغارض اطماعهم في خاصته بزند شحاح ووجه على الوقد وقاح فلم يرع الادبا بين الاتراك فشتم قذاله ورفض على عظامه اوصاله ولقد احسن من قال شعر تقول الجد عبل في ثوبه خبل ولو عشت بثياب دعبل خلا لا والذي سلك الصهباء من ذهب في الكاس ياقوته ما شاد من بخل

ذكر استنزال الامير اسمعيل من قلعة غزنة

واستنزل الامير سيف الدولة اخاه اسمعيل من قلعة غزنة على امان بذله وضمان اجمله وتسلم منه مفاتيح الخزائن واحاط بزوايا الاعلاق والدفائن وجبر له كسر حاله واعاد اليه رونق مائه وجماله وشحن غزنة بثقاته والكفاة من حماته وانحدر الى بلخ في عامة اوليائه وانصاره وقد انتظم له ما انتشر بعد ابيه واستقر عليه ما سعى في تلافيه فغصت شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله وعلامات الاعلام من اقباله فكتب الى الامير ابي الحارث بذكر اقباله وحذقه فضل الشغل كان باخيه عن الدوانة قائم مقام ابيه في المحاماة على الدولة والنضال عن الحملة والاقبال على حقوق ما اغترفه من بركة اصطناع الرضي واصطفائه وتقديمه على نظراء حشمه واوليائه فارسل اليه ابا الحسن العلوي الرضي الهمذاني في تهنيته بمقدمه واظهار اليمن بمواطي

قدمه وعقد له على بلخ والترمذ وما والاها ونادى بهراة وبست وما تاخمها
وداناها وتلطف في الاعتذار اليه من امر نيشابور حرصا على ترضيه و
كراهة لصرف بكتوزون الابعلة تقيضيه فعلم الامير سيف الدولة ان تلك
المنافسة صادرة عن غلواء الحساد وتلبيس المناوين والاضداد وان داء الحقد
ليس له علاج وان صلوة النجح بغير فاتحة الرجاء خداج فارسل الى الامير ابي الحرث
ثقته ابا الحسين الحمولي بهذا بانقض بها يتيح النفوس وتضيق عن قدرها
رحب الصدور ورسم له ان يحجب سمعه عن تضريب المضربين وتثريب المثربين
ويتلطف لاستخلاص سره واستصفاء محله اقبله لترتفع الحشمة وتتأكد
العصمة وتستحكم الثقة بان تجمعهما بعرصات خراسان على موالاته وتدبر امود
ولاياته فلما ورد بخارا اعرض عنا وجرفيه وعرضت الوزارة لموافقة مودة
خلو صدرها عمن يستقل بامرها فكان تثله كما قيل شعر خلت الديار فسدت
غير مسود ومن الشقا تفردي بالسودد واشتغل بالوزارة عن حق اللقا
واقبل على الامر بوجه المجد المستبدي يكيس ما انشق عليه الدهر وكتمان ما
نم عليه الجهر ولن يصلح العطار ما افسد الدهر وانشدني المضراب لنفسه
وكنانة الدهر من غير حنكة بيوسف والبلعمي وغيره الى ان رمانا بالعفا
بعدهم وغاد بنا في عتله وعزيره ومادها بابن عيسى وجوده وفي ابن
ابي زيد المخيب وسيره فلم يرض بالمقلد فيهم فامتنا بكل كبير في الوجود وعوير

ولما احس الامير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الاراء وتخاذل الانداء
والاهواء واشراف الملك على الضياع بمذاهب النصحاء واغفالهم صلاح
انفسهم في وجوه المقاصد والانحاء عن له اجازه الى نيشابور على ما كان
يليه في جماهير اوليائه ومواليه وحين سمع بكتوزون باقباله تزحزح عن نيشابور
نصيا ابقاء على عدته وعتاده واشفاقا على عدد رجاله واجناده وكتب الى الامير
ابي الحرث بفصوله عن مكانه اخذا بالوثيقة ومحاماة على الحقيقة واغرا
من غرة اللقاء قبل تخمير العزيمة والاراء فحملته سكرة الحداثة وترفة الصبى
والغرارة وقلة النظر في العواقب وعدم الحظ من التجارب على الاغذاذ الى
خراسان فيمن اهتضه الامكان لمساعدته من وجوه خاصته وسائر حاشيته
وسار الى سرخس كالسهم صادرا عن وتره والسيل صائرا الى منحدره فعلم
الامير سيف الدولة ان قصد اياه من نتايج الغرير وفايل الراي الدبير
ومفاتة الناصح والمشير اذ لم يكن في منة القوم مقاواته على شدة بأسه
وملاقاته على قوة مراسه اذ لو قذفهم ببعض رجومه لغادرهم رمادا تذروه
الرياح العواصف وتعفيه الشمائل والجنائب لكنه راى ان يغضي جفن الاكرام
ويحمي ستر الاحتشام ويرعى سابق الحق والذمام فخالف طريقه الى مرو الروذ
مفرجا له عن نيشابور الى ان يتمكن من ارتجاعها بينه تشترك في معرفتها القاصية
والدانية وحجة على مخالفه ومنا وبه تصورها الحاضرة والبادية وعطف الى

فنظرة زاغول فخيم بها من اعيان الناس يسفر عن التدبير وينكشف عن حقيقة الضمير
وبادر بكتوزون الى مناخ الامير ابي الحارث وهناك فايق في قضه وقضيضه
ولفه ولفيفه فلما وصل اليه انكر محله لديه لتقصيره في حق مقدم منحناه عليه
وشكا الى فايق ما انكره وشكا اليه فوق ما ذكره وتداولا بينهما ذكر معايبه
وتعاودا خشونة جانبه وحزونة اخلاقه وضرايبه واغريا اهل العسكر بمجلعه
والتماس التراخي في الاستذالة فابتدروا مهما في جريرة الساعة حرصا على
لذة الاستطراف واغتناما لنهزة الاستضعاف فاستحضره بكتوزون
بعلة اجتماع العسكر لمهم احتيج الى نظره فيه واشاد بوجبة الاصوات في ملا فيه
حتى اذا حضره حصره ووكل به من سمل بصره غيرا ولفجيعة بطليعتي جوته
احسن ما كان رداء جمال وعمود اعتدال وطلعة هلال ودوحة عز وجلال
ولقد اجهش اليه عند الاستسلام في حاج لثلث خفاف المؤنة عليه
منها صيانة من امتعته عن ذل المناظرة على مال المصادرة فكابد بخلاف
حاجته ونقيض مسئلته الهابا لنار الحسرة في صدره ومضاعفة لثقل المحنة
على ظهره فعل الموتور غير الاشوى له ولا بقناعة وعهد هو وفايق الى اخيه
عبد الملك بن نوح وهو اصغر منه سنا واضعف ركنا فاقاماه مقامه وسدا
به مكانه وماج الناس بعضهم في بعض للفتنة الشاغرة والاحوال المتنافرة
ونذر الناس بالامير سيف الدولة انه قد خيم بقنطرة زاغول فكروا على ادراجهم

كاليعافير الراعية ذاعتها الفوارس واحاطت بها الكلاب النواهش
حتى اخذوا اقرارهم بمرو وارسل الامير سيف الدولة الى الكافلين بالبيد
يهجن اليهما ما ارتكباه في ولي النعمة من اذالة الحشمة واضاعة الحق و
الحرمة غير ناظرين للدين ولا متحرجين للاسلام والمسلمين ولا متهيبين
للاحدوثة الشنعاء على السنة الذاكرين مدى دهر الداهرين وامتد
المراجعة بينهم في الحادث الكارث وهما يحاولانه عن انتهاز الفرصة فيهما
واهتبال الغرة منهما تطميعا له عن صاحبهما في جديد الرعاية ومزيد الولاية
وكلما هم بالاحجام على وجه الاحترام طالبته سعادة الجد بالاقدام وحرضته
على الانتقام للدين والاسلام ثم راى ان يزحف عن مناخه الى ظاهر مرو ليكون
لطالب الصلح مجاها او سفاهة السيف سفاها ولما تسامع القوم باقباله
دب القتل في تضاعيف احشائهم وسرى الوهل في تضاعيف اعضائهم واستطار
الخوف في مزاج دمائهم ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم
يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فابى الله الا ان ينتقم منهم بسيف
الدولة جزاء عن فعلهم الفظيع وخطبهم الشنيع وسعيهم المذموم عند الجميع
فصب عليهم صبا غمر الى الغيث بنوء المرزمين غير انه غيث قطره غث وغيم
حشوه ضيم وسحاب حمله عذاب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
ان اخذه اليم شديد فبرز فايق وبكتوزون ومعهما ابو القاسم ابن سيمجور

بملوا احمد عبد الملك بن نوح وساير اهل العسكر الى ظاهر مرو مقابلين
لعسكر الامير سيف الدولة يغلبان جلاده وشرابن بلاده ويغلبان ظاهر
العيون ويجهمان خيفة الحرب الزبون فلما ضاقت عليهم الارض بما رحبت
وحجبوا الاصطبار عنهم مزهودة وذيول الخذلان عليهم مجرورة وبوارح
وجوانح الدنيا من كل اوب وصوب اليهم محشورة وظل القوم على علم بانهم
يدبرون على الدبار ويتهافتون تهافت الفراش في النار ويصلون الانكاد
بسيوف الانصار كما قال الله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين
فاعتبروا يا اولى الابصار وترددت السفراء بينهم وبين الامير سيف الدولة
في مواضعه على سلم يسلمون بها في العاجل من شدة باسه ويفتدون بها
من مرارة كاسه فاحسن الامير سيف الدولة اجابتهم الى مواضعتهم على علمه
باستبطانهما الختل والحيلة واستشعارهما للغدر والخديعة الزاما للحجة
وحسما على الشبهة واعذارا الى الكافة وبراءة من ورطة البغي في دفع المكافة
فما كان الا ان قوضت للترحيل خيامه وتزهت للقفول اعلامه حتى ثارا
وباتش القوم على اثره لانتهاب عسكره يظنون بانفسهم الظنون وانما يتجلون
المنون ويلبسون اذناب الاراقم لو كانوا يشعرون ولما راى الامير سيف الدولة
ركوبهم مفظعة الضلال واقتحامهم مسبعة الآجال معلقين خيوط الرقاب
بالحرص الغالب والطمع الكاذب لا تنهم حلما آذاهم عن التسفه والتخبط ولا بحمهم

كبراوهم عن التهور والتورط علم ان ذلك امر يراد ودآء خالطه البغي والعناد
وايقن ان شرهم بالفساد مغمور وان السفيه اذا لم ينه مامور وامر بالثائرين
نجاش اليهم من حواشي الجيوش من طفقوهم بالهض والرض واضجعوهم الا من
شاء الله على صعيد من الارض واستخار الله في الكر على بغاة السوء محاكما
اياهم الى البيض القواطع ومدليا بيتات الرماح الشوارع ومتجلا على الا
منهم بشهادات النسور والخوامع واقبل فرتب الجيوش قلبا كثهلان وميمنة
كرضوى وميسرة كابان وجعل المصاف برهاء ما شئين من فيلة كرعن الجبال
اودكن السحاب الثقال مغشاة بتجافيف لم يعوز منها غير حدق النواظر وحدق
الانياب القواتل وهول ساستها عليها بمرهفات كالبروق الخواطف وصنا
كالرعود القواصف وقد نشرت عليها التماثيل السود كانها الاساود و
الاسود يخيل اضطراب الرياح فيها انها ترجف للالتهام او تنفض لاختطاف
المنام وتعالت عليها اطراف العوامل فكانما اجام السواحل نادتها شياطين
الانس فرسانا وعفاريت الترك والمدعر دوا وشبانا تبيض عليهم سابغات
داود كصفائح للماء يجلوها الشمس سافرة وترها الشمال ساترة قد جعلوا
الدروع وقاية للاجسام فظاهروا عليها بالقلوب حرصا على الانتقام فهم
يانسون بمباشرة القتال ومشاورة الابطال واستشارة المنايا عن مرابض
الاجال انس العيون باناسيها الباصرة والقلوب باماناتها الحاضرة ووقف

ومشهد بين حكم الذل منقطع
صاليه او بحبال الموت متصل
ضنك اذا خرست ابطاله نطقت
فيه الصوارم والخطية الذبل

الامير سيف الدولة في القلب بنفسه واخويه نصر واسمعيل ابن ناصر الدين
سبكتكين وعمه بغراجق فكانما عناه ابو فراس بقوله شعر علونا دوشنا
باشد منه ٭ واثبت عند مشتجر الرماح ٭ بجيش جاش بالفرسان حتى ٭ ظننت
البر بحرا من سلاح ٭ والسنة من العذبات حمر ٭ تخاطبنا بافواه الرياح ٭ وادرع
جيشه ليلا بهيما ٭ وغرته عمود للصباح ٭ صفوح عند قدرته كريم ٭ قليل
الصفح ما بين الصفاح ٭ فكان ثباته للقلب قلبا ٭ وهيبته جناحا للجناح
فزحف بهم نحو الخصوم على هيبة وافرة وهيبة حاضرة تكادت الارض تمور
والجبال تسير والنهار الزاهر يحول والفلك الدائر يزل او يزول وتبلد القوم
بالندامة واقبال الوحشة واعلام فقامت عليه القيامة واستفاضت فيهم
الحيرة والندامة واقبل بعضهم على بعض يتلاومون علما بما ارتكبوه من الامر
واجتلبوه من الصيلم الاد وحضرهم خافي الضرورة عن المشورة ففزعوا
الى الاحتشاد وبعثوا بالركوب الى القواد والافراد وبرزوا ابن جهدان المد
في افواف واصباغ يوم الزينة وهم اكثر ما كانوا قط في معركة لحشرهم من اطراف
خراسان وما وراء النهر كل فارس وراجل بحامل عضب او غاسل سوى من استغرقهم
تلك الدولة من كل فحل بازل وبطل باسل وشجاع مقاتل واقاموا الصفوف على الـ
فلما التحم الليل وميمنه كتدفع السيل ومنبرة مشحونة باشاهب الخيل ومناح الفرسان
بعضهم في بعض كالجراد المنتشر ضربا يزيل الروس عن العوائق ويبين الزنود عن الـ

وطعنا يهتك ودائع الصدور ويورد مشادع الغموم والسرود ورشقا يصيب شواكل
الابصار ويطلب وراء الفقار مضجع القرار واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه
وتقضب الجباه وتقطعت الانفاس وتحيرت الفرسان والافراس واغبرت
الافاق واحمرت الحمالق والاحداق وخاض الامير سيف الدولة غمرة الحرب
يجذب بالاوهاق متالع الاعناق ويختطف بالارماح ودائع الارواح وتفض
بالاسياف مجامع الاكتاف حتى رويت الارض من زلال الحلوق وغرقت الحوافي
في نواعر العروق ودامت على حالها في الاحتدام والاضطرام والافتراس بانياب
الحمام من حيث استقلت الشمس اكليلا على الجبل الى ان نفضت ورسا على
الاصل فاضطرب القوم ضجة من حز المناصل ووضيفا بوخز العوالي والعوامل
وتداعوا بالجملة بكشف عنهم غمة القتال بفيصل الادبار او الاقبال فطرحوا
الميمنة على الميسرة وهم يظنون وراء ذلك ظنونا ويخطبون من بنات الاماني
ابكارا وعونا وابى الله الا ان ينعكس عليهم ما ظنوه ويحيق بهم وبال ما سنوه
حين ركبوا من ولي النعمة ما ركبوه اخفارا لذمته وانكارا لحرمته واذالة
لحشمته واضاعة لحق نعمته والهم الامير سيف الدولة ان يزحف اليهم بسواد
موقفه فلم يكن الا صدمة واحدة حتى زلت الاقدام عن مقارها وتهافتت الرقاب
عن مزارها وجعلت تتساقط اشخاص الالوية والمطارد وتترد النفوس عن ضرب
السيوف البوارد واستمرت الهزيمة بالظلمة عند اعتكار الظلام فطاروا بين

الاقطار كل مطار وسفت بهم سافية الدبار والادبار فلم يلتق منهم بعدها اثنان
عند تنازل الاقران وتناوب الضراب والطعان ذلك ذكرى للذاكرين و
كذلك يفعل الله الظالمين وتحمل عبد الملك بن نوح الى بخارا ومعه فايق
فى اتباعه وانتبذ بكتوزون الى نيسابور فى اشياعه وابو القاسم بن سيمجور الى قهستان
وقد صاروا احزاب فرق وغادروا اشذ مذر واصبح سيف الدولة قد انجز الله
وعده ونصر جنده وجده واسعد على رغم المعاندين جده واعلى يده واورى زنده
وساق اليه هدى الملك على غير مهر سوى الشكر ولا صداق سوى الاستحقاق
وورث دولة آل سامان وملك ديار خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمائة
ورأى ان يتبع بكتوزون وابا القاسم السيمجورى عن التجمع ثانيا والتحدث بالالتقاء
انفا فانحدر الى طوس فى البحر الاخضر من رجاله وابطاله وطار بكتوزون بجناح
الهرب الى حدود جرجان وقفى السلطان على اثره بارسلان الجاذب فجعل
يطرده طرد الشهب اشخاص العفاريت حتى نفاه عن تخوم خراسان وولاه السلطان
ناحية طوس ورتبه فيمن ضم اليه من قواده وسار الى هراة مطالعا لاعمالها
ومجددا للعهد باحوالها فلم يلبث بكتوزون حين سمع بانثناء عنانه عنها ان كر
الى نيسابور فتملكها ثانيا برهة تناضل عن دولة قد تم حمامها وانقضت ايامها
وناحت عليها اصداؤها وهامها فلم يزد على ان جشم السلطان كلفة الكر عليه
قبل ان اطمانت عقدته او جف على طرفه لبده فجفل عن نيسابور على سمت ابيورد

وشد السلطان عليه الطلب فركب المفازة الى مرو مستعينا بالوحاء على الحفوة
ومستظهرا بالنجاء على النجاة وخلص الى مرو فيمن اعانهم فواهد المراكب وقوة
الصبر فى وعثاء تلك المهارب ورام ان يتملكها ويتحجر بها فمانعه اهلها موالاة
للسلطان وشكرا لما وسعهم من العدل والاحسان فشن عليهم غارة شعواء
وخبطهم بالسيوف خبط عشواء وركب مفازة آمل حتى عبر النهر الى بخارا ولما
خلت خراسان من بكتوزون واصحابه سرب السلطان ارسلان الجاذب والى
طوس الى قهستان لنفضها عن ابى القاسم بن سيمجور اذ كان يظن الظنون
فى تدبيره ويطمع فى الانتياش عن تحييره فواقعها وطرده الى نواحى طبس عنها
وولى السلطان اخاه الامير نصر بن ناصر الدين قيادة الجيوش بخراسان و
نيسابور على ما كان يليه آل سيمجور على قديم الزمان وامتد الى بلخ مستقر
ابيه ناصر الدين فاتخذها حضرة الملك ودار السلام ولما انتهى السلطان
الى بعض حدود مرو الرود منصرفه اليها ركب على رسم التصيد فخف من العدد
ومعه اخوه اسمعيل بن ناصر الدين وقايد من قواد ابيه يعرف بنوشتكين كاج
قلد وزره احشاؤه مما كان امره على يده لاعتراذ كان كاحد خفاته فى الاثبات والا
الاخبات والارفاق فبينا السلطان فى هزة الاقتناص اذ حانت منه التفاتة
فاذا هو قابض على قبيعة سيفه يروم انتضاءه وقد ندى وجه اسمعيل بطرفه يطلب
ايماءه ولاح للسلطان انكار اسمعيل عليه بدلائل رمزه وايماضه وشواهد

اتباعه واشياعه غير ان استشارته اياه فيما جناه قد فرشت لرباط التهمة
وجرحت منه جارحة الثقة وبادر السلطان الى مضربه وقد امر بالاحتياط عليه
في وقته وحكّم فيه خواص غلمانه فاخذته السيوف حتى تطايرت اعضاؤه وتناثرت
عليه اوصاله واجزاؤه ثم دعا اسمعيل فادلى بعذره وجحد العلم بما ابداه الخائن الجاني
من خباثة سره وجرت بينهما مخاوضات ومراسلات اقتضى آخرها ان يتوثق
منه لنفسه ويتملكه اذ كان لا يلتقي سيفان في غمد ولا يجتمع فحلان في شول وبلغني
ان السلطان بعد استنزاله عن القلعة بعزيمة تبسّط منه في بعض مجالس انسه وباحثه
بلسان الاستدراج عند حثّ السقاة عمّا كان ينويه في معاملته فيما لو ملك
من امره ما ملكه هو منه فحملته سلامة صدره ونشوة خمره على ان قال كان رايي
فيك ان اوجه بك الى بعض القلاع موسّعا عليك فيما تقترحه من زاد واغلمة
وجواد ودنى على نقد الكفاية دار فلمّا ارتاب السلطان عند الحادثة به عامله
بعين ما نواه وقابله بجنس ما ابداه واستودعه الى الجرجان ممكنا فيما تشتهيه
ممّا يمثل ما كان ينويه فيه فلله هذا الفعال الذي طرز ديباجة الكرم وغبر
في مساعي ملوك الامم وقد يستغرب هذا الاسجاح من وجه وان كان لا يستبدع
من اخوان هناك عاطفة القربى والرحم ولكن الشان في الاجانب الذين تعلق
بوفاهم الاجرام الفادحة والجنايات الفاحشة كيف يتسلط فيهم رايه على هواه
ويشتفي الجاني بما جناه فلم يسمع باعفّ منه في الجنايات سيفا ولا اجبن على

فورة الزلات صبرا واحتج لهذه الخصلة الفاضلة بان الملك الحازم يسلب الجاني
في حال سخطه ما يمكنه الوفاء بعينه او بمثله له عند رضاه وجرح المال يوسى
بالتعويض والاخلاف فاما النفوس فليس لانتلافها ائتلاف

ذكر الخلع الذي افاضها القادر بالله امير المؤمنين على السلطان يمين الدولة وامين الملة محمود

اوجب القادر بالله امير المؤمنين لخلعا لم يسمع بمثلها محمولة من دار الخلافة
ولقبه في كتابه اليه بيمين الدولة وامين الملة لقبا كان مصونا في صدف الشرف
لم تنله قط الايدي الغاصبة على كثرة الطلاب وتنافس الملوك في الالقاب
فتبوأ سرير الملك واجاب خلعة المجد واذاع شعار الطاعة لامير المؤمنين و
خليفة رب العالمين وقام بين يديه امراء خراسان سماطين مثنيين رسم
الخدمة وملتزمين حكم الهيبة وحبسهم بعد الاذن العام على مجلس الانس
وامر لكل واحد منهم ولساير غلمانه وخاصته ووجوه اوليائه وحاشيته سحابة
يومه من روائع الخلع والصلات ونفائس الاحبية والكرامات بما لم يسمع
بمثله ملك ملك ولم يف ببعضه ضمير امير واستجاب خراسان لامره وفرعت
منابرها بذكره واتسقت الامور عن آخرها في كفايته واستوسقت الاعمال
في ضمن كفالته وفرض على نفسه في كل عام غزوا في الهند ينصر به الدين ويقمع
به اعداء الملحدين وكتب الله له اجره واحسن نصره كذلك قال الله تعالى في محكم
كتابه يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

ذكر انصراف عبد

الملك بن نوح الى بخارا ولما وصل عبد الملك بن نوح الى بخارا فى الفل ومعه فايق ولاحق به بكتوزون فى اصحابه واولياء عبد الملك فى مضامة طمعوا انتعاشًا فى الاستقلال وتكهنوا الانتعاش بطالع الاقبال وتحدثوا بالاحتشاد لانتهاز القتال فاخترم بينهم فايق فى شعبان سنة تسع وثمانين وثلثمائة وهو وجه الزمرة وطراز الحلة وغرة الجملة والملقب بعميد الدولة فتمكن الانخزال من صدورهم ودب الانخذال فى امورهم وانحدر ايلك الخان الى باب بخارا يظهر لعبد الملك وسائر انجاده واجناده موالاة خداع واحتيال ومماراة استدراج واغتيال وهم يظنون به استظهارًا على ما عراهم واحتياطًا لما شذ عراهم مغرورين عن واجب الاستشعار والاحتراس عن حبائل الاقدار حتى انخدعوا بلطايف بره واقباله واطمعهم بزخارف اقواله وافعاله وركب اليه بكتوزون وينالتكين الفايقى وساير قواد عبد الملك صباح يوم فلما اطمأن بهم المجلس امر باعتقالهم والقبض على اصحابهم ودوابهم واستلاب اسلحتهم واسبابهم فلم ينج منهم الا الفارد الشارد والنادر المبادر وبلغ الخبر عبد الملك فوجد عدته قليلة وقوته مستحيلة فلم يجد غير الاستخفاء حيلة ودخل ايلك بخارا يوم الثلثاء العاشر من ذى القعدة سنة تسع وثمانين ونزل دار الامارة وبث عليه عيون الطلب وطلائع الرغب والرهب حتى ظفر به فحمله الى اوزكند فبات بها وطفئت بقية الشعلة من دولة آل سامان بما وراء النهر واطراف خراسان فصار كان لم تغن بالامس كداب الدول الماضية والقرون الخالية ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون

ذكر خروج ابى ابراهيم بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين ايلك الخان بما وراء النهر وبين صاحب الجيش الامير ابى المظفر نصر بن ناصر الدين بخراسان

كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك من بخارا قبض على ابى الحرث المكحول وعبد الملك وابى ابراهيم المنتصر وابى يعقوب بنى نوح بن منصور الرضى وعلى اعمامهم ابى زكريا وابى سليم وابى صالح الغازى وغيرهم من الاسرة السامانية وامر باعتقالهم ورسم افراد الاخ منهم فى حجرة على حدة احتياطًا للتقية وتفريقًا بينهم عن تمكينهم من اقتضاب الحيل والخلاف الاراجيف واحتال ابو ابراهيم المنتصر للتخلص من معتقله فى زى جارية كانت تنتابهم لمطالعة احوالهم ومراعاة اوقات اقواتهم فكانت حاله فى الخلاص موافقة لحال الكميت حين تسعى فى ثياب حليلته وانسل عن غمد الاعتقال بمهجته ثم انشأ يقول شعر
خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل ❊ على الرغم من تلك النوابح والمشلى ❊
على ثياب الغانيات وتحتها ❊ صريمة ذى اشبهت سلة النصل ❊
واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارا الى ان ايس منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب بل الشهاب الثاقب متجردًا للانتصار مستعينًا بالله على درك الثار وتلاحق به من ندّ ونفر عن بخارا وانجد وغار من بقايا القواد والاجناد السامانية فى اطراف خراسان حتى لم يجمع شمله وكثف خيله ورجله وركض ارسلان بالو الحاجب الى بخارا فبيت الخانية بها بجيش العلا وشغلهم بحقايق السيوف البوارق عن مجاز الاحلام الطوارق وقبض على جعفر تكين

وعلى بضعة عشر نفسا من اعيان القواد الخانية وحملهم في وثاق الاسار الى
الجرجانية وانقلب الباقون بجريعة الاذقان نحو ايلك الخان فركب ارسلان اكتافهم
يحثهم حث الشمال قزع الخريف وطرحهم الى حدود سمرقند وما يليها مقتفيا اثارهم
وكاسعا ادبارهم ووافق بقنطرة كوهك تكين خان في عسكر جرار ناشيا عن ايلك في حراسة
سمرقند وما يليها فانتدب لمناجزته واستغاث بالفل وسائر اصحابه على مبارزته فنصب
ارسلان له وجها وقاحا واضرم عليه الارض كفاحا فولاه ظهر الادبار واتقاه بعوذة
الفرار وغنم ارسلان ومن معه اموالهم ورموا بسلك الغنائم احوالهم وعاد ابو ابراهيم
المنتصر عند ذلك الى بخارا فاستبشر اهلها بمعاوده وبشر على مراده وبلغ ايلك خبره فجمع
احابيش الترك وصمد صمده في العدد الدثر فكر ارسلان بالو راجعا الى المنتصر واقتضاه
الاحتياط عند ذلك العبور الى اهل النسا فوافاها وجباها وصادف بها بوبكر
فركب المفازة على سمت ابيورد فملكها وسار عنها قاصدا قصد نيسابور وبها صاحب
الجيش نصر بن ناصر الدين والتقيا على ظاهر نيسابور ودارت عليهما رحى الحرب يفصلون
بالبيض البوارق ما بين الطلى والعواتق ويضربون مفارق الهام ضرب القدار بقيعة
القدام ولما اشتدت وطاة الحرب على صحبها ومرت كلها على شربها وتكاثفت جموع
ابي ابراهيم المنتصر على اصحاب صاحب الجيش ابي المظفر اقتضاهم الاحتياط ان يتحيزوا
الى جانب هراة انتظار المدد واستثارا فاموا لصنع الله في الغد فتحوا ظهور الخيل
بين ذيول الليل حتى ثابت عليهم لمة من جنود البوزتجان وتمكن المنتصر من نيسابور

وانضم اليه من شذاذ العسكر الجمع الكثير والجم الغفير وبلغ السلطان يمين الدولة
وامين الملة خبره فاستركب خيله من غير ان تربص بنهاره ليله وسار يزجي النجب
يطوي الارض طي السجل للكتب حتى انقض على نيسابور انقضاض نسر الهواء
على بنات الماء ولما نامى المنتصر باقباله انحدر الى اسفراين في علمه رجاله ومن
اصحابه في التسابق لحيازة امواله وازاحة اطماع خصمه بها فازعجه الطلب اللحاح
بشمس المعالي قابوس بن وشمگير مستصرخا اياه ومؤملا غوثه وجدواه فتلقاه بكل
ما تمناه ومهد له ذراه واعطاه حتى ارضاه وكان مما امر بحمله اليه صفقة
واحدة عشر دواب بمراكب الذهب وثلثون بمراكب الفضة وثلثون من العتاق
بالبراقع والجلال وعشرون بغلة بمراكب الذهب والفضة وثلثون اخرى مقرونة
بخمسين جملا موقرة احمالا واثقالا من البسط النادرة والفرش الفاخرة ومن حصر
طبرستان وسائر الطرائف المجموعة في الخزائن بجرجان واضيف الى ذلك الف الف درهم
وثلثون الف دينار ومائة وخمسون تختا من الديابيج التسترية والسقلاطونيات
والحلل الفخرية والخزود الطاقية وسائر الثياب المصرية وامر لاهل عسكره بعشرين الفا
معونة لهم على عوارض حاجاتهم واشار على المنتصر بقصد الري اذ كانت معرضة
لقصادها بتخاذل امرائها وتواكل اوليائها واشتجار الفتن والاحن بين الذابين
عن فنائها على ان يمده بولديه دارا ومنوچهر في جيوش الجبل والديلم ووجوه
الاكراد والعرب ليستظهر باستخلاص تلك الولاية وليكون ما ينوبه من مغانمها

خراسان عن ظهر الكفاية فقبل الاشارة وقدم الاستخارة وسار حتى خيم
بظاهر الري فاحس اهلها منه بأمر الريق على ازيق وقات الري افلاذ كبدها
فاتاه خواتيم المنتصر ودس الكفلاء بتلك الدولة الى ارسلان بالو وابي القاسم
ابن سيمجور وغيرهما من اولياء المنتصر من اطمعهم في مال يحمل عليهم سرا على
ان يثنوا عنهم عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطائف والحيل فانخدعوا
لتسويلهم وطمعوا في تأميلهم ونصحوا للمنتصر بان قد مثلك من تجلة ملوك
الشرق على جلالة اقدارهم ونفاسة اخطارهم ليجل عن مناواة قوم يدعون
فيك قرابتهم ويفترضون لك الطاعة ومهابة موالاة لمن يجر النار الى قرصه
بالتعويل عليك ومغراه ان يحترش الافعى بيديك فلما الغنم ان تقدرت
عليك الغرم ان تحرجت فلفتوا المنتصر عن رايه وزينوا له الملك بخراسان من
وراء نهار فرحل من باب الري بريد الدامغان وانفرد ولد شمس المعالي عنه عايدين
الى جرجان فخنس نجم ذلك التدبير وانحل عقد ذلك التقدير واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال واشتد المنتصر طلقا الى نيسابور وبها
صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين فاشفق من زلة القدم كالتي
حدثت من قبل فانحاز بالانحياز الى بوزجان ودخل المنتصر نيسابور في اواخر شوال
احدى وتسعين وثلثمائة وبث عماله في جباية الاموال ومطالبة من طرفهم من العمال
واستمد صاحب الجيش اخاه السلطان يمين الدولة وامين الملة فرسم للحاجب الكبير

التونتاش والي هراة البدار اليه في معظم الجنود من شجعان الترك وسرعان الهنود
حتى اذا استظهر بذوي الغناء في حومة الهجاء كر عائدا الى نيسابور وتلقاهم المنتصر
بارسلان بالو وابي نصر بن محمود الحاجب وابو القاسم بن سيمجور فالتقوا على حرب تخطت
فيها الصفاح المشهورة وتقصدت الرماح المطرورة وعند ها الكواكب المنحدرة
ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولوا على ادبارهم نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا
ودخل صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين نيسابور وقد زينت له
كالهدي على زوجها الكفي وانثالت له البشارات كما تتهادى النجوم الثابتة وتهادى
الثلوج المتطايرة وركب المنتصر سمت ابيورد والطلب على اثره حتى وصل جرجان
ولما تسامع الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير بمنابذة دماه برهاء الفين من جلد
الاكراد فالجاوه الى الارتحال وابوه من طلب المحال فكر على ادراجه بانيا في الغي
واتماز للرائي بظاهر الري وقد كان المنتصر يحقد على ارسلان بالو تنحية عليه
واستطالته في المطالب بين يديه ومنازعته الرأي فيما ينحو ومراجعته القول في
كل ما تفوه به فوه وانضاف الى ذلك اتهامه بالتخاذل في الحرب التي انهزم فيها عن
وجه صاحب الجيش ابي المظفر نصر لنفاسته على ابي القاسم السيمجور مكانه من اختصاصه وايثاره
وغيرته على الشركة الواقعة في محله ومقداره فحمله ما احتناه من ماء الكرم على
بادرة دم والاستراح الى انتهاك روحه ففتك به فتكة انست فتكات الاسلام
وشغف نفسه من الدماء العقام وتجمع اهل العسكر لانكار ما فعل واتى لهم قد سبق السيف

هيبهم واضطر اليهم وتوامروا بينهم على قصد سرخس للاستظهار بزعمها الدرقي
كان ابو بالفقيه اذ كان قد دعا المنتصر فى ارفاده وانجاده واثاره بعلفه وعتاده
فركبوا المسافر اليها على طريق ابيورد حتى وردوها وجبوا اموالها وارتاشوا بها
سبح لهم الرجيم بها وحين علم صاحب الجيش اجتماعهم على مضغ الاباطيل بينهم
دلف اليهم فى سراة الكماة لطردهم عن شريعة الطمع وازعاجهم عن حظيرة
الامل ووصل السير بالسرى حتى اشرف على سرخس فى الهيئة المشهورة والهيبة
الموفورة وبرز المنتصر الى ظاهرها فخيم بازائه واستعد للقائه وتجاذبا القتال
فاستك سمع الهوام قرع الحديد بالحديد ورويت صدور العوالى من مواد الوريد
وبلغ كل من الفريقين غاية الامكان فى منازلة الاقران ومناوشة الضراب والطعان
محاجزة عن خطوط الرقاب وتفاديا عن سوء الذكر على تناسخ الاحقاب غير
ان قضاء الله غالب وامره انفذ وله الحكم فى تبديل الابدال وتصريف الاحوال
ونقل الاموال بين الليالى وهبت لصاحب الجيش ابى المظفر قبول الاقبال فتفرق
مصاف المنتصر عن هزيمة غوابر الوجوه وجرحى بانياب المكروه ولم ينشب صاحب
الجيش ان اقتنص الغرب بابى القاسم على بن محمد التيمجورى فى قلادة من الوجوه على بقية
من الوفود وثبت توزتاش الحاجب وكان بازاء المنتصر حلقة ما بين العين والحاجب
انضمت حبالة الاسر على معظم ذلك العسكر فحملوا الى غزنة على جلية الاسير فيها الملوك
وذلك يوم الاربعاء التاسع من شهر ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين وثلثمائة بين فى الاصفاد وسار المنتصر مضطرا الابرى وذا عنزه

فدنت والطمه نصره واطاب بين الخافقين ذكره   وانشد ابو نصر عبد الملك بن
محمد الثعالبى لنفسه فيه يذكر ما انتج له فى الفتح الرابع منتظرة التابع خبره شعر
تبلجت الايام عن غرة الدهر ✤ وحلت باهل البغى قاصمة الظهر ✤ وولى بنو الاداد
ادبارهم وقد ✤ تحكم فيهم صاحب الدهر بالقهر ✤ وقد جاء نصر الله والفتح مقبلا
الى الملك المنصور سيدنا ناصر ✤ غياث الورى شمس الزمان وبدره ✤ ومن هو
بالعليا اولى اولى الامر ✤ فيالك من فتح غدا زينة العلى ✤ وواسطة الدنيا و
فائدة العصر ✤ ابى الله الا نصره ونصره ✤ على فئة العقوق وهامة البغى
وملكه صدر البسيطة كانه ✤ لنا فلك بالخير والفضل يجرى ✤ وحق له دون الملوك
مجاسن ✤ تبرز على التبر المنيرة والقطر ✤ اذا ذكرت فاح الندى بذكرها ✤ كما
فاح ذكى الند فى وهج الجمر ✤ فتى السن كهل العلم والراى والحجى ✤ يعم بنى الامال بالنائل
الغمر ✤ له همة لما احسنت علوها ✤ حسبت الثريا فى الثرى ابدا تثرى ✤ غدا
راعيا للمسلمين وناصرا ✤ له الله راع قد تكفل بالنصر ✤ الا ايها الملك الذى
نزل الملك ✤ عناديد بين القتل والكسر والاسر ✤ قدمت قدوم الغيث بين مقطع
فجليت وجه الدهر بالحسن والبشر ✤ الست ترى كتب الربيع ورسله ✤ يقولون
هذا الربيع على الاثر ✤ نسيم نسيب للجيوب بلطفه ✤ يجر فويق الارض اردية العطر
وريا بانفاس الربيع معنبر ✤ فيالك من طيب ويالك من نشر ✤ وغيم يحاكي
لنا الحسن كانه ✤ على المسك والكافور يهطل بالخمر ✤ وروح يشربها الروح وحلك

الّها لفى تعب من وقعة البيض والسمر ودم لا اقتناء الملك فى كمل المنى

وفى ارفع العلياء وفى اطول العمر وانشدنى ابو سعيد ابن دوست لنفسه فيه

للامير المظفر العالم العادل فينا ابى المظفر نصر كرم فى شجاعة وسخاء وفاء وذو

مع نصر ومقال لو زامها بخت نصر يوم فخر اعيت على بخت نصر فيه تقطيع الحلو

وتعريج وبه ادفع الكروب ونصرى واشتد الركض بالمنتصر لمحال الاتراك الغزية

ولهم صغوا الى الدولة السامانية فاخذتهم المذمة من خذلانه وحركتهم الحمية

لعونه على شانيه وتذاكروا بينهم شرف السامان وما يعرفونه قديما من بركات

البيت القديم والشرف العميم وصار مصعدا حتى لحق بامك الخاقان وذلك فى شوال

سنة ثلث وتسعين وثلثمائة وعند هذا لقا ايلك للانتصار من المنتصر فى جيوش

الترك يسعى فى طلب الثار واستنفار النار حتى اناخ بجنود سمرقند وتنادر الغزية

باقدامه وتوامروا بينهم على بياته فاجتمعوا للركض عليه فنحو الجبل تحت الليل

حتى كادوا لا تستقر الارض بوطى اقدامها ولا تبقى النجوم باشخاص الوتيها واعلامها

حتى اوقعوا به وانتهبوا جل سواده وقبضوا على جلة قواده فانقلبوا بما غنموه

الى اوطانهم عند حصول البغية فاستاثروا على المنتصر بالاسرى طمعا فى الفدية

ثم بلغ المنتصر تنازعهم الامر بينهم فى موالاتهم ايلك عليه وافراجهم عن الاسرى

لتقربا اليه فرابه ذلك من امرهم ريبة لا تاخذ الارض معها بقرار ولم يكتحل عينه

عندها بغرار فاختار من جريدته قرابة سبع مائة رجل ركبانا ودعا لاحقا فتا

وطاف على المعابر فاذا النهر جامد واهل الشط فى البعد امد ففرشوا

النهر باتبان الارز حتى امكنهم من العبور وتبعهم الطلب فمنعهم خطر المعبر

من قصد المنتصر وارسل هو عند قراره بامل رسولا الى السلطان يمين الدولة

وامين الملة يذكره بحقوق سلفه عليه واشتداد الامر فى انتقال العداة اليه

وانه له بحيث يرتبه فيه طاعة له واخلاصا فى هواه واظهر الانقطاع اليه

كنف قبوله واشباله والافتقار الى معونته بماله ورجاله واشتد من اهل الشط

الى سواد مرو احتراسا من معرة الترك فى العبور على الاطواف والفلك وارسل

الى ابى جعفر المعروف بخواهر زاده وكان ابوه رجلا من الرعاع رفعه الزمان فى

دولة السامان يستميحه المعونة بما يفضل عن سعة يده من مال وسلاح فرد

الرسول على غير وجه الحرية والارتياح لحكم الاناءة ولم يرض بالرد حتى

خرج اليه مقاتلا وبالجفا مقابلا فحمل اصحاب المنتصر عليه حملة فرقت جمعه حملة

وتندى سائرا الى ورد حتى وافاها فى شهور سنة اربع وتسعين وثلثمائة

اوجب السلطان اكرام رسوله وتحقيق مامولة وصلته بصدر من المال يحمله

وخاطب ابن خواهر زاده بجدمنه وتضمن رضاه وترك الانحراف عن مراده

واضطره الامر الى طاعته حين شاعت سنة البخل عليه واستطارت شادخة اللوم

بجلبه وكان ابو نصر محمود بن نصر احمد الحاجب لما تابع نفدم رايه المنتصر مال به

على صاحبه واظهر الانقطاع الى جانبه واقام له الخطبة ببلاد ما ظهر اطاعته وتنقد

فی نصرته جهده واستطاعته ولما احس اهل نسا برای ابی نصر فی اتباع رایه
الخلاف اشفقوا علی انفسهم من عاقبة الاتهام بموالاته لاشتراك فی جنایاته
وکاتبوا خوارزمشاه مستمدین علیه فانهض ابو الفضل الحاجب احد اعیان ذلک
الباب الرفیع لازالة شره وکفایة امره ومال ابن محمود الی المنتصر فتضافرت الیده
نواقوة الغنی وصمدا الی الخبوشان من رستاق استوا وناهضهم ابو الفضل
رجال خوارزمشاه فالتقوا التقاء هم علی الحرب بمرأی من النجوم الثوابت حیث لا
یدری الضارب مضروبه ولا یبصر الراکب مرکوبه واختلط الراجل والفارس
بالنابل وتضاربوا ما بین الثواء المقاتل وتطاعنوا سلکی ومخلوجة کرک لامین
علی نابل وتصدع شمل الفریقین قبل ان صافح اللیل صباحه ونفض النجم علی
الغرب وشاحه فلم یتعرف احد بما جشمه الظلام علی کثافة ذلک الجیش اللهام
حتی استفاض ضوء النهار فاذا ابن محمود قتیل وابن حسام الدولة ابی العباس تاش
الی جنب صریع وتفرق الباقون عبادید بین اقطار المهامه والبید ووقع المنتصر
الی اسفراین فمانعه اهلها حذر المحنة وخیفة الهرج والفتنة فانثنی علی ادراجه
فی شرذمة من اصحابه یقطع الارض طولا وعرضا حتی انتهی الی بعض حدود سرخس
فاقام هناك ریثما تلاحق به الفل وسار حتی عبر النهر من ساحل قیطان وبرز
سحنة بخارا فی طلبه فوسد واعلیه وجوه مهربه فرکب غرر الرجال فی ثبات
القوم وثبت بعضهم للبعض جلادا بالدبابین والحدید اغمادا للسیوف فی

قراب الرقاب فجد المنتصر فی الامر واشتد وتجابر اسه ولم یکد وصار القوم
الی دبوسیة من الصغد مستنجدین من بها من العمال وتفاریق الرجال
ووقع المنتصر الی ثغر النور ورکض منها علیهم رکضة اقتسمهم بین الحیاج
والجناك واصطلام واجتثاث ومال به المعروف بابن علمدار رئیس الفتیان
بسمرقند فاتاه فی ثلثة الاف رجل ونفر الیه مشایخ اهلها ثلث ماة غلام
علی سبیل بر وخدمة ووصلوا الیها کرامات تضاهیها وشارات تدل علی الخلاف
فیها وتوافی الیه الغزیة فاشتعلت جدوته وترجعت قوته ولما سمع ایلک
باحتداد شوکته واشتداد وطاته زحف الیه فی احلاس الذکور من دیار
الترك واشتبکت الحرب بینهم بقریة بوربند من حدود سمرقند حتی نفدت
النبال وتکسرت النصال وتحطمت السمر الطوال وخان الخان مقامه وانقض
عنه قواده واقتفاه الغزیة فی طلاب الاسلاب حتی بردت ایدیهم بالسبایا
والنهاب والغنایم الرغاب وذلك فی شعبان فی سنة اربع وتسعین وثلثمائة
وعاود الخان ارض الترك وضم النشر ونادی فحشر ثم کر علی ثاره وبث علی السمر
شرد ناره ووافق اقباله تراجع الغزیة الی اوطانهم بما نهبوه علی عادتهم فی کل
ما غنموه واستانف الحرب علی فضائی فرتیجی دزك وخاوس من سروشنه
واستامن المعروف کان بالحسن ابرطان الی الخان فی زهاء خمسة الاف رجل
من رفقائه عند انتقاد جمرة المصاع واشتداد زفرات القراع واضطر المنتصر

الى الافراج وحكم الخان فى اهل عسكره سيوف الانتقام حتى روى الارض
من دمائهم وشبعت النسور من اشلائهم وصار المنتصر الى شط جيحون فعبره
على العجل لعدم التفاتن وخلو المعابر ومضى الى اندخود من ارض الجوزجان
من ركضة الخان وامر باستيناق الدواب الزاغبة بها باشتياق الدواب
بها وافيا مهابين اهل جملته وركب المفازة المعطرة ز لغول بلغ السلطان
بمين الدولة وامين الملة خبره اسرع الانحدار الى بلخ لاعجاله عن تفاقم امره
واستفحاله وابتعه بفريعون بن محمد فى اربعين قائدا من قواده لطرد سواده
وحسم فساده فاعجزهم المنتصر وسار الى الجنابذ من قهستان صرورة اذ كانت
جيوب الافاق عليه مزرورة فحيث ام شهرت عليه السيوف واتى الراحة حتف
بد الخوف وتلقاه صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين فى طغاة
الى سرخس واسلان الجاذب والى طوس يحثون الظهور فى الطلب ويتعرفون
علائمهم بين الركض والخبب فنفاهم الى جومند ومنها الى الطام فرماه شمس المعالى
قابوس بن وشمكير بزعفاء الفين من الاكراد الشاهجانية فازعجوه عنها
بينا رد اجماعها باللوم على من تقلد الانحدار ولما ضاقت عليه المذاهب في
لما طلب المطالب بادرا الى كورة نسا بدارا من لا يمكث بدار ولا يوطي
الارض جنب قرار وتلقاه ابن سرخك الساماني بكتاب بزنه له الانتقال المصانع
على ابلك الخان موادته وموالاته ومطابقة للخان عليه وموالاته منادعته

نفسه تقدم اجابته طمعا في وفائه وتاميلا لعونه على دمائه فراكب الخطر و
سار حتى اذا بلغ بير جماد من مفازة آمل سبقه خيله الى الشط فوافق ذلك جمود
جيحون فاغتنموا مفارقته خلاصا مما منوا به من مكابدة الاسفار وعدم الاستقرار
ومواصلة سهر الليل بدابات النهار وشاور وافى العود الى سليمان الحاجب وضالها
حاجبي ابلك الخان وعرفوهما ان الساماني بالقرب منهما طحطحته والحوادث قد
هو خلسة الطامع ولهزة الطالب وطعمة الانياب والمخالب فلم يثغر ابو ابراهيم
الا بالخيل مطلة عليه فطاردهم ساعة ثم ولاهم ظاهر الفرار وقبض على الاخرين
وخاصتهما بر باط بترنج وحملوا الى اوزكند الاسرى فاحل المنتصر هو بحلة ابن بهيج
الاعرابي من جملة العرب السيارة فى تلك المفازة ليقضى الله امرا كان مفعولا وكان
المعروف بابى عبد الله ماه روى بند ار من جهة السلطان يمين الدولة وامين الملة
فيهم وقد اوصاهم بالقعود له بكل مرصد واذكاء العيون عليه عند كل مورد فلما لبس
الليل جلدة الغبش وعرض على النجوم جيش الحبش وثب اهل تلك الحلة على المنتصر
جهلا وغباوة وقساوة وشقاوة واخفروا مقدمه وحلوا الارض حرام دمه فكانما
عناه ابو تمام حبيب بن اوس الطائى بقوله حيث يقول شعر فتى مات بين الطعن و الضرب
ميتة، تقوم مقام النصر اذ فاته النصر، وما مات حتى مات مضرب سيفه،
من الضرب واعتلت عليه القنا السمر، فاثبت فى مستنقع الموت رجله، وقال لها من
تحت اخمصك الحشر، غدا غدوة والحمد نسج رداءه، فلم ينصرف الا واكفانه الاجر

مضى طاهر الاثواب لم يبق روضة … غداة ثوى الا اشتهت انها قبر … عليك
سلام الله وقفا فانني … رأيت الكريم الحر ليس له عمر … ثم نقل فالبدالى قريته ماذ…
من سواد باورد ودفن بها في شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان
يمين الدولة وامين الملة خبره فامر بالقبض على بنداد واذ افتخر الانكار وشن
الغارة على ابن هيج خاصة وعلى سائر العرب السيارة عامة وصارت جمرة الساسان
رمادا اذرته الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا **ذكر الامراء السامانية ومقادير**
ايامهم من حيث نجمت دولتهم الى ان وردها السلطان يمين الدولة وامين الملة
وجه العزيز كان ملك آل سامان بما وراء النهر وسائر بلاد خراسان بما ينضاف
اليها في الوقت بعد الوقت من كور سجستان وكرمان وجرجان وطبرستان وقومس
الى حدود اصفهان مائة سنة وستين وستة اشهر وعشرة ايام فاولهم ابو ابراهيم
اسماعيل بن احمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث بباب بلخ يوم الثلثا
للنصف من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين وولي خراسان ثمان سنين
ومضى لسبيله ببخارا ليلة الثلثاء لاربعة عشر ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين
منعوتا بالعدل والرأفة موسوما بطاعة الخلافة وقام بعده ابو نصر احمد بن اسماعيل
فملك ست سنين وثلثة اشهر وفتك به نفر من غلمانه ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى
الآخرة سنة احدى وثلثمائة وكان مقتديا بابيه في ايثار النصفة واختيار الاحدوثة
الحسنة اقتداء الابناء بالآباء في اختيار افضل السنن واحمد الطرائق ان طوبا للنباتات…

ذکر امرای سامانی و مقادیر ایام دولت ایشان

ايامهم كعادتها في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد
لسنة الله تحويلا وسد مسد الشهيد ابو الحسن نصر بن احمد فملك ثلثين سنة
ربيع النجاد قوي العماد ورى الزناد زكي المراد وتلبثه في ارث الملك نوح بن نصر
وهو الحميد فملك اثنى عشرة سنة وثلثة اشهر وسبعة ايام وتوفي ببخارا لاحدى
عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثلث واربعين وثلثمائة وانتصب منصبه عبد
الملك بن نوح فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر يوما وعثرت به دابته
فسقط الى الارض سقطة حمل منها ميتا وذلك عشاء يوم الخميس لاحدى عشرة
خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة وخلفه في الولاية اخوه منصور بن نوح خمس
عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفي ببخارا يوم الثلثا لاحدى عشرة خلت من شوال
سنة خمس وستين وثلثمائة وولي امره نوح بن منصور احدى وعشرين سنة
وتسعة اشهر وتوفي يوم الجمعة لثلث عشرة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلث
مائة وملك بعده ابو الحرث منصور بن نوح سنة وتسعة اشهر فاغتاله بكتوزون
بسرخس يوم الاربعاء وبويع اخوه عبد الملك بن نوح فما استقرت قدمه في الولاية
حتى خرت على يد السلطان يمين الدولة وامين الملة محمود غاشيته وشالت نعامته فطار
الى بخارا وقبض ايلك الخان عليه وانتزع الولاية من يديه فكانت مدة امره ثمانية اشهر
وسبعة عشر يوما وذلك حين ما ولي السلطان كورة خراسان واقبل بعد ذلك
يزداد في اسباب العلاء جدا وجدا ويتضاعف في رقاب الاعداء حدا فما بقي له شهر الا

عن ثغر مفتوح ووضع ممنوح وذكر على هامات الاعواد مرفوع ومآل الى قضاء الحق
والآمال مشروع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر الاحوال التى جمعت الامير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن احمد والى سجستان
خلافا مرة ووفاقا اخرى وما جرى بعد ذلك من الطوائل والتراث التى نشأت عنها بين
يمين الدولة وامين الملة وعطفت به الى انتزاع الملك من بين يديه وما جرى خلال ذلك
من وقايعه فى الهند الى ان تثبت له ما اراد بعون الله ونصرته

قد سبق فى اول الكتاب
ذكر الامير خلف بن احمد فيما اراه السديد منصور بن نوح ورده الى بيته واظهاره
على خصمه الحال تهاوت دعوتم الذين بخراسان وفرغ عن اشتغال دولاتهما
دعاهم منها للاستجمام والاتباع بما يحرجه ارض سجستان من صنوف الارتفاع
حتى اتسع نطاق همته لطلب الفضول ومنازعة القروم الفحول ولما تصدى
ناصر الدين سبكتكين لمواقعة ملك الهند حين تورد جنود الاسلام على ما
شرحه صدر هذا الكتاب اغتنم خلف بن احمد انتقاض بست عن الحفظة وخلوها
عن الحماة فسرى اليها من اقتاض بيضها وافتض عذرتها وحرف كلمة الدعوة عنها
وغمس يده فى اموالها فجباها وجمعها فاوعاها فلما افلح الله على الكافر اللعين عطف
العنان الى بست منتعضا من غدره متحفظا من سوء محافظته فاتقاه اصحاب خلف بن
احمد بظهور الفرار واعتقاب الادبار والصغار وهم ناصر الدين لما نهضوا
استغاره فى مناجزته فارسل اليه خلف بن احمد من يتاول عليه فى ذلك البعث محا

والاستظهار

ناصر الدين

محافظة على حكم الموالات فى حفظ ولايته ويتضمن تصحيح ما صار فى جبايته
ويتبرع بزيادة تقوم مقام الارش عن جنايته تفاديا عن ثقل وطأته على اعماله
وتصونا عن عوق الافتتاح فى قتاله فتغابى ناصر الدين عن سر غدره كفا لليد
الاقتدار واكتفاء منه ببذل الاعتذار ومطالبة بتصحيح المال حتى اداه وارتهن
به بعض رضاه وكانت الحال بينهما من بعد قائمة على حكم المسالمة الى ان حدث
من امر ابى على ابن سيمجور فى الجولة التى اتفقت له بباب نيشابور ما سبق شرحه
فاظهر تقربا الى ناصر الدين بمساعدته على خصمه ومرافدته بنفسه وساير اهل
جملته امتنانا عليه بظاهر المظاهرة وقوته الباهرة ثم اذ كان ابو على قد ترمد
حضاره وغرق فى عقر داره واقتاده بسيوف انصاره وصحبه الى فوشنج فى جمهور
اشياعه واتباعه ثم خلفه بها ناصر الدين سبكتكين صيانة له عن كلفة
السفر وابقاء عليه من خطة الخطر وسار الى طوس لمواقعة ابى على وطلب الثار المنيم عنده
حتى اذا طرده ونفض من شغل تلك الحرب يده رد الى خلف بن احمد اصحابه منقلبين
بالنعم الباهرة موشحين بالخلع الفاخرة تقدمهم المراكب والجنائب وترد فهم النجائب
والرغائب شعر فعادوا فاثنوا بالذى انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
فصفت لذلك شريعة الحال بينهما عن قذى المواراة وبعدت عن عرض المداجة
والملاحات الى ان عبر ناصر الدين النهر الى ما وراءه لمدافعة ايلك الخان عن ولاية
الرضى برفق المناصحة او خرق المكافحة ثم اقتضت صورة الحال مساهمته بعض تلك الاعباء

على ان سلّم له سائرها دبامن عنت العيث بادلها وحاضرها وتراخت الايام اثناء ذلك
مكاتبة خلف ابن احمد ايلك مرهبا من غيره ومغريا اياه بجريه طمعا في بست
ونواحيها وغزنة وما يليها وانضاف اليه بلاغات وفوارص يرقيه له من حاله
في امر ابي علي واظهار التداعة على ما سبق من عونه عليه والافصاح على رؤوس
الاشهاد معرّضا بان اجتياح الملوك شوم واستباحة البيوتات لوم وضعف
الرأي معلوم فطار الغضب بناصر الدين كل مطار وحدثته نفسه الاشتداد
بالبدار الى ارض سجستان لاطفاء الغليل وشفاء الداء الدخيل فثناه كاتبه
ابو الفتح علي بن محمد البستي عما نواه بالقول الرفيق والرأي المؤيد بالتوفيق
ودبّ بالتلطف على ذلك الحريق واراه ان بعض البلاغات زور وان القائل
كالقائل مأخوذ ومؤزور وان قلوب الرجال وحوش نافرة وطيور في بحار الجو سابحة
فما يتمكن الا بالاعمال الحيل في نصب الحبائل وتمكين الجوارح ورمي البنادق ونثر
الحبوب والمطاعم ثم لا شيء اكثر من افلاتها عن حبالة القانص وارسالها من شرك
الصائد كذلك لا تصطاد القلوب الا باشراك الصنائع والعواطف ولا تنقاد
الا بازمة الايادي والعوارف ولا تنقاد الا باستذلال التوالد والطوارف ثم
الكلمة الجافية تهيج وادعها وتطير واقعها وتكدر عليها مشارعها وتلا عليه قول الله
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين ثم فترها له حتى نزل عن ظهر مركب التعجل الى الارض التمهل

وانشدني ابو الفتح رحمه الله في شرح ما دار بينه وبين ناصر الدين شعر اذا شئت
ان تصطاد حبّا خي لبّ ❊ وتملك منه حوزة القلب والخلب ❊ فاشرك في
الخبر الذي قد ذرقته ❊ وادخله بالاحسان في شرك الحبّ ❊ الم تر طير الجو
هوى مسفّة ❊ لحبّ كقطر من ذرى الجو منصبّ ❊ كذلك لا يصطاد ذو الرأي
والحجى ❊ مخبّات حبات القلوب بلا حبّ ❊ وكتب خلف ابن احمد بعد ذلك
متنصّلا عما عزي اليه ومتبرّيا مما نمّ منه فعفا ناصر الدين عما حاك في صدره
من امره واغمض له عما امتاحه من قليب قلبه وغدير غدره وتبث لديه في عمر على
مداراته وملاطفته الى ان اتاه اليقين من ربه فانتقل الى جوار رحمته وعفوه
وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة محلّه حبوة الزمانة باظهار التمائم فاستقل
قول القائل شعر قل للذي بخلاف الذي مضى ❊ تجهز لاخرى مثلها فكان قد
ثم اسرّها في نفسه مترقبا الميقات الفرصة في الايقاع به والاشتفاء منه الى ان ورث
ملك خراسان ونفى الاطراف عن غبرات الخلاف وسلم الافاق من غلواء النفاق و
قد كان خلف ابن احمد عند قيام السلطان باستصفاء المملكة قد بعث ابنه
طاهر الى قهستان فملكها ثم عبر منها الى بوشنج واستولى عليها وكانت هراة وبوشنج
برسم بغراجق اخي ناصر الدين سبكتكين فلما وضع الله عن السلطان اوزار تلك
الملاحم اتاه عمه يستاذنه في طرد المتغلب عن ولايته وقلع احد من نكايته فاذن له
فنهد وسار حتى اذا شارف بوشنج تلقاه طاهر ابن خلف من ولاه من العبيد تحت الحديد

فتناوش الحرب قدّاً للهام من خطوط الفقار وقطّاً للاجسام من خصور المناطق
واستسقاء الارواح بارشية الرماح واختلاء للرؤوس بسيوف كسيوف الرؤوس ثم
حمل بعضهم على بعض فتدهّنت الميامن بالمياسر والمياسر بالميامن وانفل طاهر من
بين يديه هزيماً واتبعه بغراجق يحث منه ظليماً وقد كان قبل انثمر للحرب اصابت
كؤوساً تستقط لها اعين الطعن والضرب فغادرن عليه نارا من كاس وباس
حتى غفل بهما عن وشيقة التحرز وذهل معهما عن نصرة التحفظ والتحرز فعرّد
بنفسه في اتباع خصمه اغتراراً بخيال سكره فلم يشعر الا بابن خلف قد كرّ عليه بضربة
اقعصته قتيلاً ونزل للوقت من قطف علاوته لحدّ عقبه وانتهز الهزيمة كالفرس القرير
فلم يعرف الغالب من المغلوب ولا السالب من المسلوب بخلاف ابن خلف فانه قفى
اثر فلّه بمن تدهم الى محلّه وورد الناعي على السلطان فناله من الغم بفقد العم ما ينال
لعدم واحد والولد لافتقاد صنو والد واستدل بما اتفق لابن خلف على العدق
الشقاوة وباسه واطباق الكل عليه وعلى من يليه وحدس ان البقرة تبحث عن المدى
بروقيها والنملة يقضي عليها نبات جناحيها ولو عقل الفراش لما غشى ناراً غاشمة
الجذوة نارٍ ولا تهافت في مصرع شعر اشارة الفرس في اخبارها مثلا ۞ و
للاعاجم في ايامها مثل ۞ قالوا اذا جمل حانت منيته ۞ اطاف بالبئر حتى يهلك
الجمل ۞ وزحف السلطان في شهور سنة تسع وثلثين الى خلف بن احمد وهو محجر
بحصار اصفهبد قلعة بينها وبين النجوم قاب قوسين بل قيد سهمين نحو بكل عز

عن مرامقها الابصار وتحار دون مساماتها الافكار فحاصره بها ممنوعا عن
فسحة الاختيار ممنواً بثقل الاضطرار مفجوعا بزلة القرار ولذة الفرار حتى نجب
الروع روعه وودع الروح روحه فاستشعر الخضوع والطاعة واظهر الخشوع
والضراعة وسأل سؤال المستكين ان ينفّس من خناقه ويمهل من حبل ارهاقه
على ان تفتدى بمائة الف دينار وما يليق بها من خدمة ونثار وتحف ومبار
فاجابه السلطان الى ما استدعاه ووكل به من اقتضاه المال حتى استوفاه وغادره
كما هو في اسار الحصار وخناق الوثاق وثنى نحو قصد سجستان لكنه احب ان يجعل
غزوة في الهند مقدمة لما نواه وصدقة بين يدي نجواه تبركاً بما يجري على يديه
من ارتفاع رايات الدين واتساع ساحة اليقين وانارة كلمة الصدق واغارة قوة الحق
فتوغل بلاد الهند متوكلاً على الله الذي هداه بنوره وقضى له بالعز في مقدوره
وبالنجح في تصاريف اموره حتى انتهى الى مدينة برشور فخيم بظاهرها وبلغه
اجتزاء عدو الله ملك الهند جيبال على القتال واستعجاله القضا بمحاودة قتاله
واستعرض الخيول من ابناء جريدته وسائر الغزاة والمطوعة من جملته واختار للجهاد
خمسة عشر الف عنان من فحول الرجال وقروم الابطال فخطر ان يختلط بهم من
ردة الاختيار وبهرجه الانتقاد حتى اذا خلص عددهم على الانتخاب والاجلاء
كتيبات الصر كانها اسود الغاب ذلف بهم الى قتال اللعين بقلوب كالهضاب ثابتة

١٦٩

وفروع صبر على دوحة اشخاص نابتة واقبل الكافر الفاجر في اثني عشر الف فارس وثلثين
الف راجل وثلثمائة فيل قد تئن الارض من وطئ اطرافها وتخفف من ثقل اخفافها
حتى اناخ قبالة السلطان متطاولا لا بعدده متطاولا بقوته ناعوين وبطن
كثرة الجموع تطوي كتاب الله طيا او تغني من امر الله شيا ولو درس الجاهل كتاب
الله تعالى لقرأ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وادثر الكافر مكانا
جانحا الى المطاولة دون متحرزا بالمدافعة والكر او عنا انتظار المدد وراه من اوشاب
واوباش القبائل والشعوب فاعجله السلطان عما حلم به من تقديم المطاولة
وتاخير المقاتلة وبسط عليه ايدي اولياء الله فاسعوهم حربا وضربا وطعنا ومشقا
ورشقا وخزا ووخزا وحثا وسحبا حتى اضطر الى الدفاع وصلى نار القراع فاصطفقت
عند ذلك الخيول وخفقت الطبول وزحفت الفيول واقبل بعضهم على بعض
بنصول وترامت النبال على الخصل ترامي ولدان الاصايل بالخصل وتلالات
متون القواضب تلالؤ برق الغيم جنح الغياهب وفارت ينابيع الدماء كما
فاضت مجاديح الانواء وتكاثر اولياء الله على حماة الهند ابير [illegible] ازلا
يحثوهم رقصا وحزا فلم ينتصف النهار الا بانتصار المسلمين من اعداء الله المشركين
وحكموا السيوف من رقابها خمسة الوف رجل فبسطوهم على العرا واطعموهم سباع
وطيور الهواء وحصل على صعيد المعترك خمسة عشر فيلا من ذوات العراقيب الحداد
القناشيب مجزرة وذوات الخراطيم باسياف اللهاميم ولحيط بعد ذلك الله حبال [illegible]

١٧٠

وبني لجنه فسبقوا بخزايه القبر والاسر الى موقف السلطان كما ياتي المجرمون
الى النيران وجوه عليها غبرة ترهقها قترة الخذلان فمن مكتوف الى الظهر
قسرا ومسحوب على الخد جرا ومضروب على الوريد صبرا وحل مقلد جيبال
عن نظم مرصع بغرائد الدر والجواهر الزهر واليواقيت الحمر قوم ما في القلادة
واصيب اضعافه في اعناق المقتنين من قرابته بين قتيل واسير والمطعمين شديد في
ضيع وكثر ونفل الله اولياء السلطان ما فات حد الاحصاء وجاز جهد الحصر
والاستقصاء واغنمهم خمسمائة الف راس من رقيق العبيد والاماء وآب السلطان
بمن معه من الاولياء الى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين ظافرين شاكرين لله رب
العالمين وفتح الله على السلطان من ديار الهند ارضا [illegible] من ديار خراسان في
جنبها طولا وعرضا ووافقت هذه الوقعة الباهرة اثارها السائرة في الافاق
اخبارها يوم الخميس الثامن من المحرم سنة اثنين وتسعين وثلثمائة فلما وضع
احمالها وحطت عن الظهور اثقالها احب السلطان ان يفرغ الجنود [illegible]
بنوه وذووه شعار العار واسار الخسار وبسط هيبة الاسلام في ديار الكفر
فوافقه على خمسين [illegible] من خفاف الاقبال وارهنا ابنا وحافدا له على الوفاء
بها على الكمال وعاد الكافر والده حتى اذا استقر مكانه كاتب ابنه اندبال وشاهيه
وراء سيحون يشكو اليه ما عراه من الفاقرة الكبرى والداهية العظمى ويساله الرسول
علفا ان يودي عنه الضمان بما عراه [illegible] ثلاث الفيول وصرف الرسول

اصقاع
الاطراف

وسبقت جملتها الى السلطان فامر بالافراج عن اولئك الرهائن وكسح ادبارهم
بحو تلك المدائن وحدثت نفسه انه بال بان اباه قد لبس بردة الخرف وعض على
جرة الهرم وقد طلع عليه نسر الانسر ودبران الادبار وعوته عواء الامتحان
وشالت به شولة الخذلان فقد حان ان يلقى جنبه وتتقاضى عليه الزبانان دينه
ومن سنة المطاعنة فيهم ان من حصل منهم في ايدي الثاتبة وهم المسلمون امرا لم ينعقد
له من بعد رياسة ولم يستتم له زعامة وسياسة ولما رأى حيبال حصوله بين قيد
الهرم وعقد الهم له اثر النار على العار والمنية على الدنية فبدأ بشعره فحلقه ثم تحامل
على النار فاحترق ولما استتب للسلطان ما اراد وانقاد له ما اقتاد ارتاح لغزوة
اخرى يطرق بها دار سلجه مقامه ويعلم بحال الماعذ بانه اغلامه فسار نحو هند
عليها بكلاكل الانداد حتى افتضها صغرا واعتاض منها بعد العسر يسرا وبلغه
طوائف من الهنود بتغايب تلك الاعلام واستنادهم بحمر الغياض والاجام متحذرة
بالتحرز بالفساد والتالب على العناد فاغزاهم حيث يدوخ مجالهم ويفرق فل
الوصول اوصالهم فولغت فيهم السيوف حتى رويت من رشاش دمائهم وصدئت
من مخالطة احشائهم وتقارب من سلم عن ظباتها كالاوعال في ديود تلك الجبال
يرون الكواكب ظهرا والمنايا سودا وحمرا وذاقوا وبال امرها وكان عاقبة امرها
خسرا وانقلبت رايات السلطان الى غزنة خافقة بالنجح الشائع والفتح الرائع
والحول المبين والنصر المستبين وقد اشرق وجه الاسلام وابتسم ثغر الايمان

وانشرح

وانشرح صدر الملة وانقصم ظهر الشرك والبدعة وكان خلف بن احمد
عند انصراف السلطان عن وجهه عهد الى ولده طاهر في اعمال سجستان
واسند امورها اليه ايثارا له على نفسه وهذا الكرية الملك اليه وقبل
وتثبيتا له في ملكه قبل استحقاقه اياها بارثه تعريضا للسلطان باستعفائه
عن الملك واقباله على النسك واعتياضه تواضع العبادة عن ترفع السيادة
ليقطع بخروج الامر عن يده طمعه عن قصده وحسد فلما استقت المدة على ما
وراه نطقت شواهد الجحود في اختياره وبدت نواجذ العقوق من ثني اماره فلم
يزل يلاطفه ويداريه حتى اغماه عما نواه فيه ثم تمارض في الحصار المذكور واستدعى
ابنه لقبول الوصية وتسلم الودائع الخفية فغفل عن سر التدبير واستوطا مناكب
التغرير وامتل طرفه بن العبد على خصلتي الضبع من ضرب الجيد وحز الوريد وقد
كان خلف بن احمد كمن له مقانب من جيشه واحاطوا به احاطة حبل الرباء بجيد يمه (?)
الوضاح الى ان حصل في معتقله وحبس في مكمن اجله وبقي في السجن على حاله
الى ان احرجت جارية محالا علية في قتل نفسه والجناية على روحه ودمه ولما
سمع طاهر بن زينب صاحب جيش خلف بن احمد وساير القواد بسجستان ما جرى في
في امر طاهر دخلت في طاعته ضمائرهم وتغلبت في موالاته سرائرهم وانفضت
خوف الاسوة فيه مرائرهم وضبطوا اهل المدينة على طاعة السلطان ومتابعته
وارسلوا اليه بما اوجبوه من التمسك بحبل الطاعة والتنسك بدين الجماعة وسالوا

انهاض من يتولى ثلم الثلمة منهم ليتسددوا الى بابه ويتعطروا بلثم ترابه
ففعل السلطان ما سألوه وجزاهم الخير على ما فعلوه واقيمت الدعوة للسلطان
بها في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة ولما فتح الله رتاجها ويسر له انفراجها عزم
على قصد خلف وحسم دابره وكفاية الخاصة والعامة عوادي مكره ودهائه
وهو يومئذ في حصار الطاق ومن صفته انه ذو سبعة اسوار رفيعة الجدران منيعة
البنيان وثيقة الاركان يحيط بها خندق بعيد القعر فسيح الارض منيع المخاض لا
يعبر الا من طريق في مضيق على جسر يطرح عليه عند الحاجة ويرفع وقت الاستغناء
عنه فعسكر السلطان حواليه محيطا به من جوانبه احاطة المحيط بنقطة المركز وجعل
يستقري بالرأي وجه الحيلة في طم ذلك الخندق وكبسه ليتسنى على الفارس
والراجل خوضه وعبوره وكانت حوالي معسكره منابت اثل وطرفاء ذات التفاف
واكتناف فعرض على اهل عسكره مناصلهم وغاماتهم لجلبهم وفادتهم عضد ما
يمكنهم عضده منها اضغاثا وحزما تلقم عرض الخندق ليستوي ظهر المجاز في
المخترق وبادر الناس فلم يشرق شمس النهار على التكبيد حتى اعتاض عرض الخندق
من جانب باب الحصار للركوب وثار اليه عند ذلك الخيول ويتبعها الفيول
ومانع اصحاب خلف بن احمد من شرفات الحصار بقذفات الاحجار واشتعلت الحرب
بينهم ترمي بشرر وتنحي على القضاء بالفرس والقمر فحمل الفيل العظيم الى باب الحصار
فاقتلعه بنابيه وزج به في الهواء وانحط الى الارض من خالق وقتل من اصحاب خلف

لجم الغفير ولجأ الباقون على اطراف العجاج الى السور الداخل ودمر عسكر السلطان
على الحصار وتماسك اصحاب خلف فوق شرفات السور الآخر مناضلين عنها بالمجانيق
المجانيق واطراف الحراب والمزاريق والح خلف بن احمد عند اشتداد الحرب على ملتقى
الفريقين فرأى هول المطلع من تموج الفضاء بعفاريت الانجاد على شياطين الجلاد
تطاير النبال كرجل الجراد وترامي الحراب كغزالي السحاب وفيض الدماء كثبج الثماد وعاين
الفيل قد اهوى الى بعض اصحابه بخرطومه فرمى به في الهواء غياب رمحين ثم تلقاه بنابيه
واقبل على آخرين يدوسهم بمنسمه ثم انحى على الباب بمنكبيه فزعزعه بعضاديته
واقتلعه بضبات الحديد عليه فاستطار عند ذلك قلبه وجاش جاشه وارتاع
روعه واضطره هول المقام وفزع الاصطلام الى طلب الامان واستغاثة السلطان
فكف عنه يد الاخراج ووضع عنه سوط الانتقام كرما عوده الله بيده والطبه
بنبوته خيمه واقبل خلف بن احمد على يد له الحاجر فحتى استوذن له على السلطان
فدخل واهوى الى الارض بشيبته البيضاء معفرا بذل الخدمة وغشي البساط
من سبح الجواهر والفرائد بما كشف النهار وخطف الابصار نثارا ينوب عنه في
شكر ما ذاقه من برد العفو والرحمة وجناه من حميم الروح والمهجة فتكرم السلطان في
من قدره وضم يده عند التفرد بحصده ثناء بالماسبق من هناته وتغابيا
عما قدم من دخوله وترانه وحكمه في احتمال ما احب من زيد بارمو دخائر حصانة
وخيره في المقام حيث شاء من ديار ممالكه وامصاره فاختار ارض الجوزجان

الى ان تم هولها واستعذبا اليمين ملقاها في مراتع الصّبود في ارجائها وامر سلطانها
بتيسيره البهاني بهيئة ذوي الحسبة معافا بلباس الصيانة عن عون المهانة واقام
بها قرابة اربع سنين في ظل الترفيه وساعدته القناعة بما هو فيه ثم انهى الى السلطان
مراطنة بينه وبين ايلك الخان بملطفات يسرها اليه ورسالات اعزاه عليه
فاقتضاه الاحتياط نقله الى جرديز ابقاء عليه من صدق ما اضيف اليه او تهمة
للضيعة لديه واحترا سامما يلجاء اليه من ابطال خلل الافضال وتكدير ذلك الغدير
فبقي هناك على جملته الى ان حقت عليه القضية واخترمته المنية وذلك في رجب سنة
تسع وتسعين وثلثمائة وامر السلطان بحفظ جميع ما تخلف عنه على ولد ابي حفص وتقديره
في يديه وتمكينه من خدمته وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه فيه حين وهي امره
وصفرت عن الملك يده ÷ من ذا الذي لا ينكب الدهر صعبه ÷ ولا تلين يد
الايام صعبه ÷ اما ترى خلفا شيخ الملوك غدا ÷ مملوك من فتح العند كو بلدة
وكان بالامس ملكا لا نظير له ÷ فاليوم في الاسر لا ينحاش اسرته ÷ وكان خلف بن احمد
مغشي الجناب من اطراف البلاد لسماحة كفه وغزارة سيبه وافضاله على اهل العلم وحزبه
وقد مدح على السنة الشعراء بما هو سائر وذكره في الآفاق طائر وقد كان
جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كلام الله تعالى لم يغادر فيه حرفا من اقاويل المفسرين
وتاويل المتاولين ونكت المذكرين واتبع ذلك بوجوه القراءة وعلل النحو والتصريف
وعلامات التذكير والتانيث وشحها بما رواه في ذلك عن الثقات الاثبات من

مصنف ترجمه ابو الشرف ناصح

وبلغني انه انفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونته على جمعه وتصنيفه عشرين الف دينار
ونسختها بنيشابور في مدرسة الصابوني لكنها تستغرق عمر الكاتب وتستنفد
صبر الناسخ الا ان يتقاسمها النساخ بالخطوط المختلفة واخبرني ابو الفتح البستي
قال قد كنت عملت فيه ثلثة ابيات من غير قصد لتبليغها اياه لكنها سارت على السنة
الرواة اليه فلم اشعر الا بصرة فيها ثلثمائة دينار اتحفني بها على يد بعض ثقاته صلة
لي على ما قلته وعملته والابيات هذه شعر خلف بن احمد احمد الاخلاف ÷ اربى بسودده
على الاسلاف ÷ خلف بن احمد في الحقيقة واحد ÷ لكنه مربي على الالاف اضحى
لآل الليث اعلام الورى ÷ مثل النبي لآل عبد مناف ÷ فقلت له قريب من هذه الصورة
حديث ابراهيم بن هلال الصابي وذلك ان رسولا لسيف الدولة كان قدم بلد السلام
فطلب شيئا من شعره عن لسان صاحبه فدافعه الى ان ازف رحيله وما الرسول عند الوداع
ملحا عليه في تنجزه واعطاه عجالة الوقت قوله شعر ان كنت خنتك في المودة ساعة
فذممت سيف الدولة المحمودا ÷ وزعمت ان له شريكا في العلى ÷ وجحدته في فضله
التوحيدا ÷ قسما لو اني حالف بغموسها ÷ لغريم دين ما اراد مزيدا ÷ فلما عاد الرسول
الى الحضرة حمل اليه صرة فيها ثلثمائة دينار موسومة باسمه وللشيخ ابو الفتح البستي
فيه ايضا من كان يبغي علو الذكر والشرفا ÷ او يرتجي عطف دهر قد بنا وجفا ÷ او كان
يامل عند الله منزلة ÷ تنيله قرب الابرار والزلفا ÷ او كان يطلب دنيا يستقيم به
ولا يرى فيه عوجا ولا جنفا ÷ او كان ينشد مما فاته خلفا ÷ فليخدم الملك العدل الرضي خلفا

الوارث العدل والعلياء من سلف ✿ حتوا بعلياهم في وجه من سلفا ✿ الموثر القصد
في انجاء سودده ✿ فان اراد عطاء اثر الشرفا ✿ اذا النوى عنوة لحكومته
سيفا اذا ما انتضى حقا له انتصفا ✿ السيف ابلغ في الاعناق موعظة ✿ كم من صليف
خامعن الصلفا ✿ وان بدا كلف في وجه مكرمة ✿ رضاه يصرف عن تجربه
صرف الزمان اذا ما نابه صرفا ✿ اذا اقشعر زمان من جدوبته ✿ اغنى الورى وكفى جوده
وكفا ✿ بنحطه بدع الافلاك خائفة ✿ والنمر حائرة والبدر منكسفا ✿ ير
التوقف في يومي وغى وندى ✿ وصما فان عن رئ مشكل وقفا ✿ لله نصل ضئيل
في انامله ✿ اعاد سمينا بعد ما نحفا ✿ يهين امواله كي يستفيد بها ✿ عزا يوثل في
اعقابه الشرفا ✿ والمرء للوم في احواله هدف ✿ ان لم يكن ماله من دونه هدفا ✿
لا يبلغ الواصف المطر معانيه ✿ وان يكن سابقا في كل ما وصفا ✿ وانشدني ابو الفضل
الهمذاني قصيدته التي يمدح بها خلف بن احمد ✿ سماء الدجى ما هذه الحدق النجل ✿
اصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل ✿ لك الله من عزم اجوب جيوبه ✿ كاني في
عين الردى كحل ✿ وفيها يذكر اباه ويمدحه واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن
وطنه ووطره يذكرني ترب العراق وودعته ✿ لدى الله لا اسليه مالا ولا اهلا ✿
اذا ورد الحجاج لاقى رفاقهم ✿ بفوارتي دمع هما النحل والنجل ✿ يسائلهم كيف ابنه
ابن داره ✿ الى ما انتهى لم لم يعد له شغل ✿ اضاف بحال الطائف له يد ✿ اخو
نقص اقدمه فضل ✿ يقولون وافي حضرة الملك الذي ✿ له الكنف المأمول والنائل

الجزل ✿ وفاضت عليه مطرة خلفية ✿ بها للغوادي عن ولائها عزل
تذكرهم بالله الاصدقين ✿ لدى اجل ما تقولوا ام هزل ✿ ولما بلوناكم
تلونا مديحكم ✿ فيا طيب ما تبلوا ويا صدق ما نتلوا ✿ وانشدني السيد ابو جعفر
محمد بن موسى الموسوي بيتين يذكر انهما مكتوبان على داره ✿ من سره ان يرى
الفردوس عالية ✿ فلينظر اليوم الى ايوان كيوان ✿ او سره ان يرى الرضوان
عن كثب يملأ عينيه فلينظر الى الباني ✿ نعم وصفت سجستان للسلطان فقرت
عيون الفتن وسقطت نجوم الاحن وانقطعت اطماع الخلفية بها عن التعصب
والتحزب وانخفضت ابصارهم دون التوثب والتغلب فرجع السلطان الى غزنة
باهر الامر عالي الظفر قد صنع الله له فيما رامه وسدد نحو المراد سهام مرده وشهره
بافتراع المدينة العذراء واستصفاء المملكة الغراء والاطلاع ذروة الرجاء وادراك
كلامه العز والعلا ✿ وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه في فتح سجستان
من قصيدة اولها شعر سعدت بغرة وجهك الايام ✿ وتزينت ببقائك
الاعوام ✿ وتصرفت بك في المعالي همة ✿ يعيي بها الافهام والاوهام ✿ ولقد
فرشت مهاد عدلك فاغتدت ✿ تتوارد الاساد والارام ✿ واقتض سيف
علائك كل مدينة ✿ بكر عليها للاياس ختام ✿ هذي زرنج استغلقت وتمنعت ✿
فكانها الا عليك حرام ✿ ففتحتها وابحتها ومنحتها ✿ تقرانهم بفنائك الخدام ✿
وقلعت والايام تنشد في الورى ✿ بيتا يجلد تشد الايام ✿ قد جاء نصر الله

والفتح الذی تزهی بکتبه وصفه الاقلام ÷ باجل احوال وایمن مقدم
واتم اقبال یلیه دوام ÷ ورحم الله البدیع الهمذانی حیث یقول فی السلطان
یمین الدولة وامین الملة ÷ تعالی الله ما شاء وزاد الله ایمانی ÷ أأفریدون
فی التاج ام الاسکندر الثانی ÷ ام الرجعة قد عادت الینا بسلیمان ÷
اظلت شمس محمود علی انجم سامان ÷ وامسی آل بهرام عبیدا لابن خاقان ÷
اذا ما رکب الفیل لحرب او لمیدان ÷ رأت عیناک سلطانا علی منکب شیطان ÷
فمن واسطة الهند الی ساحة جرجان ÷ ومن
قاصیة السند الی اقصی خراسان ÷ علی مقتبل العمر وفی مقتبل الشان ÷ فما یغرب
بالمغرب عن طاعتک اثنان ÷ لک السرج اذا شئت علی کاهل کیوان ÷ ایا
والی بغداد ویا صاحب غمدان ÷ تأمل ما هی فیل علی اربعة ارکان ÷ یقلبن
اساطین ویلعبن بثعبان ÷ علیهن تجافیف تبهرن بالوان ÷ ویاجوج وماجوج
من الجند بموجان ÷ واستخلف السلطان علی سجستان المعروف بقنجی الحاجب احد الحشم
من قواد ناصر الدین سبکتکین فحسنت فی السیاسة سیرته واستدت فی الرفق
بالبری والعنف علی المریب بصیرته ثم ان طوائف من نجوم الفتنة وجوم الشر والعصبیة
ابطرتهم رفاهة العیش ورفاغة الامن وفسحة الحال وسعة المجال فحدث نوابتهم
تشدیدهم من بینهم علی العصیان وتوثبهم فی الخروج علی السلطان تعرضا للبلاء
وتحککا بالشقاء ولجرأة علی سوء القضاء فابرزوا صفحة الخلاف واخترطوا نصل الشر

فلما رأی السلطان انتقاض سجستان علی خلفائه نادر الیها فی عشرة آلاف
رجل من نخب العسکر ومعه صاحب الجیش نصر بن ناصر الدین والتونتاش
الحاجب وابو عبد الله محمد بن ابراهیم الطائی زعیم العرب وحصر المردة متعقلا
فی حصار ارک ووکل خیول عسکره بجوانب الاسوار وقسم بینهم محال الخطط
ونشبت الحرب بعد العصر من یوم الجمعة للنصف من ذی الحجة سنة ثلاث وتسعین
وثلثمائة وخاض الخندق بعد غمرها ساعة متوازرین علی المدافعة ومتظافرین علی الممانعة
والمقارعة حتی اذا اوهنهم السلاح واثخنتهم الجراح لاذوا بالاحجار والاعتصام
بسور الحصار وظهر اولیاء السلطان علی بعض جوانب السور فی ظلمة الدیجور
فنادوا بشعار الملک المنصور فانهزم الفجار وملک علیهم الحصار وبسط ایدی
القتل والضرب علی من ثقفتهم ولفظتهم المساکن والقصور فمن رؤس منبوذة
واعناق مجذوذة ووجوه مکبوبة ودماء علی الارض مصبوبة وهام الاخرون
علی وجوههم یتساقطون من کبع الادبار فی الاثار ویلوذون من ضرب الاخاذ
بالمخادع ویفزعون من شن الغارات الی المغارات والطلب یقطع دابرهم ویلحق
بالاول آخرهم حتی خلت سجستان من عیث شرارهم وسلمت من بث شرارهم وفتح
الله تلک المملکة علی السلطان فتحا ثانیا وملکا ثانیا فلم تسمح الایام بمثله فتحا
فی غلق الظلام واستقرت هیبة السلطان فی اهل سجستان حتی نامت لیالیهم
عن دبیب العقارب وصریر الجنادب وانشد بعض اهل العصر علی بقیة الشعر

بلغ

يا ايها الملك الذى ندا المعالى تقتدح ✿ لا زال تغرك باسما من اجل
ثغر تفتح وانشدنى ابو منصور الثعالبى له فى هذا الفتح الشهير والنجح الكبير
بمدح السلطان يمين الدولة وامين الملة ✿ يا خاتم الملك ويا فاتح الاملاك
بين الاخذ والصفح ✿ عليك عين الله من فاتح للارض مستول على النجح
رايا ته بالنصر بل تكاد تملى كتب الفتح ✿ كم اثر فى الدين اثرته يقصر عنه اثر الفتح
وكم بنى للملك شيدتها تثنى عليها السن المدح ✿ فاسعد بايامك واستغرق
الاعداء بالكبح وبالذبح ✿ ودم رفيعا غالى القدح ممتع الملك على القدح
ثم جعل السلطان سجستان طعمة لاخيه صاحب الجيش ابى المظفر نصر بن ناصر
الدين مضافة الى نيسابور وناهيك بها ولاية فى بلاد المشرق فنصب خلافته
عليها ابا منصور نصر بن اسحق وزيره ووكل تدبير مورضى لها تقليبه وتاخيره
فقام ببسط الولاية واسداد الجباية واتقان السياسة وانعام الحراسة قيام
من عدله الزمان ثقافه وذيل الكمال باوصافه وعاد السلطان الى بلخ على
بلخ على استيناف الجد فى غزو الهند على ما سنذكره فى موضعه باذن الله ثم

ذكر شمس المعالى قابوس بن وشمكير وانتقاله الى مملكته بعون الله ونصرته بعد الانقلاب

وقد كان شمس المعالى اقام بخراسان ثمانى عشرة سنة مصابرا للدهر على وقعاته
وتصرف حالاته لم تغير بالحدثان عادته ولم يقرع صرف النائبات صفاته ولم
دواير الايام مروته ولم تنقض على اختلاف الاحوال حبوته ولم يسق من اصحاب الحبوة ذو عماء

الجمهور

الجمهور من لم يضرب له بسهم من نوافله ولم يرجع الى حظ من عطاياه ونوافله
ولم يخله احد من ذوى الحشمة تبلام الاحظى منه بانعام واحسان ولحية الوان
وافراس مطهمة حسان تعلى الاكتاف خلعه ولباسه وتحت الافخاذ مراكبه و
افراسه وحشو البيوت بدره واكياسه وكان ال سامان يهتون برده الى مملكته
حيازة لقصب السبق فى اذالته على خصمه واقامة ملكه الى بلد فيقطعهم توالى
الفتوق من كل وجه عليهم عن اصابة اغراضهم فى امره والهمة بصيرة التجلد
مداراة المحنة حتى يتقضى زمانها وينقضى على الاقبال بحرانها اذ كان الاضطراب
فى المحن كالاضطراب فى حبل الخناق ما يزداد صاحبه على نفسه حركة الا ازداد اختناقا
وهلكة ومما ينضاف الى شعره قوله شعر قل للذى بصروف الدهر عيرنا ✿ هل عاند الدهر
الا من له خطر ✿ اما ترى البحر يعلو فوقه جيف ✿ ويستقر باقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت ايدى الزمان بنا ✿ ومسنا من عوادى بؤسه الضرر ✿ ففى السماء
نجوم غير ذى عدد ✿ وليس يكسف الا الشمس والقمر ✿ ولما وطى ناصر الدين
سبكتكين عراص خراسان واقدمه الظفر بابى على ابن سيمجور على كورها وتاج القائه
ومانيحه على نصرته واعلامه ثم اتفق له من الانقلاب الى بلخ ما حال بينه وبين الرد
فعرمتة على جملته الى ان انقرض امر ابى على وخوى نجم التغلب واتحد والى طوس فى
طلب اخيه ابى القاسم السيمجورى فجدد عند ذلك شمس المعالى عهده به ولاطف كل منهما
صاحبه بما لا يفى به بيان ولا يتبع لحساب ولا حسبان وجرى ذكر فخر الدولة صاحب

الرى واستظهاره بسيد ابن حسنويه صاحب الاكراد والفوارس الانجاد
فاراد ناصر الدين ان يستظهر عليهم بكماة الترك وحماة الحد من كتائب
الاتراك الخانية فارسل حاجبه الكبير التونتاش الى ايلك الخان يتنجز حكم
الحال التى تقارفا عليها بما وراء النهر من الاتحاد فى الوداد والاشتراك فى
الاملاك بامداده بعشرة الاف رجل من نخب رجاله وشهب ابطاله وصرف
شمس المعالى وراءه على ميعاد معاده ورجع ناصر الدين الى بلخ مستعدا للا
ومنتظرا لوصول العدد الذى فاستاثر الله به قبل ان عاد الرسول ونجز المسؤول
فحبط عليه ما صنع وصوح دون ثمار زرع وتوسط وجوه الناس بينه وبين
يمين الدولة وامين الملة وبين شمس المعالى فى اسعاده ورده الى معاده على ما يقتضى
بمحو عنائه ويضاهى بحسن بلائه فى تحقيق رجائه وتمحق مكائد اعدائه ونظم
الوفاء بالغاية شهرين من قراره بجرجان اذ كان يتحلل ما يلتزمه على ما يدين
احلالها ويحمل من اخلافها وانه يتحاشى بداء انتقال الملك اليه خبط رعيته
بالحيف والعسف والانحاء عليهم بمردى الحرق والنسف فاعجل السلطان ما
من ارتيابه وشغل الخاطر باخذه عن تقديم اظهاره وتعجيل رده الى داره فاستمهله
ريثما يكفى ما امامه ويقضى الشغل بما رامه وسار الى غزنة حتى يسر الله له افتتاحها
ومداوى عليل جراحها وكان ابو القاسم بن سيمجور مقيما بقومس فلما مضى فخر
الدولة لسبيله انحاز الى جرجان متغلبا عليها فكاتب شمس المعالى قابوس ابن وشمگير

فى الامتداد اليها ليقوم بتسليمها اليه وتقريرها فى يديه فسار الى سمت
الرى وغذ حتى وافى جرجان وابو القاسم باستراباد وقد جهز من الرى ابو
العباس بن فيروزان ابن الحسن فى جماهير المشاهير من قواد الديلم والاكراد
وكان قد اطمع ابو القاسم من بخارا فى ولاية قهستان وهراة وامر بمعاودة
خراسان للاعتضاد به والاستظهار بعدته وعديده فجرد عزمه للانصراف
وضرب تلك المواعيد بالاخلاف غير حافل بما يلحقه من المذمة بخذلان
من حشمه لنصرته واستنقذه على ما تحت قدرته وسار نحو اسفراين وانقلبت شمس
المعالى الى نيشابور على حرة النهل استنباء بالوقت الى مقتطف الرجاء ومخترف
الامل وتربصا بما حوته رحم الليالى من جنين المقدور فى ادالة الميسور على
المعسور ولما راى امور ال سامان مختلة النظام متخلة العرى والاوذام
يزداد على الرفو الا خرقا وعلى الرتق الا فتقا محض الرأى فيما يقيم ما ند من
ويحوش عليه ابل ملكه فكانت زبدة مخضه ان سرب الاصفهبد شهريار ابن شروين
الى جبل شهريار لاستصفائه فسار نحوه تحت لوائه وعلى الجبل يومئذ رستم بن
المرزبان خال الامير ابى طالب رستم ابن فخر الدولة صاحب الرى فناهضه للقتال
على رسمهم فى الاحتراس بالتراس وادراع لباس الباس وشد عليهم الاصفهبد
شدة شردتهم بين المهامه والدكادك واقحمتهم لهوات المعاطب والمهالك واصاب
منهم غنيمة جسيمة بعد ان قتل مقتلة عظيمة واقام الخطبة بالجبل على شمس المعالى قابوس

ابن وشمكير وكان بانى بن سعيد احد اعيان الجيل وشجعانهم مقيمًا عند الا
الأستندارية فى طوائف من اضرابه مشايعًا لهم فى ظاهر الأمر وناظرًا الى
موالاة شمس المعالى من نقاب السر واتفق ان نصر ابن الحسن ابن فيروزان لفظته
الاضاقة بناحية الجيل الى حدود الأستندارية فطمع فى مغالبتهم عليها ومزاحمتهم
فيها فقذف من جرائب انيابها بمن طرده عنها وقبض على الملك ابى الفضل ا
كلاذ فيجن حتى دفن وما لبث بعد ذلك بانى ابن سعيد نصر ان قاعد اعلى نصد امل
وبها ابو العباس الحاجب فى زهاء الفين من عسكر الرى فاجلاه عنها هزيمًا نقصوه
الصفاح وهشيما ندروه الرياح وطير عند ذلك بانى ابن سعيد كتبه الى شمس
المعالى بذكر الفتح الذى اطلع على شعار موالاته واستشعار طاعته ومما لاته واظهار
التنصح باستطلاع رايه وفصل عن نيسابور سائرًا نحو جرجان وتحيز بانى ابن سعيد
عن مضامة نصر الى استراباد مجاهرا باشعار صاحبه وتجمع اليه من ابناء الجيل من كان
يسلك شعب هواه ويسلم ركن طاعته ورضاه وكتب شمس المعالى الى الاصفهبد بالاهتمام
الى بانى ابن سعيد وجمع الديالمة بين فيما قدم واخر والشد على عضده فيما اورده
ففعل ما امره وتنامع ابو العباس ابن فيروزان الحسن بينا لهما وهو مقيم بجرجان فنهد
لكفاية امرهما واخماد ما التهب من جمرهما فواقعهما بباب استراباد وصعدت فيها
حدود القواطع من جدبد المدارع ومزارق الزانات من مفارق الهامات وكادت
الهزيمة تتم باصحاب بانى لولا الانقلاب للاكراد والعرب فى عسكر الديلم عليهم

الضحى وزرق العوالى منادين بشعار شمس المعالى فانهزم ابو العباس فيروزان بن الحسن
فيمن معه فركب الطلب اكنافهم واسر زهاء عشرين نفرًا من وجوه القواد وفى جملتهم
بقية الفل نحو جرجان وقد قدم اليها قابوس ابن وشمكير سالارا بن خركاش لحده
الاثار فوافى انهزامهم اليها اطلالة عليها وتسامع اهل الفل به فضجوا ارتياعًا
وضلوا فلا يستطيعون سبيلا واضطروا الى استينا في الهزيمة فرحا على قرح ومللًا
فوق جرح وخوطب شمس المعالى قابوس بخبر الفتح وما هيأه الله له من عظيم النجح
فسار الى جرجان وقد شرح الله صدره وجلا عن الكسوف بدره ولمح بالبشر
وزاد على القدر قدره ولبعض كتاب اهل العصر عند زفاف الملك اليه قصيدة
اولها شعر الجد ما لم يعنه الجد غدار ⁂ والحزم ما لم يزنه الصبر خوار
وللكريم اذا الايام زلن به ⁂ عن المنى بثبات النفس اعذار
كم فاضل وجواد المجتون له حيفا على خلك اللاواء جرار ⁂ وكم جريح قريح القلب ذى غبر
وكم قتيل وما للسيف اثار ⁂ وكم فقير بلا جرم وفاقته ⁂ وكم غنى وللايام
ادوار ⁂ سيرسريع ودور غير منصرم ⁂ نصب العيون ودور الحيات
من كان يخبر حال الدهر ذاكرة ⁂ لم يغنه عن عيان الحال اخبار ⁂ فانما حاصل الايام
مختبرًا ⁂ جذ اصم عن التحقيق فرار ⁂ يبقى الزمان على من لا اصطبار له
ودقة للذى فى العمر صبار ⁂ فاصبر هديت فان الصبر منحة ⁂ ومن وراء ظلام
الليل اسفار ⁂ والدهر ذو غير احواله نوب ⁂ عسر ويسر واحلاء وامرار

والبدر يبدو كمه النجم منتقصًا ۞ ويعد بضياء النجم نوار ۞ والنار في خلل العيدان
كامنة ۞ وسقطها بامتداج الزند اشعار ۞ والجد يطبع كالصمصام له ۞ من صيقل
الدهر جلاء وشهار ۞ هناك شمس المعالي في سيادته ۞ له مع الفلك الدوار اخبار
اعطاه من غرر الامال ما قصرت ۞ عن نيل امثالها في الدهر اعمار ۞ ملك
وعز وعيش زانه علا وعلا ۞ ودولة ضمنها نصر واظهار ۞ لما كناه ودر نجم
العز صافية ۞ ولم يجد منه غير الشكر تختار ۞ ابدا نثوز اعليه كي يجربه ۞ بالصبر و
الصبر للاحرار مسبار ۞ حتى اذا ما قضى من سيره وطرا ۞ وللامور نهايات و
اطوار ۞ امسى يعاود ثما ارضاه في خفر ۞ وحل بدم التشوير فوار ۞ فالدهر
خادمه والعز صادمه ۞ والرأي رائده والخلق انصار ۞ ترم بضي جنوة العالمين
كانه الشمس والاعمار اقمار ۞ زاج الكرام الى اوكار نامله ۞ كانه الليل والاحرار
الطيار ۞ له المعالي سماء والندا شهب ۞ والمجد سادته والجود امطار ۞ علاه
كالليل والمصباح همته ۞ ونقله الجود والامال سمار ۞ تراه تنهزم الاموال
عن يده ۞ مثل انهزام العدى عنه اذا ثاروا ۞ ونجل الدهر فتاض لهمته
فالجود بارزه والضيد لحار ۞ جناوه بوفاح السيف ممتزج ۞ وعدله في
خزون الباس سيار ۞ ندى يديه الى الفردوس منتسب ۞ ووقع سطوته
في حرة النار ۞ يوم الهياج صفاح البيض ظلمته ۞ والجوشن لهب الطعنات صهار
نعاس الحرب والارواح راقية ۞ الى التراقي وطرف الموت نظار ۞ يرتش من دمع

الاعنان قسطلها ۞ اذ نقعها بحوامي الخيل ثوار ۞ تنادرت انجم الافلاك سطوته
اذا الرماح من الارواح تمتار ۞ فهن في ذمة الاضواء آمنة ۞ وهن من صحبة
الظلماء نفار ۞ للمشتري بينها في الحصر منطقة ۞ يبغي رضاه وللمريخ زنار
كففه روعته امر ابمصالحة ۞ فيما يدور على الخطور ديار ۞ فقد افاض على
الظلماء هيبته ۞ فما تبصر حذار الباس صرار ۞ ان السلامة لو الهمت نطقت
يا دبت انك لي من سيفه جار ۞ يا ايها الملك الميمون طائره ۞ ومن ندا كفه
اليم نخار ۞ ان الزمان عروس ما لها ابدا ۞ سوى خصالك مشاط وعطار
البخل عندك في وجه الندا كلف ۞ نعم وفي غرة الاقبال ادبار ۞ ترمي
العدى من بنات الكبد صائبة ۞ فان دمو لخانهم في الرمي اوتار ۞ كانما قدموا
من لحن طالمة ۞ ومارست برحي وافدار ۞ تحمي وتلتهب الاوتار دامية ۞
كانما حمت الاوتار اوتار ۞ لا زال في نعم تقضي الى نعم ۞ ما طاف حول سناء
البيت عمار ۞ متعابر وغير منقرض ۞ حتى تفوق بجود الارض اغوار ۞

لابي بكر محمد ابن العباس الطبري المعروف بالخوارزمي فيه من قصيدة يمدحه بها
وقت مقامه بنيسابور وهي ۞ قامت تودعني بالادمع السجم ۞ والصمت بين
يديها وبين فم ۞ البين اخرسها والبين انطقها ۞ وهذه حالة في الناس
كلهم ۞ فقد طالما انهزمت عنا السيوف فلا ۞ تحاربينا بجيش الورد والعنم
وقد خلعت لجام الانباع فلا ۞ تلقي سوا الفنا في ذمة اللجم ۞ لم يبق في الارض في

شيء اهاب له فهل اهاب انكسار الجفن ذي السقم * استغفر الله من قولي
غلطت بلى اهاب شمس المعالي امير الامم * كان لحظك سيف الامير وبين حسم
القضاء ومن غربه ومن كلمي * قال الامير لاخلاق الكرام فقهي * بحيث بات فما زالت
على نعم * وقال للعلم والآداب لا تردي * الا على فما فاها بلا ولم * القائل
القول لو فاه الزمان به * صارت ثعالبه اياما بلا ظلم * والفاعل الفعلة الغراء
لو مزجت * بالنار لم يكن الكيران من حمم * لا تخلفن بصوب المال في يده * فقد
يخف صوب العارض السجم * قد يجزر البحر بعد المد تغرقه * ومنزل الجدب وكر
الاجدل القطم * ولا يغرنك ان الدهر جاريه * قد يغمد السيف يوم الروع
بالبهم * الآن ان عدت الدنيا تجمشه * وقابلته صباحا اوجه النعم * ترنو
اليه فيحيي شخص منقبض * لما جنته وتغضي طرف محتشم * اذا دعت نحوه
سافات قدما * والعمر يذهب بين الساق والقدم * حيرى تقربها
رجال وتبعدها * كذي يكون رجوع الآبق السدم * وله فيه ابيات من قصيدة
اخرى يقول في نسيبها * شموس لهن الخدور والبيت مغرب * فطالعها اللين
والهجر غارب * ولكنما شمس العلا فيها * مشارقه ليست لهن مغارب * وما
لقبوك الا وقد راوا * بانك شمس والملوك كواكب * اقول لزوار الامير تخلوا
فمن زاره من راجل فهو راكب * وان زاره الفرسان كنت كفيلهم * بان يرجعوا والخيل
فيهم جنائب * الا ابلغا عني الامير رسالة * تدل على ان الدهر غائب * الى كم

يحل المرء مثلك بلدة * بها مبرم فيه لغيرك خاطب * عليك بهذا السيف فاقض ديونه
فللسيف دين عند كفك واجب * ولا تقعدن تغضي الجفون على القذى * وفي رستاق
الارض مركوب ودمج وصاحب * غريمك هذا الدهر فالزمه بغترم * فلن يوقض
الغرام الا المطالب * وانت ابن عم السيف بل انت عمه * وكيف تخاف الاقربين الاقارب
الكبر ابو كهل وشمكير وجده * زياد ومرداويج عم مناسب * تحرك بنا اما الوزير
واما خام كالعقيقة قاضب * وللقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه
قصيدة اولها * امسري خيال الهاجر المتجنب * ومجري دموع الزائر المتطرب
سالتك بالدهر الذي صرت بعده * فذي ناظري من بعد ان كنت ملعبي *
اعني على عين اذا ما وعدتها * بقربك قالت للدموع تاهبي * ولما تدانت للغروب
شموسهم * وقفنا لتوديع الفريق المغرب * تلقين اطراف الجيوب بمشرق * لهن واعطاف
الخدود بمغرب * فما سرن الا بين دمع مضيع * ولا قمن الا فوق قلب معذب *
كان فؤادي قرن قابوس راعه * تلاعبه بالفيلق المتاشب * همام يراه المال
حادث * الى حتفه والقرن اخوف معطب * يفض العدا اطراقه قبل عزمه * ويطعن
رعبا ولم يناهب * ومنها يصف الزانات * وزرق على سمر تظل اذا هوت *
تلاحظ اعقاب الشهاب المذنب * نرفعن عن طيش الرماح وذولة السهام
ونقص الحسام المجرب * فخرن ظباة البيض ثم وصلنها * اليهن من سمر الرماح
باكعب * فلن ينال السهم في مستبعد * ومن مقام السيف من متقرب * فتى ما

تلاقت همتان بصدره ❊ ولا يتهدى لحلى برأى مشعب ❊ له الهمة العليا والمنصب الذى ❊ تتبعه الجوزاء الحاظ متعب ❊ اذا بعض اطراف الرجال تقاصرت ❊ عن المجد القوه كريم التقلب ❊ تراجمهم من وشمكير بمنكب ❊ ومن سلف الاصفهبد فيذهب من مجد وعز ومفخر ❊ باثار مرداويج فى كل مذهب ❊ وما خلصت للمرء معاة والد ❊ اذا لم يقابله بخال مهذب ❊ كلا طرفيه يرجع الطرف خاسئا ❊ اذا رامه من كل خرق مجحجح ❊ يحوز معالى اردشير بخاله ❊ ويعلو الربا عن شاو بابا ساسان بالاب ❊ ولما انتهت الهزيمة بالقوم الى الرى على جملة الانكسار وذلة الافتقار وسبة القتل والاسار قطع عليهم سبات العذل والتعنيف وملئت عيونهم من نفثات التعيير والتثريب وكان ابو على الحسن بن احمد بن حمويه على الوزارة فقاد خمسة عشر الف رجل من بهم الديلم وفتاك الاتراك ونخب العرب وافراد الاكراد وسار بهم فى منوجهر بن قابوس وبيستون بن بيجاسب وكنا ذبن فيروزان ودشام ويج ابن اخت عظيم الديلم وموسى الحاجب وشار بن كرديه وابى العباس بن خاليد وعبد الملك بن ماكان وهولاء لاذوا بالجبل والديلم حتى اطل جبل شهريار وبلغ شمس المعالى قابوس اقباله فاستضم اطرافه واستظهر بشهريار واستعداد المواثبة وتجرد لوعد الله فى نصرته وتثبيت وطاته واستتمام ما عاده اليه من نعمته وحاذر ابو على بن حمويه ما لا نصر ابن الحسن بن فيروزان شمس المعالى وانقطاعه الى جانبه فواصله بكتبه ناقشا فى عقدته فاتلا فى ذروته نافخا ينجم فى سحره وملقيا

اليه ان القرابة الوشيجة بين ابى طالب بن فخر الدولة وبينه لو صادفت منه حكمها فى الاشفاق على دولته والانتداب لنصرته لكان احق الناس بسياسة اجناده ونفاذ امره فى ممالكه وبلاده وانه الان متى سلك طريق الخدمة وجانب جانب القحمة وحافظ على حرمة اللحمة لم يعدم ما يهواه من ترتيب وترحيب وتنويل وتقديم واذن له فى الانتقال الى قومس الى ان يدبر امره بمقتضاه فارتاح لما شامه من تلك العقيقة ووثق به على الحقيقة وسار نحو سارية ثم قوض الجادة ذات اليسار وركب ذات اليمين مما يلى طبرستان واباذان حتى اذا حاذى دفعة قومس اذاع فى اصحابه رايه فى طاعة ابى طالب وانه ما عاش رفيق خدمته ونصير دعوته فاطبق عليه كلمتهم حين افصح بتدبيره وباح بسر ضميره فمن فريق رجع الى الاستدارة وفريق الى جرجان فى طلب الامان وحل نصر فى الباقين حتى اناخ بقومس وسال اباعلى تمكينه من بعض القلاع ليحصن فيه عياله واثقاله فمكنه من حصار جومند فاستوطنه واودعه ما له ومن معه ولما امر ابو على شره وعاديته توجه نحو سارية على قصد جرجان فلما اطمان بها اسرى منوجهر بن قابوس الى استغاثه بالله من عقوقه وكفران ما فرض الله عليه من حقوقه فارتاع ابو على من بيستون ابن بيجاسب لاشتراكهما فى نسبة الجيل واروم ذلك القبيل واشفق من صغوه الى قديم خدمة شمس المعالى وخشيه اباه على معاودته سيدته واهتبال الفرصة فى مراجعة جملته فاخذ بالحيطة فى اعتقاله ورده الى الرى فى وثاقه وامتد الى ظاهر جرجان تمام

قبل الداعي بعسكريه وتواصى اهل الحفاظ والوصية والانفة والابية من اصحاب
شمس المعالي بالترافد في التجالد والتشايل على التقاتل والتماسك عند التعارك و
شدّوا حيازيمهم للقراع وقرعوا ظنابيبهم للمصاع وناصبوهم الحرب طرفي الصباح
والرواح لا يأمنون وقع الصفاح ولا يألمون لذع الجراح حتى عبر شهران كيوم
واحد في مغامسة الكريهة بين تكلف وبديهة ومنع عسكر جرجان ضيقة لانقطاع
الميرة والمواد عنهم فاستعصموا بالنفوس الشريفة وتغنوا طول تلك الايام بالبلغ
الخفيفة مؤثرين شرف المقام على شبع الطعام ورد الشجاعة على سد المجاعة واضاف
الاخرين تلك الضيقة فاستقلوا من الفضاء بقبل الداعي الى جانب محمد اباد انتاعا في
العلوفات من جهة جناشك فتداركت عليهم الامطار حتى اعوزهم الامتيار وجنت
عليهم الارض بالطوفان فتناقصت الخيام وساخت القوائم والاقدام وعندها
برز انصار شمس المعالي اهل الحقائق من وراء الخنادق واحموا نار الوغى كضارية الغنم
وداهية الاراقم وثبت بعضهم للبعض من مطلع الفلق الى سمط الشفق محكمين متون الصوارم
في شؤون الجماجم وذوابل الصعاد في مناهل الاكباد وزرق الزجاج في سود المهجات
حتى اذا زلت قدم العصر التي امر الله النصر فحمل الجيل على الديلم حملة لم تنبو منهم
طالب ثار ولا نافخ نار واسر من عظمائهم اسفهسلار بن كوركيج وزرهو وجستان بن
اسكلي واخو حبيد بن سالار ومحمد بن وهسودان واشتملت المعركة على الف وثلثمائة
رجل ممن اضحتهم الحتوف وسطحتهم على الارض السيوف وافاء الله على الجيل غنائم

لا يسمو عنها بنان ولا يستبيها بنان ثم رأى شمس المعالي [illegible] بمداواة الجرحى والفك
عن الاسرى وصرفهم وذآتهم بالخلع والكرامات والاحبية والصلوة شكرا لنعم الله
فيما اولاه واكبارا لقدر منته في تحقيق رجاه وانشدني ابو منصور الثعالبي ابياتا له
في ذكر هذا الفتح الذي نظمه الله في سلك ايامه والحق الذي اقرّه منه في نصابه
الفتح منتظم والدهر مبتسم ✤ وملك شمس المعالي كله نعم ✤ والعدل منبسط والحق
مرتجع ✤ والشعب ملتئم والجور مصطلم ✤ القت مقالبدها الدنيا الى ملك
مازال وقفا عليه المجد والكرم ✤ شمس المعالي وغيث المسرفين ومن ✤ به يلوذ العلى
والملك والحشم ✤ هو الامام هو القرم الهمام هو ✤ البدر التمام هو الصمصام والعلم
هو الغمام الذي تخشى صواعقه ✤ قهرا ويرجو نداه العرب والعجم ✤ هو المقيم وقد
سارت مآثره ✤ كأن علياه مذ دنياه تنتظم ✤ والماء من جوده المأمول منسكب
والنار من بأسه المرهوب تضطرم ✤ والارض من صدده والريح من يده ✤ والروض
من خلقه للخلق يبتسم ✤ الله جارك يا من جار حضرته ✤ يلقى السعود عليه الدهر
تزدحم ✤ ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا ✤ وعاش الفتح منشورا له العلم ✤ يا من اذا
اعتصمت صيد الملوك به ✤ امسى واضحى بالرحمن يعتصم ✤ ابلي الجديدين بالعز المجدد
ودم ✤ للملك تخدمك التوفيق والقسم ✤ وانشدني ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي
في ذلك ✤ لا تعجبن شمس العلي قابوسا ✤ ممن عصى قابوس لاقى بؤسا ✤ نعم ولما بلغ ابو علي
ابن حمويه قومس منهزما عن تلك المعركة ارسل الى نصر بن الحسن بن فيروزان يسأله التعجيل

به ليتغاضدا على تشعث الهزيمة وسد ما جاش من تخرم تلك الكتيبة الذميمة ثم اعجله
الطلب عن التوقف والتلوم فاوجف نحو الري واتاه نصر فلم يلحقه فاستوطن سمنان و
تابع كتبه الى ابي طالب مجد الدولة رستم ابن فخر الدولة مستمدا وشمر لتلافي الخلل مجد لغراحتي
المن على سنينا امداده واقبال معونته وانجاده ثم امدّ بابن بكتكين الحاجب في زهاء
ستماة من شجعان الغلمان فقوي بهم وتكثر بمكانهم ودماه شمس المعالي بابن سعيد
في رجال من الجيل وكتب الى الاصفهبد شهريار بن رستم لمعونته وازاحة علته فصمد
صمد نصر مرخيا عنان التحفظ ومغمضا جفون التيقظ وقد كان نصر مد الطرف
على اناتها نشر الجنود وسحب الذيل الكمان على اثره فاتفقت ايانته باتي عليه على حين
تقطع من رجاله وتفرق من اكثر اصحابه فثنا وشال الحرب ساعة ونصر مستعد وامره في
الفراغ بعيد ثم اضطر باتي الى الانقلاب على ادراج الجنبة وفشت الهزيمة بمن تلاحق به
وتراخى عنه من ذنابي عسكره وجرى عليهم من القتل والاسر ما اعتد به نصر في مساعيه
عند ابي طالب فتسلل به وجه حاله وجلا عليه صفحة اقباله وانهض عند ذلك رستم
المرزبان خال مجد الدولة ابي طالب في ثلثة الاف رجل مددا لنصر وعقدت له الاصبهبدية
على جيل شهريار فلقيا نصر الى دنباوند وساعده على صعوده وامتلاك حدوده وكان
الاصبهبد شهريار الى بادشوبها منوجهر ابن شمس المعالي معتقرا بعقوته ومعتصما بعروته
فاصاب اهل فريم غلاء عمّ بلاؤه وشمل الكافة لاواؤه وسبب نبط الايدي بالغارات
وانتهاب ما اوعته الرعايا للادرماق من الاقوات فاضطر نصر الى الانصراف عن رستم ابن المرزبان

للحفظ الشامل والبلاء النازل فلم ينهنه الاصفهبد عند انقلاب ان ركض على
رستم واجلاه عنها الى حد الري منخوبا منكوبا ومخذولا مغلولا وانضمت له ناحيته
وانحسمت عنه شذاة نصر وغاديته وكان ابو نصر محمود الحاجب قد الجاه بعض
المحن التي دهته الى خدمة شمس المعالي فهدله كنفه وحكم في اصطناعه شرفه
ووالى الصنايع والرغايب اليه وملاء من الاموال يديه وسهل ركوب المطالب
عليه ثم رماه في وجه نصر ابن الحسن مزاج العلة بقدر الكفاية من ذوي البأس
والنكاية فخف اليه بجاش ثبت ووجه على الحادثات صلب واحرق عليه الارض
حربا بكرا اعلى يد وعوانا على ايدي اغوانه ومدده ثم حمل على جموعه حملة شرد
كل مشرد وطرد نهم بين اعين البيد كل مطرد وعلق في حبالة الاسر حسان ابن
الراعي وابن هندو وغيرهما من اعيان القواد واصطف على جدالة الحرب من
القتلى ما شبعت به الضباع بل بشمت عليه الوحوش الجياع وانهزم نصر من بين
يديه الى سمنان وكان نصر على جلالة بيته وفخامة عشيرته ورهطه مغرما بالظلم
مغريا بالحيف والغشم ووافقت ولايته مدرجة الحجيج زوار بيت الله العظيم و
زمزم والحطيم فتمثلهم عسفه في كل سنة من المطالبات المختلفة والمعاملات المجحفة
انتشر عنه سوء الاحدوثة وحبط عليه جمال تلك الجملة الموروثة ولعل عثار الزمان
به عدوى ضجيج الحجيج عنه بالاستغاثة في حالتي الوقوف والافاضة وواصل نصر الرى
بكتبه في الاستنفار والاستنهاض من صرعة العثار فلم يكن له من طول التطويل بانوا

التعليل والتأميل كما قيل مواعيد كآل لاح سراب المهمة القفر فمن يوم الى يوم
ومن شهر الى شهر وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة ابا طالب وشمس المعالي
قد تصالحا على احتيال تحصيله والظفر به فتآمرا وضاق بالامر ذرعا ونمي اليه
ايضا ان بعض قواد السلطان يمين الدولة وامين الملة وكان يعرف بارسلان
والي قهستان قد اوقع بابي القسم السيمجوري واجلاه عنها الى الجنابذ فاغذ السير اليه
على مظاهرته والتحصن بمرافقته ومظافرته وجعل يخطب في حبله ويفتل في ذروته
بحيله وختله ويزين له قصد الري معه لامتلاكها على ابي طالب بها ما لتغلب البنات
في طاعته ودخل الاهواء في متابعته فاغتر ابو القسم بتغريره وانجر في جريره وسار الى
الري فتلقاه من سرعان الكتائب من غص بهم لهوات تلك المخارم والمسارب لما
راى ابو القاسم ان الامر جد والطريق منسد خشي وراءه فاضطلع البنان منحرفا لا لعا
الجرجان وشمس المعالي قابوس ابن وشمكير انصرافه مع نصر عن وجه الري فقد فهما
بعقاربنا الاكراد من جانب ودحرهما من حدود مملكته على عذاب واصب ولما
ان الارض تلفظهم يمينا وشمالا وتنفيهم جنوبا وشمالا توامرا على قصد السلطان
يمين الدولة وامين الملة مستامنين اليه ومستعدين على الزمان بالمثول بين يديه
فهما الى حضرته ونوشحا بحمائل خدمته فاما ابو القسم فهرب على ما سنذكره الى ان
اودعه الحبس اسره واما نصر فاقام على الخدمة مدة الى ان امر السلطان باقطاعه
طعمة له فنهض اليها واستهنأ القناعة بها فلم يزل يضطرب في حبالته الى ان خدع

الري وحمل منها الى قلعة استوناوند فجعلت عليه حصرا وسار ذلك مصرا
ووكل شمس المعالي بعد ذلك بحوالي القلاع فيما بين جرجان وطبرستان
وما وراءها من احاط بها احاطة الخلخال بارساغ الحجال حتى افتتحها غيلة وكيدا
ومراغاة لحقوق الاستسلام والتسليم وكيف فصفت له تلك الولاية بحدودها
وجوانبها وقلاعها وصياصيها بما اعيد من زبد الاحقاب فيها واتفق بعد ذلك
لبلاد الاصفهبد بجبل شهريار الى جانب المجانبة في طاعة شمس المعالي قابوس ابن
وشمكير وادعائه الامر بنفسه اغترارا بما اجتمع له من الوفر والتف عليه من العدد
الدثر والعسكر المجر فرمي من جانب الري بابي علي ابن رستم المرزبان خال ابي طالب في
صناديد الديلم وفيهم بيستون بن بيجاسب المفوض عليه من قبل في التطفي بولاه
صاحبه قابوس فنصب له الحرب قراعا ومصارعا وثقافا ونقافا فكانت عاقبة
ان كر فاسر ونادى ابو علي رستم مكانه بشعار شمس المعالي لوحشة كان استشعرها
من اهل الري واقام الخطبة فيها باسمه وكاتبه بذكر طاعته وشرح ما فتح الله على
يده وهاجر ابو حرب بيستون بن بيجاسب الى رضا المقدسة من فناء صاحبه وفي
نعمته فانشرح صدره وقرت بالاياب عينه وطاب بالايناس والاحسان عيشه
لو لم يعجله عن الجثوم حينه وانضافت مملكة الجبل باسرها الى ما لجرجان وطبرستان
فولاها شمس المعالي منوچهر ابنه سمي من لو عاش الى زمانه لو دد عليه عوادي مفاخره ورجع
اليه حلى آثاره ومآثره وانفتحت بعدها عليه الرويان وشالوس وما وراءهما من الحدود

الأستنذار بنه فضادت ولياليه تشرق بنور العدل والإحسان وتبتسم عن ثغور
الأمن والأمان ووصل شمس المعالي السلطان بكتبه ورسله في عقد ثقة يتحصن بها
من صروف النوائب ويستظهر بها على وجوه المطالب وقدم بين يدي نجواه من انواع
القرب والمبار ما خرج عن الحد والمقدار حتى تأكدت العصمة وتأثلت العقد و
اشتبكت الألفة واستحكمت الثقة وصارت جرجان وطبرستان الى سواحل البحر
وديار الديلم بحكم الحال المتيجة كاحدى ممالكه التي يحتكم عليها امرا ونهيا
ويتبسط فيها حاضرا وباديا فاتفق شمس المعالي همة له بين البحر مجراها وفي بحار الكرم
مجراها ومرسيها فلم يسمع في شيوخ الملك باشرف منه همة واوطف ديمة واكرم شيمة
واصدق بادرة ثبته واوفر عقلا وتحصيلا واظهر جملة وتفصيلا واغذى للنفس
بعفاف الحكمة واجزى للبدن بكفاف الطعمة وقد فطم النفس عن رضاع الملاهي
فلا يعرف اللهو ما هو ولا البطالة ما هي علما منه بان الملك واللهو ضدان وان
ليس للبقاء بهما يدان ولقد احسن ابو الفتح البستي الكاتب في نصرة هذا الراي بقوله
اذا غدا ملك باللهو مشتغلا ۞ فاحكم على ملكه بالويل والحرب ۞ اما ترى الشمس في
الميزان هابطة ۞ لما غدا برج نجم اللهو والطرب ۞ نعم ولا احرص على صنائع الرعية واخذ
باطراف العدل في القضية وابرع في الآداب والحكم واجمع بين ذوابة السيف وذوابة
القلم ورسائله موجودة في البلاد عند الافراد ولكني اكتفي منها بلمعة من بوادر بيانه وذرة
من حدائق احسانه اذ كان في نصفها ما يغني عن التكثير في هذا المكان بها فمنها رسالة

تأديب العقد

لا لقائهما تدان

انشاها في الترجيح بين صحابة النبي صلى الله عليه واله وسلم تعقب رسالة القدير بمنه وهي
بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان اصعب الأمور واشقها بين الجمهور هو الخروج با
النبوة والاستعلاء على الخلق بهذه القوة لانه تقليب الوجوه عن القبل المعهودة
وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة ومخاطبة الخلق عن الخالق فالخالقه الذي لا تدركه
ابصار الخلائق وقد عنا لنبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم ذروة هذا الشرف وجاء
لمن سلف من الأنبياء خير الخلف وفاز بمزية هذا الذكر العظيم واذاق العرب لذة نعيم
ونقلهم الى الثروة والغنى من الفقر والفاقة وارحمهم من رعاية الجمل والناقة ولبس رداء
لابتغاء العلى امد فما فوق السماء للسمو مصعد ثم ضبط الأمر بعده زعيمه على نظامه
واقام في قوامه وهذا ما تولاه ابو بكر رضي الله عنه حين ودع عمر من غير ان سلم
الى احد امره فانه قام بمقام ثابت القلب مستقل بمقاومة الخطب غير مفكر في ردة
راد ولا مبال بمعاداة معاند حتى حمى حريم الدين وجمع شمل المسلمين ولم يرض بان
يلم ببيضة الشريعة ملم ولا ان يغير من احكامها حكم فلقب خليفة رسول الله صلى الله
عليه واله لانتدابه لجهاد ..ذ الله ثم تحصين الاسلام من عوارض الفساد وغائلة
الاعداء والاضداد والمجاهدة في استضافة ديار المخالفين الى جانب الاسلام ومجامع
المسلمين وهو ما اتاه عمر رضي الله عنه لما آل اليه الامر فانه صرف جهده الى الجهاد
ونصر وكدح على افتتاح البلاد حتى اتسع نطاق هذه الملة وخضعت الرقاب لاهل
هذه القبلة فلقب امير المؤمنين اذ كان نعم العون لرسول رب العالمين وقد فرغ

صلى الله عليه وآله وسلم من الأمر الأعظم والشأن الأفخم والجفاء لهب كل ملتهب على
رغم من أبي لهب واللئام بني الشجين شعب الأمرين الآخرين وبلغ من الأحكام
مبلغاً لم ير فيه ولا اثنين بياض غرته سواده ولم يسق للتابعين سوى التمسك بدين
متمهد ومراعاة بناء مشيد ولم يقدروا على القيام به واحتجوا وراء احتجابه ولما
أفضت الخلافة إلى عثمان رضي الله عنه كان منه ما كان من تبديل في التنفل بين الملك
وتغيير سير الأئمة حين توسع في النعمة حتى اجتنى ثمرة ما جنى وتبت به سوء ما أتى ولما
عادت إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هاجت الرياح من كل جانب وبدت
الأوابد وتبدلت العقائد وتحول أمر الدين من ملك المغالبة ودول القتال والجبابرة
ووقعت الخلافة في الخلاف وبرز نصل الشر من الغلاف وبقي علي رضي الله عنه
على اضطراب لا يهدأ وفي مداواة داء لا يبرأ مع شجاعته المشهورة ومآثره المأثورة
وانتهى أمره إلى ما انتهى حتى جرى عليه وعلى عقبه ما جرى فلينظر إذا كان الأمر
كذلك أهؤلاء أحق بالقدح أم أولئك قد مضى القوم وآثارهم في الإسلام كالنمين
في الاشتهار والهباء في الانتشار وضيعهم صائح يحي على الفلاح وليس بأيدي الخصما
إلا التفاهة والصياح وهل يقدر الكلب إلا على النباح وقرأت توقيعاً له إلى بعض
الأفاضل يستفد محضره لنوخي مرتبة خال لن سمت به همته إلى التصدي من تعلق
عنده قيمة أن يكون على غيره عرجته ليبقى من سواه زيادته وحجته فأما خطه فخطة
المحاسن فيها إن شئت وشياً منمقاً أو تبراً مسبوكاً أو دراً مفصلاً أو سحراً محصلاً أو كأن

الصاحب إسماعيل بن عباد إذا قرأ خطه يقول هذا خط قابوس أم جناح طاوس
كما قال المتنبي في خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء ولكل عين
قرة في قربه حتى كأن مغيبه الأقذاء ذكر الحال التي انعقدت بين يمين الدولة وأمين الملة
وبين ايلك الخان في التواصل والتصاهر والتعاقد على التعاون والتضافر إلى أن خلعت
البشر وكشرت عن أعصل الشر قد كان ايلك الخان لما ملك السلطان خراسان على العدد
بالسامانية اغتنم تطهير ما وراء النهر من كل منتسب إلى تلك الأرومة ومتشبث
بتلك الجرثومة فلم يدع هناك ذا ظفر إلا قلمه ولا ذا لحد إلا اجتاحه واصطلمه
ثم كاتب السلطان مهنياً بما ذخر الله له من خالص الملك وصافية الملك مظاهراً الكنه
من ظاهر العز وباطنه الصنع ومعتمداً النفقة بما اقتطعه من عنقود رجائه ملاءً علي
صفقة اقباله وعلاوة على جماله وجلاله وترددت السفراء بينهما في وصلة تبل
رحم الحال وتؤكد أسباب المودة والوصال وتحمي حريم الثقة في الجانبين وترفع ثنية
الحشمة في ذات البين وتؤدي بنية الأخلاط إلى الامتزاج وقربة الأشباك
إلى الانتساج فتصير النفوس واحدة والسواعد على وجوه مصالحهما متساعدة
السلطان عند الإمكان بنابود في طلب المنتقر ابراهيم أبا الطيب سهل بن محمد بن
سليمان الصعلوكي إمام أهل الحديث بها رسولاً إلى ايلك الخان وضم إليه طغانجوق الحاجب
في خطبة كريمته عليه ونقلها في صحبته إليه وأصحبه ما عد العد والحد من سبائك
العقيان ونوافث الهرمان وعقائل الدر والمرجان وتحت الوشي والحبر ونوادر البلد

والحضر وصوان الذهب مملوءة من بضائع العنبر واواني الفضة منضودة بتمامات
الكافور وغير ذلك من شارات الهنود وقطاع العود وذكور النصول واناث الفيول
تحت حدوج مغشاة بذوات التعاريج من الوان الديابيج منطقة بعصائب تخطف العيون
بريقها وتصطحب على الاقتاب مغالبتها وعتاق ضوامر كالقداح بخدود مكونة
الصفاح وغرر كنجوم الصباح وقوائم كمخترق الرياح وسنابك كفلق الصفاح في
مراكب كانما حلي بعضها من قطع عقيق او شعل حريق وحلي سايرها بنجوم الثريا والنثرة
بنات نعش من وراء المجرة وقرن ذلك كله باموال على سبيل الالطاف ذوائب الاوصاف
فسار الامام ابو الطيب سهل بن محمد الى ايلك الخان كريما ينقل كريمة ويحمل من بحر الترك
الى ايلك ان درة يتيمة فطلع الى ايلك واهل بيته طلوع النجم طابا ايابه بعد ان طال اغترابه
والحبيب لطف اعتابه بعد ان تقدم هجره واجتنابه اعظاما منهم لقدره وفادته عن ناب
السلطان في ذلك المهم من الشأن ثم لفضله في نفسه فهو الامام المقدم والصدر المحتشم
ومن لا يقرن الى زمامه ضريب له في ابواب الفضائل وخصوصا في خلافيات المسائل
واقام باوزكند الى ان فرغ من امر الزفاف وازعجت عليه في الانصراف اضاد على جناح
النجاح مصحوبا بحمولات الترك من نفر المعادن ونوافج المسك ووقود المراكب وعبير الركاب
وورود الوصفاء والوصايف بيض البراء وسود الاوبار ونصب الخنو واحجار البشب
طرائف الصين فانتحب الحال بين السلطان وبين ايلك الخان اتحادا استرسل المواقع
والنعم والنهم فيه الصنائع والخدم وبقيت على جملتها في التحاب والتأكد الى ان نزغ الشيطان

بينهما فتغيرت الضماير واختلت العرى والمرائر وتولى السيف تدبير ذلك الوصال
فحل معقوده وفضل مسروده وسيأتي الشرح على الوقايع التي جرت بينهما في موضعه على
الاثر فاما الان فاني اشير الى ان نبذ من محاسن هذا الشيخ السفير والكافل في الامر الكبير
واتبعه بذكر رجال خراسان من اعيان رعايا السلطان يمين الدولة وامين الملة
ووجوه الفضل من اولائك الذين لم ينظم لمثلهم زمان ولا حدا في سلك ملك من
منثور كلامه قوله : من تصدر قبل اوانه فقد تصدى لهوانه : يشير الى قول منصور
الفقيه : الكلب اعلى همة وهو النهاية في الخساسة : ممن ينافس في الرياسة قبل اوقات
الرياسة : وقوله العقل اطيب عيش والعدل اغلب جيش وقوله : اذا كان رضى
الخلق معسورا : لا يدرك فان ميسوره لا يترك : وقوله انما يحتاج الى اخوان العشرة
لزمان العسرة وقوله : من تغافل عنك مع علمه بحاجتك الى عونه وتوفر طلبك
عليه اذا عاتبته على تقصيره : كان كما يقول القائل : نوق الناس وابن ابي وامي
بين المخافة والرجاء الا ترى مظهرين على عتبا : وكانوا امس اخوان الصفاء : بليت
بنكبة فغدوا وراحوا : على اشد اسباب البلاء : ابت اقدارهم ان ينصروني
او بجاه او براي : وخافوا ان يقال لهم خذلتم : صديقا فادعوا قدم الجفاء :
ولبعض اهل العصر فيه : كلام الامام امام الكلام : وقوة بقوة بحر النظام : مزاج
معانيه في نظمها : مزاج المدام بماء الغمام : وله فيه الا ايها الشيخ الجليل ومن
تبلج افق الدهر عن فلق الفجر لئن كنت في الدنيا وانت وشاحها : عيانا فان الذكر في

صدفا البحر ولو تحرك الدنيا لانثنت دونها ❊ ولكن لب الشيء يحصن بالقشر ❊
وقلعة بين نصل السيف تحت قرابه ❊ كما صين نور العين بالجفن والشفر ❊ ومن اعيان علمائها
السلطان بنيسابور ابو نصر احمد بن علي الميكالي وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال
جملته فضلا موفورا وادبا مشهورا وغزرا معقودا ومالا مملوكا ودارا كالارى مثابا
وحزما كالمبرم مغارا ودهاء يبلج الليل البهيم نهارا ونظرا يستشف استار الضماير
ويستكشف اسرار القضاء وشعرا انقى السبع والجوهر وزكي المسك والعنبر وضحى المورد
والمصدر فمنه قوله ❊ بانى العلى والمجد الاحسان ❊ والفضل والمعروف واكرم بان
ليس البناء مشيد لك مشيد ❊ مثل البناء مشادا بالاحسان ❊ البر اكرم ما حويت حقيبة
والشكر اكرم ما حوته يدان ❊ واذا الكريم مضى وولى عمره ❊ كفل الثناء له بعمر ثان ❊
فاما كتابه فالسحر الحلال والعذب الزلال فهي تحكي بما تحويه من لطف العبارة وحسن
الاستعارة ومعول الاشارة والشارة بياض صبا الى قراره ومن منثور كلامه رسائل
منها ما كتب به الى شمس المعالي قابوس ابن وشمكير اقرانه كاتبه بسم الله الرحمن الرحيم
كتب العبد وحاله فيما يديمه مولاه من شرف اقباله ورضاه ويفيضه عليه من ملابس
فضله ونعماه حال من يقبل عليه دنياه ويبعد في ظل دولته باولاه اخرته والحمد لله
رب العالمين ووصل كتاب الامير موشحا بغرر تحطابه وغرر ايجابه وبدايع بره
وافضاله وروايع انعامه واشباله فيما اكرمني به من عز العبادة والبغية من
حلل الفوز والسعادة وشرفني به من التهنية عن العافية المستفادة فاوصل عزا

يبقى على الايام اثره ولا يخلو من الزمان ذكره ومفخره وفهمه العبد فهم من ازمته
رشدا واقتبس من اشاراته قوة وايدا وسجد لله شكرا على ما افاضه عليه من سجال
السلامة ومن عليه من ظلال الفضل والكرامة ورغب اليه في اسباغ العوارف عليه
وصرف المحاذر عنه فاما ما اهل الامير العبد له من شريف كتابه ولطيف خطابه
ورقاه اليه من درجة العبادة اولا ومنزلة التهنية ثانيا وانفاذ القاصد ثالثا فان
ذلك من نتايج همته العالية ودواعي شيمته الزاكية التي تحنو على اوليائه وخدمه وتعطف
على اعقاب نعمه فليس له في مقابلة ما اولاه ومعارضة ما اسداه الا الشكر يديمه
والنشر يقيمه والرغبة الى الله تعالى في ان يخلصها في اطالة بقائه وادامة عزه ونعمائه
والنهاضة بواجب خدمته ومعرفة قدر نعمته بمنه ورحمته هذا ولو ملك العبد
في مقابلة هذه النعمة على جلالة قدرها وتناهي خطرها غير بذل المهجة والقريحة
في الطاعة واستنفاذ الوسع والطاقة غاية ليبلغها تقربا الى حقوقه بما يقضيها ويؤدي
شرط العبودية فيها وحكم على نفسه بالعجز والتقصير معها اذ قد حرم المراد فانه يتكل
بالرغبة الى الله تعالى في ان يتولى من مكافاته ما لا يبلغه الامل ولا يفي به الا الجد
فهذا هو الكلام الذي ليس به عناد ولا عليه غبار قد دل الفضل بحره وملك العقل
رسمه وتصويره والقليل منه على الكثير دليل وكلام الجليل كقدره جليل كما قيل
قليل منك يكفيني ولكن ❊ قليلك لا يقال له قليل ❊ وقد اكثر الشعراء في مدحه
لكني اثبت ابياتا للخوارزمي فيه من قصيدة اولها ❊ زف المنام الى طيف خياله ❊

لو ان هذا الدهر يشكر لم يدع شكر الامير وقد غدا من آله ‹ لا ينثني لا لحاح نائله
سؤال امرئ ينهاه عن اسآله ‹ الوفر عند نواله والنيل عند سؤاله ‹ والموت عند
صياله ‹ والخلو من سؤاله ‹ والجود من عذاله ‹ والدهر من عماله ‹ ونعاله كقباله
وشماله كيمينه ‹ ويمينه كشماله ‹ يتجمع الآمال في امواله ‹ تفرق الاموال في آماله
لا علم الاعز في عزه ‹ لا حلم الا حاله من حاله ‹ وله علوم لو قسمن على الورى ‹ ما زاد
عاقله على جهاله ‹ وخلائق لو انهن كواكب ‹ اضحى السهى في الضوء مثل هلاله
وفضول قولهن اعذب مسمعا ‹ من راحة المشغول عن اشغاله ‹ سبح البديهة ليس تمسك
لفظه ‹ فكانما الفاظه من ماله ‹ وكانما عزماته وسيوفه ‹ من حده من خلقن
من اقباله ‹ متبسم في الخطب يحسب انه ‹ من حسنه متلثم بنعاله ‹ هنئ وفيت
بحمد عن فضله ‹ من ذا نفي بالشكر عن افضاله ‹ وله ايضا من قصيدة اولها ‹
تلك الديار وزينة الاحقاب ‹ صنعت بعيني صنع ساكنها بي ‹ والى الامير بن الامير
تواهقت ‹ دفعي الركاب بزاحي الركاب ‹ لبسوا الدجى لبس الغراب لريثه ‹
وغدوا الحاجهم غدو غراب ‹ والفجر يبطر في الظلام كانه ‹ نصلات عتب في خلال
عتاب ‹ طلبوا امرا افعاله محسوبة ‹ ونواله فوضى بغير حساب ‹ عند المدائح وهي
من انفائه ‹ ولغيره اضحين كالالقاب ‹ والمكرمات كثيرة الخطاب ‹ الا انها تابى على
الخطاب ‹ متبسم الحجاب مكتب العلى ‹ مثرى الندى بمجازف الحساب ‹ شيم ارق من
الهوا الذي من ‹ خطاء العدو رددته بصواب ‹ وعزائم لو كن يوما اسهما ‹

لنفذن في الايام غير نواب ‹ ماشية الحركات الا انها ‹ نادرة الاقدام والاعقاب ‹
يخطرن بين سياسة ورياسة ‹ ويمسن بين عقوبة وثواب ‹ قد اصبحت الفاظه
صور النهى ‹ وقوالب الاسماع والالباب ‹ واذا حللت له جنابا واحدا ‹
حل المؤمل منك الف جناب ‹ ومن آل ميكال الاكما قاله ابو الطيحان القيني ‹
واني من القوم الذين هم هم ‹ اذا مات منا سيد قام صاحبه ‹ نجوم سماء كلما
غاب كوكب ‹ بدا كوكب تاوي اليه كواكبه ‹ اضاءت لهم احسابهم ووجوههم
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه ‹ وما زال منا حيث كل مسود ‹ تنير النا احيث بادت
مواكبه ‹ وممن بعد من مفاخره بجبان له ابو الفضل وابو ابراهيم عبيد الله واسماعيل
ابنا احمد كل منهما بدر في ضيائه وعلائه ‹ وبحر في طياره ونمائه غرا با الفضل
ابرع في لطائف الادب وانظم لقلائد العرب وقد نار له من النظم والنثر ما يورى
جمرة بوشي صنعاء وزهرة بروض ميثاء في فصول كلامه قولكتاب الشيخ وصل فاذعنت
القلوب لفضله بالاعتراف واختلفت الالسنة في تشبيه بدايع الاوصاف فمن مدع
انه رقيب الوصل وربيقة النحل ومتحل انه عقد النحر وعقد السحر وسمط الدر وقايل انه
سلاف العقود ونظم العقود فاما انا فقد اقترنت التمثيل وسلكت التحصيل وقلت هو
سماء فضل جادت بصوب الحكم ووشى طبع حاكه سن القلم ونسيم خلق تنفس عن روض
الكرم وابض وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع وربط الوشي الصنيع فلقيته بتحلية
الاحسان والابداع وحلية النواظر والاسماع ومتن الخواطر والطباع وصقل الافكار

والالباب وعيار المعارف والاداب واجتليت منه غنيمة فضل ويتيمة فضل و
يتيمة مجد وثمينة عقد ولطيمة تخلق وغنيمة تحلو اصفحة العهد ويجل قداح الانس
ويجل عن قلائد الشكر كلام اعذب من فرات المطر واعبق من فتات المسك والعنبر يزري
بنور الخمائل وقد عطرتها انفاس الشمائل ومن منثور الفاظه اخلاقه قد اخذت
من الورد عرقه ومن الند عبقه اخلاق هي المسك لولا فارته والورد لولا مرارته
والماء لولا اسراعه الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر ووجه البدر لولا محاقه
والمشتري لولا احتراقه هو عار من العوز اكاس من العلاء وله الشرف اليفاع والامر
المطاع والعرض المصون والمال المضاع وله النوال الثلب والرأي العضب ومنه
الاباء المر والكرم العذب وهو واحد البشر وثاني المطر وثالث الشمس والقمر له في
زهر الجدا اذ غصن شبابي غض وريق وفعل شرابي وريق النعمة عروس مهرها
الشكر وثوب صوانه النشر النعمة عندي تكتسي من لومه اطمارا وتشكو غربة وانيارا
ولي المعروف برشف من الرغب في حلوق ويجري مع الريح في طلوق دارت رحى الحرب بين اعمار
تباح ودماء تستباح واجسام تطاح وارواح تنفى بها الرياح فالسيوف للهامات
دامغة والرماح في الاكباد والغة ومن نظمه قوله لقد راعني بدر الدجى بصدوده
ووكل اجفاني برعي كواكبه فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ويا كبدي صبرا على ما كوى به
وله ايضا ضاق صدري في هوى قمر قمر القلب وما شعرا ليت اجفاني به سعدت
فترى الجفن الذي فطرا تفرق قلبي في هواه فشطره فريق وعندي شعبة وفريق

وان سطوات واين ايات
لقد راعني بدر الدجى بصدوده
ووكل اجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي
ويا كبدي صبرا على ما كوى به
ضاق صدري في هوى قمر القلب وما شعرا
ليت اجفاني به سعدت فترى الجفن الذي فطرا
تفرق قلبي في هواه فشطره فريق وعندي شعبة وفريق
اذا طنبت نفسي تقول له

فان لم يكن راح لديك فريق
انكرت من ادمعي تترى سواكبها
سل جفوني هل ابكي سوالبها

اذا طنبت نفسي تقول له اسقني فان لم يكن راح لديك فريق وقوله انكرت
من ادمعي تترى سواكبها سل جفوني هل ابكي سوالبها وله ان لي في
الهوى لسانا كتوما وفؤادا يخفي حريق هواه غير اني اخاف دمعي عليه
ستراه يفشي الذي ستراه وقوله لنا صديق ان رأى مهفهفا الاطفه فان
يكن في دهرنا الاطفو وقوله لا تصبحن بالحيوة ذا ثقة فكل نفس للممات
ذائقة وقوله وكل غني يتيه به غني فمن تجعع بموت او زوال وهب
جدي زوال الارض طرا اليس الموت يزوي ما زوى لي ومن اعيان رعايا
السلطان بناحية طوس وان كانت نيسابور دار قراره ومعتقد ضياعه وعقاره
ابو جعفر محمد بن موسى بن ابي القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام نسب كان عليه من شمس الضحى نورا
ومن فلق الصباح عمودا وقد خدم ملوك آل سامان وعاشر وزراءهم وكتابهم
والتقط محاسنهم وآدابهم فالفاظه ينابيع العلوم وافق لهم ابيع العقول
ومجالسه حدائق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل فلم تبق يتيمة خطاب
ولا كريمة صواب ولا غرة حكمة ولا درة نكتة ولا طرفة حكاية ولا فقرة
رواية الا وهي غرضه خاطر صحيفة ذكره ولا يخسف بدر معارفه ولا
يتن ولا تنحجر لطائفه ثم هو واحد خراسان من بين الاشراف العلوية في قوة
الحال وسعة المجال واتساع رقعة الضياع والارتفاع فلذا الارتفاع

ذكر ابو جعفر محمد بن موسى بن احمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلى الله عليه واله الطيبين الطاهرين المعصومين

واشتد ادباع العز وامتداد شعاع الجاه والقدر وقد كتبت عنه من
نوادر الاخبار والاشعار ما حكيت بعضه في كتاب الموسوم بلطايف الادب
وساورد الان نكتا مما قاله وقيل فيه ابانة من عزيم معالبه فمن شعره
قوله وشادن وجهه بالحسن مخطوط وخده بمداد الخال منقوط تراه قد جمع
الضدين في قرن فالخصر مختصر والردف مبسوط لو كان ادرك لوط النبي
لما نهى الورى ابدا عن مثله لوط وقوله قد بت غرالي وهو ملكي حقيقة بلذ
بعلشي اخانا بني هم جميل محياه وكالدعص ردفه لطيف سجاياه ولبير
لخصم وقد اكثر الشعراء والادباء فيه فمن ذلك قول ابو الفتح البستي
انا للسيد الشريف غلام حيث ما كان فليبلغ سلامي واذا كنت للشريف
غلاما فانا الحر والزمان غلامي ولابي الفضل الهمداني المعروف ببديع الزمان
فيه انا في اعتقادي للتشيع رافضي في ولائك وان اشتغلت بهؤلاء
فلست اغفل عن اولئك باعقد منتظم النبوة بيت مختلف الملائك يا ابن
الفواطم والعواتك والترائك والارائك انا حائك ان لم اكن عبدا
لعبدك وابن حائك ولبعض اهل العصر فيه عيد البرية عيد المهرجان
اني اهل بعيد اني عبد انجبه العيد لا يمضي الى امد وعبدنا دائم
الالاء باق فيه لا زال سيدنا في ظل دولته وظله دائما ممن
يوالبه محكما في رقاب الارض قد ذللنه يجزله ثمر الاقبال

جانبه اعشاره المجد والبشر اجلا لله خواجه الدهر والدنيا
جوانبه وبنا بيتا و بوردار فشافش اهل الفضل في ذكر
بنائها ووصف شرفها وسنائها فمن ذلك قول البديع الهمداني
وارفسمت عراصها تحكي الاباطح والرصافة بين الكرخ والنبوم والخلافة وتضاهي
فيها المصاحف والمعارف والسوالف والسلافة لا زلت يا دار الكرام مصونة
عن كل افة ومنها لابي عبد الله الغواص يا دار سعد قد علت شرفاتها بيت شبيه قبلة
لورد وقد اوكنت مله او بذل مال اواداره كاس من افاضل العلوية ابو البركات علي ابن
الحسين بن علي ابن جعفر ابن محمد وهو الملقب بحوبابن الحسين بن علي ابن محمد وهو الملقب بالديباج
ابن جعفر ابن محمد الصادق والباقر علي ابن زين العابدين ابن الحسين ابن علي ابن ابي طالب رضي
الله عنهم اجمعين كتب نوادر شكا بر عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب قد جمع الله بين دينا
النثر والنظم فنثره منثور الرياض جادها السحائب ونظمه العقود ذ انها النحور
والترائب فمن نثره فصل له احبا ان يكون مكاتبي للامير انفا لم ترتع وبكرا لم يفترع
وسابية لا تركب ولا تحلب فلا اشوبها بارب ولا انسب اليها بسبب فعل من لا
يثني ولا طمع ولا يشوب دعواه عنت ولا طمع على ان الاضطرار يغبر في وجه
الاختيار والعذر فيه مقبول عند ذوي الاخطار والاحرار وفلان يمتني بحق الجوار
ولقد نشر ايد شكره واظهر محاسن التشرحبا يابره فملا الارض ثناء التمادعاء
وعادة الامراء ان يحيوا الامال ويسترقوا الاحرار فليجعل مشكرا ما هذا الامل محظوظا

ولا يجعله محظوظا منه ان شاء الله وله ايضا رقعتي هذه وانا عايد معود وقاصد بالزيارة
مقصود لخاطب اصدقائي بما الخاطب وكاتب اخواني بما الكاتب سماني وفتن وادعى
رعدت بنا بني الحي ولا تقار في الشكوى نفسي نفسان ونفسي نفسان كان الحول شاطري
نصوله فلت غرته وحجوله فالربيع بين عيني وخيشومي والصيف كامن بين صدري
وحلقومي وما عرفت لعلتي هذه سببا الا اني رايت نفس الحرية منشكية فشاركتها في شكواها
ووجدت عين الكرم والكمال لمنادية فحملت عنها اذاها وقلت ممثلا لا ممتثلا
ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكي كان بالعواد ثم ذكرت ما اعد الله تعالى
للعباد من ثواب العلة في العباد فاستصغرت عند ذلك ما استعظمته وسهل
مسلكي وان استوعرته وقلت منح الله تلك النعمة من العلة واعطى الشيخ بها اماناً
من القلة واعمى عنه ناظر الزمان ولا طرائق فانه طوارق الحدثان وتمنيت اني
واصلت عدوي برواجي في زمان الشيخ مشاهد الحال واقباله نحو البرء والاقبال
وقد حيل بين العير والنزوان على حالتي هذه فاني استريح بخبر سلامته ولحصل النفس
به منة وله ابن الله باهذائه الى يد ومنة ودايه في انجاح مو فوائه ان شاء الله تعالى
ومن نظمه قوله واعيد بشار بالحاظ عينه حكى لي ثنيه من البان املودا
سلخت بذكراه عن الصبح ليلة اسامره والكاس والناي والعودا نرى النجم
الجوزاء والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا وكتب الى ابي بكر الخوارزمي
لئن كان ذنبي في اصلات فذلك ذنب صغير صغير وان كان هجري من اجله

فذلك ظلم كبير كبير صدودك عني صدود الجفوة وصدنيوا النيرين فرد في
قليلا لا يجد شاكرا لديه القليل كثير كثير وله في وصف اللقانق فان كنت تهوى الذي
اكل اللقانق فبادر الى امثال جيد الغرانق الى جامع اللذات طيبا وجودة
قضى حقه طاهيه بصنعة حاذق تراه على السفود عند صلاته كزنجية زينت بحلي
المخانق فبعض بدا لي كالوشاح وبعضه يحوط عليه في محل المناطق فانجح لقيت الخير
في حاجة امري وفي ربط الود غير ممازق ومن افاضل الخضر لهم القاضي ابو القاسم علي بن محمد التنوخي
هزاة وهو عندك من يستحق ان يقال فيه ما قاله الصاحب لبعض من كان يواليه لولا ان
نذرة الله عندي حبس والجد لقلت انه في الغدة وجود مثله في كماله وفضله جاوز
التسعين وناهز الثمانين واحد الانام منثورا ومنظوما وثاني الغمام مقبولا ومعلوما
شب للعلم خادما وشاب على العلى مجد وما في مسود كلامه فصل له من كتاب وصلت
ملطفة الشيخ فلطفت لغليل بردته ووجه بصنع الارتياح وردت بخبر سلامته التي بنيم
الجنان والوسيلة الى السلوان وله فصل كيف لا اعتد بصنع الله لي في تحبيله وده
وعقيله عهده وقد قبلني في الله اخا حين عز الاخاء وعدم بين الاوداء الوفاء وكاد
لا يصدق في وجودهما زايد ولا يظفر بهما مضل ولا ناشد واصبحت المصافاة مخاتلة
ومخاترة والمخالصة مكاشرة ومناخرة وقد كان المتحابون في الله اقل من القليل والاكم
عليه رونق التشبه وتوفي بردته القشيبة وله فصل من كتاب بكلامه في مخاطبة الشيخ ما تلالا
شعاع الناظر وردت القوارة ماء الغمام الناظر الاعلى لمنهب الذي بذكر معلى ابن الجهم في صفة

القوارة ترد على الحر منها السبك على الارض من صوب امطارها وله فصل كان
كل مجلس من خالة الانس مزوقا وللروياد مشوقا فكان مردّيا مطنبا وموقدا
مطنبا ومما انشدت له من قلائد شعره وان كانت كلها تمثيلا يجل عن الاحصاء
جملة وتفصيلا قوله ربما قصر الصديق الفضل عن حقوق لمن لا يستقل ولئن
قل نائل فوقاني ودادي منه لا يقل ومن قوله ادخ سترا على حقارة وذي
هتك ستر الصديق ليس بجل وقوله قالوا ترفق في الامور فانه نجح ودرك
الدر بالايناس ولقد رفقت فما حظيت بطائل الا بساس بالابساس وقوله
والخلق كاطراف الزجاج دفنت من رفقك بالزجاج الى ان عدن لى زبد بهد
كذلك يكون عاقبة العلاج وقوله في مرثية ابي سليمان الخطابي انظروا كيف تخمد
الانوار انظروا كيف يسقط الاقمار هكذا هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى
تغيض البحار احذا الدين والمروة والفضل ومنه بتهما الاقدار ما من لم يكن
لدنياه فتك بجاه ولا عليه اقتدار حم متفرة السحداعا فهو دون اقرارها قرار
وقد وصف ابو الفتح البستي فضله في ابيات له ابا القاسم استعبدت ودي تبالك
تلاه بلا من لبرك طارف واضعفت شكري حين ضاعفت انعما وقد يضعف
النسك المضاعف اتاني كتاب منك فيه طرائف تنقل من اطرافهن الطرائف
صحيفة احسان تخر بحسنها سجودا اذا ما لاحظتها الصحائف فواصلنى منها بناب
مساعد وطالعني منها زمان مساعف واصبح منه غادلا وهو عاسف وعاد

نحا ريحه وهو عاصف ومن اعيان بنى الدولة ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي الكا
الكاتب ابن الكاتب والنقاب ابن النقاب بحر الشمائل لنديم الكتاب الى الرئيس الذي لا يحطها الماء ذكاء وكيف
لا بالف القراب مضاء والعقد الذي يلى وقد التما زكاء ونماء فعطارد تلميذ افادته والمشترى
مشترى سعادته وثاقب النجم عبد همامه وشارق الشمس خادم ذاته ورواته خدم ابو طاهر
حسام الدولة ابو العباس تاش على ديوان انشائه بارعا في الصناعة ضاعنا في البراعة مخلوقا
لفصل القول مرموقا بعين الطول يناضل الصاحب اسمعيل بن عباد فيخزره عليه نراس لاد
وبناجله فيملا الدلو الى عقد الكرب مصعب لا للمصعبي يضاهيه ولا الموصلي يباهيه
ولا الفارسي يدانيه ولا البستي يتبع بعض مساعيه يجانس انجم الثرة نثره ويشاكل سحر
البحر شعره فمما بلغني عنه قوله تحسام دولته وصاحب جيشه وحاجب سلطانه ابي العباس قلت
جمع في هذا البيت خصائص اوصافه وضم الى واسطة المدح اقاصي اطرافه ذا الاعلى نوع
الاعجاز برهان الاختصار والايجاز واراد الله نعم سعادة هذا الفاضل فهداه نهج
ابيه وعداه موقف التشبيه فيما نموا الاشياء على طيب التربة والماء ليس نمو القاصر وقعه
الكن نمو هلال الظلم وشبوب النار فوق العلم وصفاء الخمر مرسوما على القدم ولخص عهد
الامير الجليل ابي سعيد التونتاش خوارزمشاه اذ هو تاج الحجابة وناظر عين النيابة فاعد ابنه
حتى لبس الملك فضفاضا وغض عن السواد وان كان عليه ساخطا واستقل ابو نصر باثقاله
عن سمة الكتابة الى رتبة الوزارة وعن حضيض الحاجة الى يفاع الشركة في الامارة فلم يزل
من ابنائه جنبه في البلاغة اثنان وشادخي اعياه من بني عبد المدان فمما وقع الى

من نفح قلمه وحر كلمه من كتاب خاطب به بعض اخوانه لعل الدهقان يظنني او شرع
مع مساعدة الزمان مباعدة الاخوان وارضى من صدد الوزارة بقلب كا
الحجارة فلم يزل لنيل المراتب حلا لا للعقود قطاعا للاوامر والعهود وكلا لعمري
ما ازددت ارتفاعا الا ازددت للصديق اتضاعا ولا انالني علي الايام رتبة الا ازددت
الى الاخوان قربا غير من تصلفه الزمان وتبدله السلطان وبذم عهد الاخوان
على الذي بها انسيت عهدا او تناسيت اخية الوفا دون من اخيت فلست الذي عهد
ولا ارضى قطيعته وصلة اني وقد قيدني باياديه الزهر واسترقني بمعاليه الغر فما
ارى له بديلا ولا املك عنه تحويلا لا اعاذني الله مما يفت من صدوده ولا سلبني
طيب الانس بجوده ومنه وهذا القدر على مبلغ القدرة دال وللبليغ البارع منتقد
الانصاف في المدح والتقريظ مجال فهؤلاء اعيان رعايا السلطان في الفضل الواسع
والادب الجامع ووراهم من اعلام البراعة واحداث الصناعة من يرجف ذكرهم
عن الغرض المقصود بهذا الكتاب ولم استغرق اسامي المذكورين لاثباتهم بالاضافة الى
اعيان سائر البلاد افرادا في ارتفاع المراتب واتساع الحظوظ والرغائب واضطراب الصيت
في الافاق وصوغ الايادي قلائد للاعناق وسنعود الى ذكر السلطان يمين الدولة و
امين الملة ووقايعه التي دخنها حدود الظبات وان سخطها نفوس العداة فتغني
كل مغنى وفهادونها ونلحق شرح حالها بقومها الى ان نوفي الكلام حقه من الاشباع في
المرغوب المرجو بين السلطان يمين الدولة وبين ايلك الخان **ذكر غزوة بهاطية**

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان وسكن لغائضها وانجاب غما
عارضها ارتاح لغزو بهاطية فجر الجحافل متوسمين شعار الهداة الثقاة ورايات الحماة الكماة
حتى عبر سيحون من وراء الملتان الى مدينتها بهاطية فالفاها ذات سور يقصر عن موازاته
اجنحة النسور وقد احاط بها خندق كالبحر المحيط في الغور البعيد والعرض البسيط وهي
مشحونة بملا الوهم من عدد وعديد ومعمول من حديد وكل شيطان مريد وعظيمهم
يومئذ المعروف بيجي راي فاستخفته العزة بما حوته يده للبروز من وراء السور مهولا
باعداد رجاله واشخاص افياله ومتطاولا باتباع الانداد في قتاله وحضاء السلطان
عليه نار الحرب ثلثة ايام بلياليها يرميه بالصواعق من ظبى السيوف البوارق ويقذفه با
اللوامع من شبا الرماح الشوارع وواصلها عليهم صبيحة الرابع بضرب يطير الحواجب عن
العيون ويزيل القبائل عن الشؤون ورشق يدع الاجساد مناخل بل مناخر وقد انفجرت
عروقها واعيت على السكر شقوقها حتى اذا توجت الشمس قمة النهار داهاب بالشد على
الكفار الفجار فتجاوبت نغم التكبير استنزالا لنصر الله وتنجزا لصادق وعد الله وحمل
اولياء الله على ذوى الاشراك والاتراك حملة كشفت صفوفهم وارغمت بالذل انوفهم وامال
السلطان كالفحل القطم يضرب باليدين ويقد الدارع بنصفين ويفني طغاة الكفر من كوبين
الجنبين وملك عليهم في تلك الشدة الواحد عشر من الفيلة التي كان يعدها الكافر
لقلبه ويعدها سكونا لقلبه وتمازج الفريقان في غبار تلك الحملة بين نقف يترادمع
الهام وطعن يبتر في حشاشة الاجسام واعلى الله راية السلطان بل راية الدين والاسلام

ويح القصر رخاء واعادشن الغيث نعاء فولى المشركون نحو المدينة اعتصاراً ابو رها
واعتصاراً في دورها فاعجلهم السلطان عن الاحتياط وملك عليهم مداخل الحصار
وتعاون اقيال العسكر على سدم خنادقه وهدم ثنايفه وتظافروا على تقبيح مغالقه
وتقبيح مضايقه وقد كان بحير احين غلت مراجل الحرب ولخلت مناجل الطعن
والضرب لحس الهون والعطب تشام برق الويل والحرب فاندس في عصابة من
رجاله للانحياز بعض الغياض والاستناد الى شعف بعض القلاع لقرب
السلطان كوكبة من خواصه في طلبهم فاحاطوا به احاطة الازرار بالاعناق
حكوا منه حدود البواتر الرقاق فلما رأى بحير اماد هاه عمد الى خنجر في خصره فهتك
به حجاب صدره وانتقل الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة جزاء لمن كان كفر
وتولى وتجهد الاولى فلا اصام ولا اصلى ولا ستيج ربه الاعلى نعم واقبل عسكر السلطان
تقتلوا الكفار وغنموا الاموال الحاصلة وخص السلطان مائة وعشرون رأسا
من الفيلة بما تضاهيها من ذخاير الاموال والاسلحة ملكاً عز على غيره مناله وملكا
تطفل على … جلاله واقام بها طيبة الى ان طهرها من انجاس اولئك الانجاس
اولئك الانكاس ورضب بها من يعلم حملة الدين سنن الاسلام ويبين لهم طرق الحلال
والحرام وكر الى غزنة موفور العلى منصور اللوى عالي الراي سائر الجد على خط الاستواء
الا انه … منصرفه هوامى امطار وطوامى انهار وفوارع جبال وقوارع اضداد
اقتال فاستغرق … بحل اثقاله وشتيل … بحلة من رجاله ثم وفاه السلطان …

السائرة وهو سنولى الصالحين وقد كان ابو الفتح على بن محمد البستي بكر
حركات السلطان بنفسه في تلك المقاصد براي سخيلته من عطارد وحقا لقد
كان يقول لنا انه بهر العقول ولكن اذا جاء العزام والسيف الحسام والبطش …
فقد سقط الكلام وبطلت الصحايف والاقلام وانشد ابو الفتح لنفسه في هذا
الا ابلغ السلطان عنى نصيحة بغيتها وداوى مخلفي يجاوز تاريخ التمر …
ورقة وذلك قبل ان تملكوا فاحركات منبعثات بديهما فان …
الشمس لا يحرك وهذه مسئلة يتنازعها الاوايل فمنهم من يجعل لاوج الشمس
حركة كسائر حركات الاوجات فاما المحققون فقد انكروا وبراهين هندسية ذكي

بلغ

واشكال برهانية

غزو المولتان ثم قد كان بلغ السلطان … ابى الفتح والي المولتان …
الفتوح في خبث نحلته ودخل دخلته وخبث اعتقاده وقبح الحاده ودعائه اهل
بلاده فانف الدين من مقام مثله على نصاعة سيرته وشناعة امره واستخار الله
الخائرة في قصد لاستناثبتة وتقديم حكم السيف الايقاع بدوامره تقيم الاطراف وفق
الدهول وحجم الحيول وضوى اليه من مطوعة الاسلام من ختم الله له بصالح العمل
واكرهم باحد الحسنيين في الازدشابهم نحو المولتان عند توجه الربيع …
الانوار وسيح الانهار بفضول الانداء واستاع سيحون …
متونهما على اصحابهما طلب السلطان … العظيم الهندان …
مفصل فمنع وتمرد واخذته العزة بالاثم … السلطان عزة الراي …

وكتب الدول

دهمه ذلك الخطب ان بدأ به على غزنة غابته فبذل اصليفه ويتبع غريقه ويمزق لفّه
ولهف جامعا بين غزوتين وقاطفا جني الجنتين فبسط عليه ايدي القتل والاسار والنهب
والانهاق والهدم والاحراق يلجئه من مضيق الى مضيق وينفيه من طريق الى طريق
طاويا عليه بلاده طي التجار بحضرموت برودا الى ان ضجرت القنا من هتك خلق الدروع
وسكرت الظبى من رشف علق الاحشاء والضلوع فركب اثره في اغوار دياره واغماض
رباعه يتحسس دمنات التهود وقضض الاباعر ويفري عليه وحوش الجو بين ضيق المدخل
ورحب المفاوز حتى اضمرته نواحي قشمير ولما سمع ابو الفتوح والي ملتان بما جرى من
امر عظيم الهند وهو الوجه الرفيع والسد المنيع والسيف الصنيع قابس باعد جثته وذراعه
بفتره وايقن انه عن الجبال لانطال الحصباء الفور وزرق البزاة لاشال بغاث الطيور
عجل نقل امواله على ظهور رفايله الى سرنديب وخلى الملتان للسلطان يفعل فيها
ما يشاء فثنى العنان اليها مستعينا بالله على من احدث في دينه واحدث بتوهينه
فاذا اهلها في ضلالتهم يتخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فضرب عليهم بجران الحصار
وكلكل المناجزة حزا للغلاصم وبتكا للايدي من المعاصم وارضاضا لهم بالفاقرات القواصم
حتى افتتحها عنوة وشحنها عقابا وسطوة والزمهم عشرين الف الف درهم يرحضون بها
درن استعصائهم ويدرؤن عن انفسهم لجنة استشرائهم وابائهم وعبر ذكره بما اتاه
الله نعمة من نصر الدين واثارة معالم اليقين عرض البحر الى ديارات مصر حتى درست بها

مقاماته التي لم ير مثلها عن ذي القرنين الى حيث انتهى اليه من امر الدين وارتفعت
فرايض السنة واخوالها حذار بطشه وانتقامه وخفتت بها نجوى الالحاد وطنت صوفي
الغي والعناد ولله ابو تمام حيث يقول كم بين غزوتك البالاس والجبل دقاق
والخطب غير دقيق حين لا اجل النساء بخضراء ولا وجه شنوع بطليق ان ايامك
الحسان من الروم لحمر الصبوح خمر الغبوق مغلمات كانها بالدم المهراق ايام التحمير
والتشريق ذكر عبور عسكر ايلك الخان قد كانت الحال في الالفة قائمة بين السلطان وبين ايلك
الخان الى ان دبت عقارب الفساد في ذات البين فاضطرب الحبل الساكن واشتعل
الجمر الهامد وداعي ايلك فرصة المجاهرة ونشر المكاثرة حتى اذا اصمد السلطان صمد الملتان
وغادرت نحو تلك البلاد راياته وخفت عن اعيان رجاله بلاده وولاياته سرّب سباشي
تكين صاحب جيشه واحد قرابته الى كور خراسان في معظم اجناده وشحن بلخ بجعفر تكين وعدة
من قواده وكان والي طوس ارسلان بن الجاذب مقيما بهراة مامورا بالانحياز الى غزنة
متى نجم ناجم او نعق ناعق بفساد فاسرع الانقلاب اليها اخذا بوثيقة الحزم في ترك القتال
وتربصا بالحمل غاية الفصال وورد سباشي تكين هراة فاستوطنها ونصب الحسين بن نصر
للديوان بنيسابور فرتب العمال وواصل الاستخراج ونال بهم كثيرا من اعيان خراسان
خبر السلطان من جانب ملتان وتناقل الالسنة اهواء القلوب ونوازع النفوس
زوروا الجيف غزوه وامر الوزير ابو العباس الفضل بن احمد بالاحتياط على الطرفين
غزنة وحدود باميان وبنجهير وسدها بحماة الرجال على حصانة مداخلها وصعوبة مراكبها

النذير الى السلطان بما انبث في اطراف البلاد من حيات العداة وعقارب الغواة
فاعجله بديهة البلاغ عن استتمام وازعجه غلبة الحمية عن مقامه فركب ركوب
العاصف كتاف الجهام الفارغ يطوي الارض طي المهارق بين ايضاع وايجاف
واهذاء واعتناف وبين هول لعضراب وسهوب وسغاب حتى القى عصا
بغزنه واقام العطلا لابناء دولته واثناء جملته وملا ايديهم بالعطايا والرغائب
وازاح عللهم بالمطايا والركائب ثم استنفر الاتراك الخلجية احلاس الظهور و
ابناء الصوارم الذكور فنفر منهم من على حين وان كانوا ابترة كانما خيطوا عليها
بالابر وجاش بهم نحو بلخ وبها جعفر تكين فاسرع الكر الى الترمذ اشفاقا من ضغمة
الضيغم الخادر واحترسا من وثبة الارقم الثائر واستقر السلطان ببلخ موفور الانس
والجذل كما تجلى صفحة الشمس من برج الحمل وامر باتباع سباشي تكين بارسلان الجاذب
في زهاء عشرة الآف من ابناء الكفاح ومنحة الارواح بالسلطان الرماح وسار سباشي
تكين نحو الوادي للعبور وعلم برغاء الاعادي بانضوابج والموربات ثوادج فكر على ادراجه
خاسئا غاديا وعطف على مرو على ان يتدرج منها الى الشط على سمت المفازه فاذا
الابار مدفونة والمناهل مطمومة وودائع الضيف مستورة واذا بالنواحي على
المعالم مجرورة فانثنى الى سرخس وبها المحسن ابن طاق في ذوي الاتراك الغزية
فاحدق به احداقا وسد باب الهرب وضيق عليه دونه وجه المجال والمضطرب فما
ناقده ثم ظفر به سباشي تكين فقتل بضعين بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة من

الجانبين

الجانبين واعجله ارسلان الجاذب اياه عن فضل المقام وروح الاستجمام فارتحل
الى ابيورد ومنها الى نسا وبينهما مرحلة والخيل كالى صدد هنا وردد ذلك ومضى
ظعن ذلك اناخ بهذا يتقاسمان امداد الطلب والهرب حماما ولا يردون الماء
لماما وقد كان سباشي تكين قد حصل صدرا من المال والاسلحة من نواحي هراة
وغيرها فصارت عقلة له دون الخفوف في وجه النجاة فبقي بين اليأس مرة وبين الياس اخرى
منكوسا على رأسه خوف العار من اسلام ما بردت به يداه ولغباه الخلاص بحشاشة
النفس اخرا الايثار افرازه عن جملته وتفريغ الخواطر عن الشغل به ولما قرب ارسلان
الجاذب من نسا رحل عنها متوجها نحو سبيار وازعجه الطلب نحو جرجان فركب قلل
تلك الجبال بين الاجام الملتفة والغياض المحتفة والمخارق الضيقة والمخارم المضطربة
وتسلط الكرد اكلة على اثقاله وافناء رجاله حتى تشتت كتائبهم فيه واستامن شمس
المعالي قابوس طوائف من اهل جملته لعدم المراكب وذهاب الحرائب وانفل هو على
دهستان حتى عاد الى نسا وجمع ما بقي عليه من تلك الاثقال فاصدرها الى خوارزم
ابي الحسن علي بن مأمون يستودعه اياها امانة لايلك الخان وحده ان يمد اليها
بغير الصيانة يدا واصحبها رجاله عسكره والعجزة منهم عن صحبته وانضم المفازة متوجها
نحو مرو وكان السلطان قد انحدر الى طوس مراعيا ما يسفر عنه ركض ارسلان الجاذب
على اثره والصافة الطلب الحثيث به فلما بلغه ركوب سباشي تكين عرض المفازة اسرع
على طريق مرو معارضا له في مسيره ونافضا عليه قوى تدبيره فوصل اليها مخلصة

عن وعثاء تلك البيد ونعماء بابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي زعيم العرب
وبنائر قواده يرون الملاحم ولا ثم والوقائع بنقايع وسيوف الضراب عرائس صفوف
الكماة فراين فكان كما قاله سعيد ابن حمدان فوردن من معن واملاسة الى الز
اب واقد فكنت كالساعي الى مثعب موائلا من سبل الراعد واحاطت بهم
حيث لا ماء الا منابع الافواه وهي غاصبة ولا مرعى الا شكائم اللجم وهي عاصية
واسر اخو سباشي تكين في زهاء سبعمائة من وجوه القواد ودون الافراد وامر السلطان
بقراجوريا تهم فانزعت قيود الكعابهم دجوامع لرقابهم وحملهم الى غزنة لتبين
حسن صنع الله فيمن شاقه ونقض عهده وميثاقه وبخا سباشي تكين في خف من العبيد
بجريعة الذقن فعبر جيحون الى ايلك وقد كان ايلك عبر جعفر تكين في زهاء ستة
الاف رجل ثانيا لاستفسار عزمة السلطان في قصد سباشي تكين واخراجه
فتهاون السلطان بهم حتى فرغ الخاطر من امره ووضع ما انقضه من الشغل عن
ظهره ثم ثنى العنان اليهم شد الغيض الهواء بغباره واستغرق اوقات ليله ونهاره
فلم يرعهم الا رايات باجنحة النجاح طايرة وخيوله في صهيل المراح سايرة وكمن
لهم السلطان فلما راوا الكمين انفلوا منهزمين يخمون دعوة الاخلاص يامين امين
وتبعهم صاحب الجيش ابو المظفر نصر على ساحة جيحون كاسعا لادبارهم ومثخنا
في غمارهم الى ان عبروه فسلمت خراسان من عيث سوادهم وخلت من شبوب جرادهم
فاضطرب بايلك حنقا لما جرى على عسكره من الضغطة الكبيرة والصدمة المبيرة

فاستعان بقدرخان لقرابة بينهما وكيدة ولحمة وشيجة واستجره بخفي مسيلته الى ثاره
مستظهرا بنصرته واظهاره فاستجاش احياء الترك من مظانها وحشر بني خاقان
من اقصى بلادها واستنفرها من ما وراء النهر فجيوش تجل عن الحد والحصر
وسار في خمسين الفا او يزيدون حتى عبر جيحون مدلا بعسكره المائج ومعتضدا بقدرخان
ملك الختن العدد والعديد والباس الشديد والايد المتين والبسطة والتمكين في
رجال كالجبال والفوالج فوق البحور المرائج عراض الوجوه خزر العيون فطس الانوف
خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب من حلق الدروع يحملون جعابا كخراطيم الفيول
محشوة بنبال كانياب الغول فلما سمع السلطان بعبوره في جمهوره وهو ذا الى طخارستان
سبقه الى بلخ فاستوطنها قاطعا عنها طمعه ومالكا عليه متاره ومنجعه واستعد للحرب
فخرج السلطان في عساكر الترك والهند والخلج والافغانية والغزنوية انشاء الجد
والصدق وابناء الرشق والمشق الى معسكر له على اربعة فراسخ من البلد بقنطرة جرخيان
وسع المجال على الرجال رحب الفضاء على الدهماء وزحف ايلك الى محاذاته في عدد الدهم
وعكره المجر فطارد الفرسان وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم الطلايع امام الوقايع
الى ان كفهم حاجز الليل واصبح الناس على ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفا
كالجبال الراسيات والبحار الزاخرات ورتب في القلب اخاه صاحب الجيش نصرا والى جانبه
ابا نصر احمد بن محمد الفريغوني وابا عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي في كماة الاكراد
وسائر جماهير الهنود ومساعير الجنود ورتب في الميمنة حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فيمن ضم اليه

من اعيان الرجال وفرسان الزحف والقتال وندب للميسرة ارسلان الجاذب فيمن
تحت قيادته من نجوم الابطال ورجوم القتال وحصن الصفوف بزهاء خمسمائة من
فيلته التي تميد الجبال من اثقالها وترتج لها الارض بزلزالها واقبل ايلك فشحن قلبه
بخواص غلمانه واعلام فرسانه وولى قدرخان ميمنته في اتراك الختن بين الهام العوامل
والجنن وشحن جعفرتكين ميسرته بكل الكبش كالشجاع المحرج والحسام المرهف بين
وقايات الزغف والحجف وتحامل بعضهم على بعض فخيلت المعركة سماء غمامها نقع
وبروقها بريق البيض والاسل ورعودها صلاصل الآلاج ورشاشها صبيب الجراح
واستنزل ايلك من صهوات الخيول الى صعيد الارض زهاء الف غلام يغلقون الثغور
انصافا ويتصون وسائط الاهداف اهدافا فشكوا بالنبال تجافيف الفيول وثقوا
بالنصال سرابيل الخيول ولما جد الامر واخذ الجمر واعضل الداء واستفحل الاعداء
وزخر وادي الخطب بمده وكاد يخرج بادي الشر عن حده نزل السلطان الى صعيد
ربوة كان يشرف منها لتدبر عطفات الحرب وتلافي ثغرات ذلك المركب الصعب فوضع
للخد وعفر شعره وارسل دمعه وقدم نذره ودعا الله ان يجير من ملكه ويحسن
فلجه ونصره ثم ونى الى فعلته من فيلته المقتلة فحمل بها وبادر خاصته على قلب ايلك فهوى
الفيل الى صاحب رايته فاختطفه بها من سرجه ورمى بها في الهواء من فوقه وتخلل الاخرين
حطما بخرطومه وتنكيبا بانيابه ودوسا باظلافه وانثال اولياء السلطان على الاخرين بسيوف
تلغ في الدماء وترشف لحاء الاحشاء فطارت عقولهم هواء واستحالت اغراهم هباء ودولوا

دولوا على اعقابهم نافرين وتبعهم الطلب بظبات القسر والقهر الى ان لفظتهم خراسان
الى ما وراء النهر ولقد احسن السلامي في قوله فكانما وصف حاله ومدح
اثاره وافعاله ∴ يا سيف دين الله ما ارضى العلى ∴ لو ان سيفك مثل عدلك
يعدل ∴ ما ان سننت لهم سنانا في الوغى ∴ الا اطل عليه منهم ابطل ∴ و
الروض من زبد النحور مضرج ∴ والماء من ماء الترائب اشكل ∴ والجو ثوب بالنسور
مطرز ∴ والارض فرش بالجياد مخمل ∴ يهفو العقاب على العقاب ويلتقي ∴ بين
الفوارس اجدل ومجدل ∴ وسطور خيلك انما الفاتها ∴ سمر تنقط بالدماء وتشكل ∴

وامتدح عند ذلك السلطان يمين الدولة وامين الملة ابو القاسم الحسين بن علي
المستوفي بقصيدة اولها ∴ ظهر الحق ثابت الاركان ∴ صاعد النجم عالي البنيان ∴ ماء
الذي غركم بجود المحمود انجاه بكل لسان ∴ بابي القاسم المعظم ظل الله ∴ في الارض
صفوة المنان ∴ من مناويه نهزة للمنايا ∴ غرض للحتوف والاحزان ∴ ملك وهو في
الحقيقة عندي ∴ ملك صيغ صيغة الانسان ∴ اخذ الهند باليماني ويحوي بمثان
آراد بالهندوان ∴ سيفه والمنون طرفا رهان ∴ نحو خلق العدو يبتدران ∴ خذ
يمني بان سيخضع حقا ∴ لليميني كل سيف يماني ∴ لو عصا خرع نثني اليمنية ∴
ظلت بجيلي في سندان ∴ غاب عن غاية الهزبر لغزو الهند منتزلا رضى الرحمن ∴
فسبى واستباح واجتاح منهم ∴ وانحل النكال بالاوثان ∴ وانثنى قافلا وقد ملاء ∴
الايدي غناء وفاز بالرضوان ∴ فطا باسه بطاغية الترك ∴ واهل الشقاق والعصيان

طلعت راياتهم فتولوا كعباديد ثلة من ضان ✽ كم قتيل وكم جريح وغرقى ✽ واسير في
القد ذي رسفان ✽ خطبوا الملك فاعترتهم خطوب ✽ جرعتهم مرارة الخطبان ✽
بخوارزم في الشجون الوف ✽ والوف تهم في جرجان ✽ وصروف في القفار الى جيحون ✽
فتلى ماكل الحيتان ✽ جزر للسباع في كل فج ✽ طعم للنسور والعقبان ✽
بارك الله ربنا في خميس ✽ ردعنا حسين الفرعان ✽ وكتب ابو الفضل الهمدانی
البديع الى الشيخ الوزير ابي العباس هذا ورب الكعبة اخو ملك في الجبنة لقد انصف
من ولى الفارة ونجاء السيف ما قال ابن داره ثم لا ارزق بعد هنا للترك
لا تخلم بعد هابالملك لقد كان السلطان اذ عفر الله شعره وعرض على الله ففره
وفوض الى الله امره ولخلص لله نذره وناهض بالله خصمه وسال الله حوله وله
بعجبه كثرة الملا حوله شد الله سبقك ازره وقوى اسره واعز نصره واقطعه
عصره واطعمه ملكه واورثه ارضه ان الظفر باسبابه والموفق بالامر من بابه
وله فصل منه ان الجلاد ثم البلاد ما لكم لا يحطمنكم سليمان كتب الله لا غلبن
السلطان ورسلى ان السيف امامك غلفك ان الموت قدامك وارضك
ان نامت نومه ليس فيها حلم ان المغار صادر من مخازى الادب ركض نادم ودرب
شوط ظالم ودرب عبور الى ثبور ودرب طمع الكد الى الطبع الا ان هذا الفتح فتح خط
على الشريعة ما هدا على السنة ذماؤها وعلى النفوس دماؤها وعلى الاموال نماؤها
وعلى الحرم غطاؤها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وانشاء الناس نشا جديدا

وعقد الملك عقدا طريقا فما اولى يومه ان يتخذ عيدا او يجعل في
المنصرفات تاريخا جديدا وليس العقد مع الله بانشوطة فاوفوا الله بعهدكم كما
صدقكم وعده وانما عهده عند السلطان ان يحسن النظر وعهده عند الشيخ الجليل
ان يحسن المحضر وهذه من البلاد شيعه هذه الدولة وعيبتها وان حط عن حملها
العلاوة وازيل عن عبرتها الاثارة فلله هذا النظر ما احلى ثمارن واكرم اثاره ولما
وضعت هذه الحرب اوزارها وافاضت غرة النصر انوارها سنح للسلطان ان يكبح
اعنته الى جانب الهند للايقاع بالمعروف بنواسه شاه احد اولاد ملوك الهند كان ينصبه
ببعض ما افتتحه من ممالكهم لخلافته على سد ثغورها وتحصين اطرافها وحدودها اذ
كان قد استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافرة الشرك وانسلخ عن جلدة الاسلام وذاع
زعماء الكفار على خلع ربقة الدين والانفصام عن عروة الحبل المتين فعن له ان يركض
من فوره اليه وصبت سيوفا تقطر من دماء مخالفيه عليه ركضا بادر افواج الرياح
اختصر اوقات الاظلام والاصباح حتى نفاه عن مثواه وملك عليه جملة ما حواه
واعاد الى تلك البقاع بهجة ملكه وسلطانه وحصد نجوم الشرك عنها بحدي سيفه
وسنانه فذلك برهانان من ربك في اعلاء دولته واشاعة دعوته واعزاز نصرته
وافلاج حجته وتيسر الله له الانقلاب الى غزنة مظاهرا له بين نصرين متجاذبين فخامة
وجلالة ويتباريان نباهة وجزالة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم فتح ناعسهم نعرا قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد ان فتح الفتحين وافلح

عزيمته لغزوة اخرى يرتفع بها حدود الاصنام وتنتكس عندها رايات الشيطان
في نحل للغواية شتى وحبل للضلالة متين اذ كان بعد همته يوما خلاف الطباع
البشرية في استخشان المضجع الوثير واستحباب النزول على الوتير ولحاظ وقع الاسنة
والعوالي على نقر المثالث والمثاني وترجيح جنود البيض القواضب على خدود البيض
الكواعب كل ذلك لمجد يثنيه وصيت يقنيه وعز يحويه وسعي يقربه الى الله به
وفيه حتى اذا انسلخ شهر ربيع الاخر من السنة المذكورة استخار الله في اتمام ما نواه
واستدرج ما تولى الجاهد وسار متوكلا على الله الذي طالما اطعمه نصره وعرفه صنعه
حتى اذا انتهى السير به الى شط وهند لاقاه ابرهمن بال بن انندبال في جيوش تجيش
بسود الرجال في بيض الصفاح وزرق النصال وسمر الرماح وزهر الدروع ودكن
الفيول واقترنت الحرب عن ابنائها العصل ونواتك الحملات كانها دوي لوامع الشهب وتوابع
نوازع النشب ودارت رحى الطعان والضراب طاحنة كل ندب شجاع وكل قرم مطاع
وامتدت الوقعة من طفولة النهار الى كهولة الطفل حتى اكتست الارض لون الشقائق
من دماء الطلى والعواتق وكادت تدور للكفار دائرة لولا ان الله ثم اعان سلطانه
على حملة في خواص غلمانه كشفت ادبارهم ومحت عن ساقهم اثارهم فاتبعهم تلبين فلا
كالتخاص القصور بل كامواج البحور واقبل اولياؤه يحثونهم انى يتقفوهم من بطون
الاودية والشعاب وظهور الفيافي والهضاب واتفق السلطان بنفسه اثره بين تلك الوهاد
منتجزا وعد الله في نصرة دينه وقتل كل ذي نفاق وشقاق لجبينه فافضى به الطلب

واعيان اهلها يدخرونها بخزانة الصنم الاعظم فينقلون اليها قرنا بعد قرن من انواع
الذخائر واعلاق الجواهر ما يخف اوزانه ويثقل عند السوم قيمته واثمانه عبادة بزعمهم
لما يفيد بهم الحسنى ويقربهم الى الله زلفى فصادف السلطان منها ثمرة الغراب وزبدة
الاحقاب ما لا تنقله ظهور الاجمال ولا تسعه اوعية الاحمال ولا ينحه ايدي الكتاب
ولا يدركه فكر الحساب فخيم عليها بجنوده وضرب حوالها بنوده وابتدى لقتال حفظتها
بقلب جري وانف حمي وعزم زكي وبطش قوي ورأي بالقضاء دري ولما رأى القوم
غصص تلك الجبال بمغاوير الجنود وتطاير النبال صعدا كشرر الوقود استشعرهم
الرعب والوجل والوى باحلامهم الخوف والوهل فخيلت لهم ابصارهم تلك الربوف
فتوقا وهابات السدود فروجا والتكور ثبوتا وسخرهم دولة السلطان فهرتهم
كلاب الادبار والخذلان واعتبهم رجوع الامن للامن جانب الاستيمان فنادوا
جميعا شعار السلطان وفتحوا ابواب القلعة وجعلوا يتساقطون الى الارض الامان
كالعصافير احرجتها البواشق والغيوث جادتها الغيوم البوارق وفتح الله تلك القلعة
على السلطان فتحا يسيرا واتاه من لدنه صنعا كبيرا واغنمه ملاء منفرج النفوس من
المعادن والبحور وذخائر القيم والنحور ودخلها في ذوي الحجاب ابي نصر احمد بن محمد
الفريغوني وسائر خاصته وكل حاجبه الكبير التونتاش وواسع تكين بخزائن العين
والورق وسائر ذوات الاخطار والقيم وتوكل بنفسه بخزانة للجوهر فنقل منها
ظهور جماله واستعمل بآثارها اعيان رجاله وكل مبلغ المنقول من الورق سبعين الف

ومن الذهبيات والفضيات سبعماة الف الف واربعماة الف وزنا ومن صنوف
الثياب التسترية والديابيج الرومية ما انطوت عنه الزمان والطاعنين في الاسنان
لا عهد لهم بامثالها صنعة وتفويفا وتوزيفا وتلطيفا وفي جملة الموجود بيت من الفضة
البيضاء كابيوتات الاغنياء طوله ثلثون ذراعا في عرض خمسة عشر ذراعا صفائح
مهياة للطي والنشر والنصب والحط وشراع من ديباج الروم اربعون ذراعا في عرض
عشرين ذراعا بقائمتين من ذهب واخريين من سبيكة فضة فوكل السلطان بتلك
القلعة من ثقاته من يراعيها ويودي امانة الاستحفاظ فيها وكر عائدا الى غزنة في
ضمان النصر والاظهار وقران اليمن والايثار ولما مست عصاه جانب القرار بها
امر بساحة داره ففرشت بتلك الجواهر فبدت كالنجوم الثواقب قد طلعت على ايدي
الثوائب كالجمر قبل الخمود والجمر بعد الجمود ومن زبرجد كاطراف الآس نضارة وورق
الاقحوان غضارة ومن قطاع الماس كمثاقيل الرمان في المقادير والاوزان واجتمعت
وفود الاطراف على ادراك ما لم يرو في كتب الاولين اجتماع مثله لاحد من صناديد
الفرس وملوك العجم والروم وحضر ذلك المشهد رسل طغانخان ملك الترك اخي ايلك فراوا
ما لم تره العيون ولم يبلغه الظنون ولم يملكه قارون صنع الله الذي امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون **ذكر آل فريغون** قد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون ايام
السامانية يتوارثها كابر عن كابر ويوصي بها اول الى آخر لشرف النفوس والهمم وكرم الاخلاق
والشيم ووطاء الاكناف ونزاع الاطراف خصائب الرجال ووفود الآمال ذاتهم لجلال القدر

الآداب ورفع درجات الكتاب وافتراض حقوق الاحرار واغلاء اسعار الاشعار وكم
من غريب ساواه لجانهم ومن اديب اغناه سلطانهم ومن كسير جبره انضافهم ومن حسير
انهضه عطفهم والطافهم وكان ابو الحارث احمد بن محمد غرة تلك الدولة وانسان
وجمال تلك الحلية وطراز تلك الحلة بما اوتي من كرم خصيب وكنف رحيب وشرف
رعيب ومرتقى همة بعيد ومستقى نائل قريب وقد كان الامير سبكتكين خطب ابنته
كريمة على السلطان يمين الدولة ثم اوجب لولده ابي نصر محمد بن احمد كريمة له فانتجت
اللحمة واشتبكت العصمة والتحمت الوثائق واستحكمت الاذمة والعلائق فلما قضى ابو الحارث
لسبيله وورثه ابو نصر ابنه فاوجب السلطان اقراره على ولايته ايثارا له بفضل رعايته
وعنايته الى ان قضى نحبه في شهور سنة احدى واربعماة واقرأني ابو الفضل احمد بن
الحسين البديع الهمذاني كتابا له اليه جعله مقدمة الوفود عليه فقال بعد من رغائب الاياد
من رغائب الايادي ما ملأ يديه كتابي والبحر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان
لم القه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم اكن لقيته فقد لقيني حسن من ذكره
من السيف اثره فقد اذاني اكثره وما زلت ابدا لله الامير اسمع بهذا البيت القديم بناؤه
الفسيح فناؤه الرحيب اناؤه الكريم ابناؤه وانشد من هذه الحضرة ضالتي والعواتي
بمندوحة نزهتي حسرة وان من العشور بفعله وبشورده كم من عام عزمت وابت القياد
ونوبت وعرضت المقادير والآن لما وقفت لهذه الزورة لختلفت على اخبار الملك
العادل في مستقره واختلفت باختلافها مرة في قوس الطريق ومرة في وتره على الفقهاء

اثره حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس الي الشيطان بعد تمرّد دائي اقصد هذه الحضرة
طامعا في مال او طامحا الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني عن درك
الحظ من طلعته ولم ابعد من القياس في خلدي ان يكون ولا تكذب الله الظنون ان يتصرف
في قصدها لا الى معرفة او قبضها او خدمة او دعها او مدحة اسمعها ورجعة اسرعها
ثم ادخر هذه الدولة لمملكة اغصبها او وزارة انصبها او كتيبة اغلبها او دولة اقلبها
فاما الدرهم والدينار فدعهما الى ونزعهما من يدي سواء لدي لا اشكرهما
ولا اشكو سالبهما ان لي في القناعة وفرا وفي الصناعة نجحا لا يبعد منال المال اذا
اردته ولا يحوجني الى ركوب العقاب وسلوك الشعاب فما قصدته بل يجيئني فضله
ويتطفل على ابصه وهذه الحضرة وان احتاج اليها المامون ولم يستغن عنها قارون
فان الاجمل لي ان اقصدها قصد مؤمل لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال الحج
الرجوع عنها بمال تقدمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير لضيف
خفيف مضاه دغيف فليرحل له بالاستقبال طائر الاقبال واللام وله فيه
ما اصدر عن قتانه مستقلا ببيانه * المرء اتى في سفره * لقيت الغنى والمنى والا
فلما رايت الترى تراب * وكبار لا اثم الغبرا * لقيت امرا ملاء عين الزمان
يعلوا انجابا وبرسوا ثبيرا * لا لا فرنون في المكرمات * يدا ولا واعتذرا حيا
فلا تعدم الملك ذا روعة * تمني المني ونثرا الكبرا * اذا ما حللت بمغناهم
رايت نعيما وملكا كبيرا * ولاح الفتح النبي فيهم * سوف يعرفون توم في وجوههم *

بيها المسك وسناء النور دلالها * كانما خلقوا من سودد وعلى * وسائر الناس من طين
وصلصال * من تلق منهم تقل هذا اجلهم * قدرا واسخاهم بالنفس والمال * يا
سائلي ما الذي حصلت عندهم * دع السؤال وقم فانظر الى حالي * الا ترى ان حالي
كيف قد حليت * بهم المرجا عند ترحالي * فان اكن ساكتا عن شكر انعمهم * فان ذاك
لعجزي لا لاغفال ذكر امير المؤمنين القادر بالله وانتصابه منصب ابائه الى ان
استقر الامامة عليه بما اشتبك من الحال بين السلطان وبين بهاء الدولة وضياء الملة ابي نصر بن عضد
الدولة فناخسرو قد كان بهاء الدولة وضياء الملة نقم من الطائع لله امورا استبد بها
عن غيره وفاته وعدوله بها عن حكم استحقاقه فدعاه ما اتى اليه من خلاف رضاه
الى مراعاة مصلحة الدين والملك باختيار من يرعى حق الامامة ويتولى حياطة الخاصة
والعامة ويعزل هو النفس في اتباع الحق واستشعاره ونصرة الدين واظهاره وحماية
الملك من اقطاره وجعل يتلطف في التدبير عليه الى ان تمكن منه فخلعه واحتوى عليه
وعلى ما كان جمعه وذلك في شعبان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وارسل الى البطائح
وبها القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله فاستقدمه دار السلام
لعقد البيعة سدا للثلمة ونظرا للامة وارتياحا للالفة واجتلابا لصالح الجملة فعقدها
في شهر رمضان من هذه السنة وتنادى الناس الى بيعته واصفقوا على طاعته وتراضوا
عن طيب النفوس بامامته وتناهوا لشكر ما اتاحه لهم من بركات خلافته ثقة بما اشتهر
في الافاق من مناقبه الغر وضرائبه الزهر وفضائله المنطوية على صفحات الدهر فلم يبا

فلله الله من طوقِ الامانة مفوضًا اليه امره ومتوكلا عليه وحده فلم يرَ في مفرق
من سرير الخلافة اوفر منه حصاةً واوفر اناةً واصلب عصاةً واصدق تقاةً وارضى سيرةً
واذكى بصرًا وبصيرةً وازكى علنًا وسريرةً واتمّ جلالةً واعمّ سياسةً وحراسةً نعم ولا
اقوى منه جنانًا واندى بنانًا واجرى لسانًا واعدل عقابًا واحسانًا وعطفة عاطفة القرابة
على الطائع لله فاستخصه لمنادمته واجتباه لمصاحبته والخرجاج رعايته وحمايته نقابًا
من غضاضة تلحقه في زمانه او نكبة ترهقه في ظلّ سلطانه وجانب امانته الى ان فرّق بينهما
الدهر المولع بالتفريق واخذ الرفيق عن الرفيق فرثاه ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى
العلوي الموسوي بقصيدة منها ❊ ان كان ذاك الطود خرّ فبعد ما استعلى طويلا ❊ مرفوعًا
على القلل الذواهب في العلى عرضًا وطولا ❊ قرم يبلد لحظة قرى القروم له مثولا ❊
كالليث الا انه اتخذ العلى والعزّ غيلا ❊ وعلا على الاقران لا مثلا يعدّ ولا عديلا ❊
من معشر ركبوا العلى وابو اعز الكرم النزولا ❊ غرّ اذا انتسبوا لنا الغرّ واللوامع والحجولا ❊
كرموا فروعًا بعدما طابوا وقد عجموا الاصولا ❊ نسب غدا وواده يستنجبون له الفحولا ❊
يا ناصر الدين الذي رجع الزمان به كليلا ❊ يا صارم المجد الذي ملئت مضاربه
فلولا ❊ يا كوكب الاحسان اعجلك الدجى عنا افولا ❊ يا غارب النعم العظام غدوت
معولًا جزيلا لهفي على ماض قضى لا نرى منه بديلا ❊ ودوى العلاء لم نكن يومًا
نقدّر ان يزولا ❊ ومنازل سطر الزمان على معالمها الحؤولا ❊ من بعد ما كانت
على الايام مرباةً نلولا ❊ والاسد تركز القنا فيها وترتبط الخيولا ❊ من يبلغ المتن

العظام ويصطفي الحمد الجزيلا ❊ من ينتج الامال يوم تعود بالليان حولا ❊ من يوتي
التمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا ❊ وتراه يمنع دونها وادي النوائب ان يسيلا ❊
عقاد الوية الملوك على العلى جيلا فجيلا ❊ وامثال خطباء العراق وشعراؤها كاعراف
الجياد على مجالس الخلافة في امتداح القادر بالله امير المؤمنين وذكر مآثر ابائه ومفاخر
اسلافه مرابع الكرم ينابيع الحكم مصابيح الظلم مجاديح الامم وليوث البهم غيوث القحم
وبلغني ان مقاماتهم مدونة بالعراق من بين منظوم ومنثور وفقر وشذور فلا حاجة
بنا الى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها ❊ وحكى لي ابو محمد عبد السلام ابن محمد
احد اعيان الكرامية بنيسابور قال قمت في مجلس القادر بالله امير المؤمنين خطيبا
بحضرة بني هاشم ومشايخ بغداد واعيان الحجيج فقلت الحمد لله ذي العزة القاهرة والحجة
الباهرة والنعم المتظاهرة الذي عمّ احسانه ودام سلطانه ولطف شانه فلا رادّ لقضائه
ولا مانع لعطائه ولا معقب لحكمه ابتعث محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم من خير ارومة
العرب مولدًا وافضل جراثيمها محتدًا واطولها نجادًا وارسخها في المكرمات اوتادًا
فايّده احسن تاييد واكدّ امره افضل تاكيد حتى استقلّ الدين ناهضًا واضمحل الشرك
داحضًا وظهر امر الله والمشركون كارهون فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصى
وما طلعت عليه شمس الضحى وعلى آله الطيبين ثم قيّض الله من بعده للخلفاء الراشدين
لتمهيد الدين وتوهين كيد الملحدين وتوكيد اليقين بسطوة الاسلام باطره وهجرًا
الا فاقه صراطه الى ان تادى الامر الى ذوبه من رسول الله عليهم السلم وبني صنوابيه

فاقاموا الاسلام عن اولاده واسندوا الامر الى مُسَّند معتصمين بنصر الله
صادعين بامر الله معظمين لحرمات الله وهلم جرا الى ان تاكدت بيعة الخلافة
بامير المؤمنين القادر بالله فبهر نوره العالمين وشفع ذكره على المنابر صدور الخلفين
من بعد التوا من اظهر العناد وانزوا من قصد الفساد وابى الله الا نصرة الدين
واذالة وقمع الباطل وازالته ولقد حدثني محمد بن الفضل الجلوانى قال حدثني
الصولى عن المبرد ان العباس بن حمدون حدثه ان سعيد الخطيب قال لما بايع الفضل
ابن مروان المعتصم بالله امير المؤمنين قام فى الناس فقال ؛ بايعت منبسطا ولو
لم تنبسط كفى لبيعته قطعت بنانها ؛ من ذا اليه لا يمد يمينه قطع الاله يمينه
فابانها ؛ ولوالدى فى خدمة امير المؤمنين ما يقارب هذا او يشاكله وذلك انه
اظهر بيعته لوارد كتابه على حين التوا من التوى بناحية بلخ وقال فيها ؛ سبقت يمينى
نحو بيعته قادر ؛ بالله لما الفتنة بدت القدر ؛ ما ضر بيعته التوا من التوى ؛ والله
مبرمها بمكنون الزبر ؛ ولقد اراه احق من وطى الحصا ؛ بوراثة الشم البهاليل الغرر ؛ فلا خلعن القلب منى ان ابى ؛ ولا قلعن العين ان زاغ البصر ؛ وها
انا قد نشات على توفيق الله حتى وطيت بنا امير المؤمنين شاكرا ما انعم الله علينا بولى امير
المؤمنين محمود ابن سبكتكين فانه فى دعمه كاسمه والله تعالى ان يديم سلامة امير المؤمنين
ويلحقه ببغداد ابائه الراشدين واسلافه الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد واله اجمعين ولما ارجف منابر خراسان بذكر القادر بالله

امير المؤمنين على ما اوجبته طاعة السلطان يمين الدولة وامين الملة لامر الله
فى اقتفاء محجته واقتفاء خليفته ومحبته كاتبه بما اراه من الافضاء الى ابنه ابى الفضل
بعهده فى ولاية امور المسلمين من بعده وتلقيبه بالغالب بالله ورسم توفيته واجب
حقه والحاق ذكره على المنابر باسمه وطبع النقود على ذكر تلقيبه فاوجب السلطان
يمين الدولة وامين الملة مطاوعته فيما امر ومتابعته فى جميع ما رسم فقارن ذكرهما
فى الخطب وتوافق اسماهما على صفحات الفضة والذهب وسنعود الى ذكرهما ان شاء الله
وضياء الملة من لدن استاثر الله بعضد الدولة وتاج الملة ابى شجاع فنا خسرو الى ان
انتهى الامر اليه واستقر الملك عليه وفيما نطق به كتاب الصابى المعروف بالتاجى
من وقايع عضد الدولة مع بختيار الى ان ظفره الله به فقضى عليه بحد حسامه
وجرعه كاس حمامه واحتياله على ابى تغلب ناصر بعد انهزامه الى ان مكنه التدبير
عليه بابن الجراح احد المتغلبين من الاعراب على حدود الشام فقبضه لاقتناصه
بمناره اهداها اليه واطاع اكدها له حتى تعقله وقتله وحمل اليه على ورثه ما يغنى عن
تجديد ذكره ولما قضى عضد الدولة لسبيله وذلك فى شهر رمضان سنه اثنين
وسبعين وثلثمائة عند اشتغال اخيه مؤيد الدولة بويه بجاربة حسام الدولة ابى العباس
تاش وعبده فائق فى عساكر خراسان اجتمع ابناء دولته على ابنه صمصام الدولة و
الملة فبايعوه متوازرين وتوافقوا على طاعته متظاهرين واتاه الطايع لله امير المؤمنين
فى حراقته على ظهر دجلة يعزيه عن ابيه فلما ر عوام الناس نظاره له حتى اذا قرب منه برز اليه

صمصام الدولة فجثم وجهه رسم الطاعة وحق للخلافة وقال له الطائع لله نضر الله
وجه الماضي وجعلك الخلف الباقي وصبّر العزيمة بعدك لك والخلف عليك لأمثلك
فأذرى على خدّيه دموع عينيه وبادر الى الصعيد شكر الناس به عليه ثم انتصب
ابنه واجرى الامور على استقامة وتدبّرها بسياسة عامة وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس
شيرذيل ابن عضد الدولة غائبا الى مدينة واشهر من ارض كرمان فلما بلغه نعي ابيه
كرّ راجعا الى فارس وقبض بها على نصر ابن هارون النصراني وزير ابيه فاستوفى عليه
حواصل امواله وبقايا اعماله واستدّ منها الى الاهواز فملكها على اخيه ابي الحسين احمد ابن
عضد الدولة وغلب على البصرة معها وذلك في رجب سنة خمس وسبعين وثلثمائة ثم استقل
لقصد بغداد طلبا للمكان ابيه واستضافة لما كان في يد اخيه الى سائر ما يليه وسار حتى
اذا داناها تلقاه صمصام الدولة بما اوجبه حق سنّه عليه اجلالا لأمره ومهابة ومداراة و
مقاربة نفاديا من ضرر استيحاشه وعدوى منافرته غير عالم بان غمدا فردا لا يتسع سيفين
ودستا واحدا لا يضم سهمين فقبض عليه ابو الفوارس ورفع محله ثم خلعه وكحله وامر به
الى قلعة كوستان من ارض عمان واستولى على المملكة ولقبه الطائع لله شرف الدولة
وزين الملة وبقي على جملته سنتين ونحبه حكم الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين و
وقام شهنشاه بهاء الدولة وضياء الملة ابو نصر خره فيروز بن عضد الدولة مقامه
وتجرد لضبط الامور التي بقيت مختلة في الحال الحائلة وكفل بالملك كفالة الخبير بالتجارب
بصير باعقاب العواقب وتمالأ الاتراك الشيفادية على صمصام الدولة فاخرجوه من معتقله

وحمله غلامه المعروف بغادة على عاتقه منحدرا به فملك فارس وما والاها وتتبع
اموالها فجباها ثم تنكر واله من بعد وقدموا ابا علي ابن ابي الفوارس وعقدوا له
الرياسة عليهم ولقبوه بشمس الدولة وفر الملة وتجردوا للدفاع عنه والدعاء اليه فاتبد
لموافقتهم الى ان هزمهم افحج هزيمة وغنمهم ابرد غنيمة الى بغداد صاغرين خاسرين
تحرك بهاء الدولة وضياء الملة لقتال صمصام فتناوشا الحرب وصالا كعوب الرماح
ما بين المساء والصباح حتى خربت البصرة وغلا اهلها في الخراب اكثر كور الاهواز وقد كان
بختيار مجتمعين في حصار بناحية فارس فاستنزلهم طائفة من الاكراد الخسروية عن معقلهم
موججين نار الفتنة باستنزالهم وفك عقالهم فناصبهم الحرب مستكفا شرهم ومستدفعا
باسهم وضرهم فاختلفت بهم الوقائع بين تلك الفتن الثائرة والاحن الفائرة فكان
ان انجلت عنه قتيلا وتدبرها آ الدولة للحادثة بعلمه فارسل الجناة جانلته حتى شردهم
كل مشرد وطردهم كل مطرد والجأ اولاد بختيار الى الجلاء عن تلك الناحية وزعيمهم
سالار ابن بختيار الملقب بنور الدولة وكان من امره انه نشد عنها مدحورا مبثورا
فاضطرته الحال الى خفارة التجار في تجارتهم ولجاؤه بهم على مراصد القطع بضيلعائهم
على خرج يستعين به من جهتهم على مؤن معاشه ورياشه واتبعها بهاء الدولة بجيش
واغروه فغلبوه ووصلوا اليه فقتلوه وحمل غلام منهم رأسه الى بهاء الدولة فامتعض للرحم
الدانية واللحمة الحانية من تبجحه على ملائه به فامر بالغلام فسلخ جلده من قرنه الى
قدمه عبرة لمن اقدم على ملك يسفك دمه وبعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب الى بغداد

تلك الاعمال واستيفاء حقوق بيت المال فاستدّت سيرته وحسنت في العدل بصيرته
وعمّ رفقه حجيج بيت الله الحرام بالمنائح العظام فانطلقت بشكره ألسنة الخاص والعام الى
ان قبضه الله فقام مكانه بوزير الوزراء زيادة في النظر للرعية فاربى على عميد الجيوش في
الاحسان الى الكافة اصلاحا لهم ورفقا بهم وطرحا عنهم وصفت نواحي فارس وكرمان
لبهاء الدولة مضافة الى سائر اعماله ووقعت الفتن القائمة عن سوقها في زمانه فعمّ الامن
والسكون وشمل الرفق والهدوء واستراح عباد الله مما كان يفدحهم من وطأة
الجيوش ويلحقهم من معرّة اختلاف السيوف وقد كان ابو علي ابن الياس قد تملّك كرمان
ايام عضد الدولة لآل سامان واقام بها مدة من الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا
يدافعه عنها مدافع وكان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقا من معرّة اللوثة
ذا لها في رأيه واضطراب يبين في وجوه شمائله وانحائه ولهي عنه مدة من الزمان ملازما
وهو مكابد بينها ضرا او بؤسا (?) فاتفق ان اشرف سرب من نساء ابيه وجواريه عليه
فرثين لضيق مكانه ودبّرن في وجه خلاصه وعمدن الى خمرهن فوصلن بعضها ببعض وخلصنه
بها عن معتقله وتسامع اهل العسكر بخلاصه وانحلال عقاله فتجمعوا عليه وانقطعوا
بجملتهم اليه مما لاقاه (?) على ابيه بجفوات نقموها منه وبلغ ابا علي خبر الحادثة فارسل الى
ذوي التحزب والتألب باحتشاد (?) غاهم (?) لابنه فاظهروا النفخ مكانه والتبرم بطول زمانه
وساموه مفارقة كرمان ليستقر الامر على ابنه اليسع بطاعتهم له وتوخيهم موافقة غرضه (?)
ابو علي قولهم بجنب المداراة والاجمال في عاجل الحال ثم جمع ما قدر عليه من صنوف الاموال

وكرّ عائدا الى بخارا مخليا بين اليسع وبين تلك الكور لابنه واقام ثقتيه بشر بن المهدي وترمش الحاجب
على خدمة اليسع وكفالة امره اذ كانت حداثته تقتضي استخلاف مثلهما في دمائهما (?) وقوة
دأبهما على حضانة اموره وتبصيره الرشد في وجوه تدبيره ولما وصل ابو علي الى بخارا بولغ
في تعهده واكرام مورده واحلاله من الايثار والاكبار محل مثله الى ان توفي بها في سنة
ست وخمسين وثلثمائة واما اليسع فانه ولي كرمان وحمى اطرافها وجبى اموالها وكان
اخوه سليمان مقيما بجرجان فالبّ عليها (?) واغراه بشر بن مهدي واشار عليه بمعاجلته قبل
انتظام شمله واستمرار حبله فكتب اليه يستدعيه لمهم لا يستغني عن مفاوضته فيه فامتنع
عن الاجابة بعلل اخترعها ومعاذير تمحلها وضاق اليسع به ذرعا ولم يجد من مناجزته
بدّا فنهض اليه محاربا لاخيه فهزمه وغنم ماله فوقع سليمان الى بخارا واطمع اليسع
نزق شبابه في مغالبة عضد الدولة ابي شجاع على بعض حدود عمله فكان مثله مثل
العير طلب قرنين فضيع اذنين وذلك انه لما بلغ مفرق الحدين بين كرمان وفارس اتاه
صاحب طليعته بطائفة من المستأمنة عن عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم وصبّ الحلم عليهم
ثم هرب نفر منهم راجعين وراءهم وظن ان وراء استيمانهم حيلة او غيلة فاوسعهم
تنكيلا وعمّهم بالعقاب قطعا وتمثيلا واستأمن عنه الى عضد الدولة جملة من رجاله
فحملهم وحباهم ووصلهم ومنّاهم فلما رأى اصحابه تباعد ما بين الامرين انثالوا عليه (?)
له وتخربوا عنه وانسلّ من جملتهم صفقة واحدة الف رجل من وجوه الديلم الى معسكر
الدولة وهو بناحية اصطخر ووقف الفريقان بين الآخرين فجعلوا يتسللون لواذا او يتفوّتون

جميعاً واشتاتاً حتى انفض عنه عامة اهل عسكره وبقي في خاصته غلمانه وحشمه
فاضطر الى معاودة الثغر واسرع منهزماً بماله وبما خف عليه حمله من اثقاله وامواله
نحو بخارا لا يلوي على احد دون الاغذاذ في السير وطي بساط الارض بحوافر الخيل فلما
اتصل خبره بعضد الدولة بادر على اثره الى واشهر فملكها واستصفى اموال الياس بها
ثم استخلف عليها كورتكين بن جستان ورجع عنها الى فارس ولما ورد اليسع ناحية جوين
من حدود قهستان خلف اثقاله وغلمانه بها وركب الجمازات نحو بخارا للاستنجاد و
طلب الامداد فلما وافاها قرب محله ورعى لحقه واستحضر مجالس الانس تخصيصاً
بمزية الاكرام والاثرة فلما قدر عليه سلطان الراح لم يتمالك ان قال مستبطئاً للوعد في
تعود الهمم بآل سامان عن اغاثة اللاجين اليها والراجين لها لطلبت غير هذه الحضرة
ملاذاً ومعتصراً فخشن هذا المقال منه وامر بنفيه الى خوارزم وبلغ اباعلي ابن سيمجور
خاله ومقاله فبعث الجويني بمن قبض على امواله وغلمانه فنقلهم واباها غنيمة
خالصة عن ايدي الاعراض والاشراك واصاب اليسع بخوارزم رمد اقلقه واكمد
واستنفد وسعه وجلده وحمله الضجر بالالم على ان فقأ عينه الرمدة بيده فسالت
على خده وكان ذلك سبب هلاكه وحينه ولم تبطر من اعقاب الالياسية بعده ذو كرمان
بعده الحد وازداد باع عضد الدولة طولاً وعزه ارتفاعاً وشمولاً الى ان ورثها
الدولة وضياء الملة فاجرى امورها بمجاريها الموروثة في حفظ الاطراف وبسط
العدل والانصاف ولما ملك السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان وافتتح سجستان وحصل

وحصل بين ولايته وبين تلك الديار فنار الجوار فاتحف بهاء الدولة وضياء الملة بكتبه
خاطباً كريمة وده على صداق قلبه المعمور بموالاته المقصور على تطلب مرضاته
ووصل ذلك بهدايا مبار لائقة برحب صدره وعلو همته وقدره فاجابه السلطان
يمين الدولة وامين الملة الى ما خطبه واوجب له مثل ما اوجبه واتحفه بما زهر الوداد
واكد الاتحاد وقضى حق المكافاة وزاد وتشوفت الحال بينهما الى زيادة عصمة تجمع
بها البيوت والكرائم وتتلاحم بها الاقارب والاباعد فشغر مشايخ الدولتين في تسدية
اللحمة وتوشيج اسباب القربة الى ان اتاح الله ذلك ما علم القاصي والداني فابدت
شمل الحاضر والبادي والطارف والتالد بعقده وعائدته ذكر غزوة بهاطية وتبعاً السلطان
يمين الدولة وامين الملة في سنة اربع وتسعين لغزوة في ديار الهند تبكي بها فرخ تكا
فيها تقرباً الى الله واحتساباً للمثوبة من عند الله فنهض نحوها يجتاب الحيول ويخترق
الحزون والسهول الى ان توسط ديار الهند فاستباحها واذل لقاحها ونكس اصنامها
وعرض على السيوف اغتامها وسار على هيئته نحو مفصل واوقع بعظيم العلوج وقعة
افاء الله بها عليه امواله واغنم خيوله وافياله وحكم فيها سيوفه وأسنته يحوتهم بين
كل سهل ونجد ويجزرونهم عند كل مهبط ومصعد ورده بهم الى غزنة فيما حواه
من تلك الغنائم الموفورة سالماً غانماً ظافراً ظاهراً ولما راى ملك الهند ما صب الله
عليه وعلى مملكته من سوط العذاب بوقائع السلطان يمين الدولة وامين الملة وتكاياته
في اقاصيهم وادانيهم وايقن انه لا قبل لهم بثقل وطاته وخشونة جانبه ارسل اليه اعيان

وقرابينه ضارعا اليه في هدنة يقف فيها عند امره ويتمحض له بماله ووفره ويجرد
اوقات دعائه لنصره على ان يقود اليه بادى الامر خمسين فيلا يعد لحادها باضعافها
ثقل اجسام وخفة اقدام ويحمل معها ما لا عظيم الخطر كبير القدر بما يضاهيه من مبار
تلك الديار ومتاع تلك البقاع وعلى ان يناوب كل عام بين الفى عسكره في خدمة بابه
بالفى رجل بادين وعائدين الى اياوه معلومة يلتزمها كل سنة سنة يتمسك بها
من يرث مكانه ويقوم في كفالة الملك مقامه فاوجب السلطان اجابته الى ملتمسه
لعز الاسلام ببذل طاعته واعطائه الجزية عن يد صاغرا وبعث اليه من طالبه
بتصحيح المال وقود الافيال فتقبل ما وعد وقدم الوفاء بما شرط وبعث من حضرته
الى بابه من خواص رجاله على جملة الخدمة واقامة رسم الطاعة فانعقدت تلك الهدنة
ودرت تلك الاتاوة وتتابعت القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند في ضمان امانه
وجوار الحيطة والاحسان ذكر فتح الغور اتفق للسلطان يمين الدولة وامين الملة فكر في
جبال الغور وتمرد اهلها وتمنعهم على عطلهم عن حلية الدين وسمة الاسلام وحصولهم
في المقلة من عين جوزنه والمركز من دائرة مملكته وتاذى المارة والسابلة بعيث صادهم
وعيث قطعهم وافسادهم لاستطالتهم بمناعة جبالهم النواهق ومجال مسالكهم المتضايقة
فانف للدولة القاهرة من ان يخليها على غلوائها وسننها فصمم العزم على
تدويخ ديارهم وتذليل رقابهم وانتزاع نعرة الاستطالة من رؤوسهم واستلال حزه
العصيان من صدورهم وكلب عليهم بخيله ورجله متوكلا على صنع الله وفضله وقدم

امامه الى هراة التونتاش الحاجب ووالى طوس ارسلان الجاذب فسارا مقتحمين مضايق
تلك المسالك الى ان افضى بهما الدروب الى مضيق قد غص بحماة الغورية ممن لفظتهم القرى
القاصية والمحال المتنائية فتناوشوا الحرب بينا وشابطلت فيها العوامل الا القواضب
الجماجم والخناجر في الحناجر وتصابر الفريقان على حر الكريهة حتى سالت وطارت عن الهام
وبلغ السلطان خبر الفريقين فلحقهم في خواص غلمانه وحمل بلجمهم الى ان بادرتهم تثبيتا
وملك عليهم ملاجئهم شعبا فشعبا الى ان قرنهم في عطفات الجبال النوافخ والجمهم
ظلل الرايات البواذخ واستفتح المحال الى عظيم الكفرة المعروف بابن سورى فغزاه في عقر داره
واحاطته من جوانب حصاره وهي في قصبة تدعى اهنكران وشد عليه الحرب وبرز اليه
في قرابة عشرة الاف رجل كانما خلقت قلوبهم من حديد واكبادهم من جلاميد ثابتا
اهوال الوقائع استنابا للظاء بماء الترائب فصانوا عسكر السلطان مرعدين بالبطش
والباس مبرقين بصوارم الاسياف وجعلوا يهرون في وجوههم هرير الكلاب اعياها
واحرجتها الاحجار فامر السلطان بمداراة الشد عليهم على ما اوجبه الاحتياط اذ كانوا
مستندين الى معاقل وثيقة ومعتصمين بخنادق عميقة حتى اذا انتصف النهار على وقائعهم
في مشاجرة الحرب ومصابرة الطعن والضرب اشار بتوليتهم الظهور على وجه الاستدراج
والاغتيال فاغتروا وانخدعوا للانقلاب وانفضوا عن مواقفهم الى فسحة الفضاء لاغتنام
فرصة الانهزام فكرت عليهم الخيول بضربات غشيت بذؤابتها عن اخوانها فلم يرتفع منها
واحد الا عن دماغ منثور وبناط مبتور وصرع في تلك المعركة الوالحد رجال الكفر المحتظر

اعجاز نحل منقعر وملك الاسير عظيمهم المعروف بابن سورى بافرشته وذويه وسائر حشده
وخواشيه وافاء الله على السلطان ما اشتمل عليه حصاره من ذخاير الاموال والاعلاق
التى اقتناها كابر عن كابر وتوارثها كافر عن كافر وامر السلطان باقامة شعار الاسلام
فيما افتتحوا من تلك القلاع والرباع فافصحت بذكره منابرها واشترك فى عز دعوته باديها
وحاضرها ورجع بعد ذلك عز وجهه على جناح اليمن والنجاح والظفر المتاح وحين
ابن سورى حصوله فى ذل اساره واستباحة السلطان ذخائر حصاره متبرم بحوبته
واستراح الى حتفه وفاتها مقتص مما كان اودعه فص خاتمه فجاد للوقت بنفسه خسر الدنيا
والآخرة ذلك هو الخسران المبين ذكر القحط الذى اتفق بنيسابور ووقع القحط بنيسابور فى تلك
السنة خصوصا وفى سائر بلاد خراسان عموما فهلك بنيسابور واطرافها دون غيرها مائة
الف او يزيدون وكم دفن منهم باطمارهم لضيق الاكفان بهم وعجز غسلة الاموات عنهم
وكان الناس من بين غلام وشاب وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتداعون الخبز الخبز ويتدا...
حتى تغور عيونهم وتجب للموت جنوبهم وزعوا نبات الارض حتى استحكم الياس عن الزرع
وانقطعت الاطماع عن الريوع وضاق بهم الامر فجعلوا يتتبعون رمام العظام على رؤس
الكناسات تعللا بها وبما ذبح قصاب ذبيحة ليتبع الفوج بعد الفوج يتقاسمون نجيعها
بالكيزان والخزف فتسكن حرارة الجوع واجتزاء به عن القوت ولم يبق منهم احد الا سقط
وجاد عن كثب بنفسه وعهدى بهم يتتبعون سقاطات الشعير عن الارواث وهيهات ان الشعير
لاعيا الانام فكيف البهائم والانعام ثم بلغ الامر الى ان اكل الام ولدها والاخ اخاه

والزوج زوجته وظل بعضهم بعضا من شوارع الطرق الى الخرابات فيطبخ منه ما شاء
من الباجات وحرمت الاسمان على الناس لكثرة ما ظهر عليها من لحوم البشر فبيع فى
الاسواق وقبض على اقوام بلا عدد كانوا يغتالون السابلة فيضرب رقابهم على هذه الجملة
ووجد فى دورهم ما يغمر الحد من رؤس قد اكلت لحومهم وصهرت شحومهم فاما
الكلاب والسنانير فلم يبق منها الا العدد اليسير وغاب اوساط الناس وارباب الحرف
ان يخرج قواوقت العشاء محلة نائية عن واسطة البلد الا فى عديد وسلاح عتيد وذكر
ان فقيها وجيها من اصحاب الاحاديث دخل على الامام ابى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى
فساله عن تطاول عهده فقال ليأخذ الامام عنى احدوثة عجيبة رد الله على روحه
فضلا منه جسيما وصنعا كريما انى حملت امر بعض العشيات وحيدا فى شارع
فلم يرعنى الا وتر صار فى عنقى وجذبت به جذبة ضعفت على تخنقى فبينا اهم بمواثبة
الجاذب ومداراته للسلامة على ضيق التخنق اذ وثبت الى من بعض تلك الاوباة امرأة
فضربت انثيى بركبتها ضربة سقطت منها مغشيا على فلم اشعر بعدها بشئ من مصادف
امورى الى ان افقت عن الغشى ببرد ماء رش به وجهى وترائبى فنظرت الى قوم الجانب
يتجادعون عمادها انى ويكاتمونى صورة ما جرى فاذا انم ساعة وحتفى لجنبى اذ ركونى
غالبين الى منازلهم فهرب منهم من اشفق على قتلى واستباحة دمى وتركنى برمقى وخلى الوتر
فى عنقى فصبرت ساعة الى ان استوفيت الافاقة واستعدت القوة والطاقة وعدت الى المنزل
سقطت من هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما مدهوشا مبهوتا وحرضا مسبوتا

الى ان منّ الله علىّ باوايل الابلال وزوال الاكثر مما مسّنى من الم الاعلال فبكّرت يوم
احسست بالخفة الى المسجد لاقامة الفرض وصعدت السدّة على الرسم فلم استتمّ التكبير
حتى اختطف عمّتى عن راسى وهو زاد صاحبه ودقّتى فاخطاها لما اراد الله من تأخير
اجلى فعدلت عن الاذان الى الصياح وجعلت لله علىّ بعد ذلك ان لا اخرج
مدّة هذه الفتنة من دارى الا والشمس بيضاء نقيّة ولا ارجع اليها الا وفى النهار بقيّة
فهذه هى التى ثبّطتنى عن الخدمة واقعدتنى عن الرسم فى مساعدة الجملة فقضى الحاضر
عجبًا من تلك الداهية وسالوا الله ثمّ حسن العافية والكلاية وحكى عن الاستاذ ابى
سعيد عبد الملك بن عثمان الواعظ احد الصالحين من عباد الله الموفقين والناس
فى مصالح المسلمين انه نقل من دار كان يسكنها المرضى والزمنى من الفقراء والمساكين وابناء
السبيل فى يوم واحد من ايام هذه السنة اربعماة ميت عن برح الجوع والمخمصة على
ان يوعز بتكفينهم ودفنهم فاما مختازه الذى كان يقيم بخراسان المذكور من جهة
وهو فى جريدته يذكر انه قد بقى فى هذا اليوم بعينه ثمّ اكد على البيع اربعماة من خبز
فسبحان من يقضى على من يشاء بالفناء مع امكان الاقوات ووجود الكفايات وقد اكثر
الناس فى ذكر هذا القحط والغلاء فمنه قول ابى نصر الزاهى الكاتب ❊ قد اصبح الناس
فى غلاء وفى بلاء تداولوه ❊ من يلزم البيت يود جوعًا او يشهد الناس ياكلوه ❊ ولابى
محمد العبد الكانى الزوزنى ❊ لا يخرجنّ من البيوت لحاجة او غير حاجة ❊ والباب اغلقه
عليك موثقًا منه رتاجه ❊ لا يقتنصك الجائعون فيطبخونك شوربا جه ❊ والمر

السلطان يمين الدولة وامين الملة بالكتب الى عماله بصبّ الاموال على الفقراء ولكن
فاستبقى الله بها مهجات قوم قد اشرفت على الهلاك وافتكهم من بين حنك الاحتناك
فبقيت تلك السنة على حالها الى ان ادركت غلات سنة اثنتين واربعمائة فرفع الله تعالى بارد
تلك الشدة واطفأ تلك النايرة المتقدة وتدارك عباده بعد استحكام الياس بالغيوث الهاطلة
والريوع الزاكية النامية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل
له من بعده وهو العزيز الحكيم ذكر ما افضت اليه احوال الخانية بعد ما وراء النهر قد كان السلطان يمين الدولة
وامين الملة بعد انكشاف عسكر الترك عنه براعى ما ينفر عنه تدبير ايلك الخان واخيه
الكبير طغانخان اذ كان اخوه يمانى السلطان عليه لايمان يزعم لزومها اياه ومواثيق
يدّعى انعقادها عليه ويظهر البراءة على السنة رسله من فعلات ايلك فى منابذته ومكاشفته
والتخطى الى حدود مملكته ويورك الذنب عليه فى اغرائه بما اتاه ومكاتبته
فى البعث على ما جناه وقلّد طوق تلك المكاشفة براءة منه وخذلانًا اياه وشقًّا للعصا
واسلامًا لما كسبت يداه راى ان يبتدى بمخيم ذا قرابته ويغسل بالسيف وضر جنايته
فجمع جيوش ما وراء النهر لقصده واستدفاع مكره وغدره وسار حتى جاوز اوزكند
تلوح سدّت عليه مسالك العقاب المفضية اليه فارتدّ عن وجهه الى قابل حتى طاب الهواء
وانحسر الشتاء وجفت الانداء فكرّ عائدًا على اثاره لقتل الشرّ بنار ره وكان ورود رسله على
فى التنازع الذى تقدم ذكره فتراجعا القول فى البراءة عن جناية العبور ولحالة بعضهم
بعض فى نقض المواثيق والعهود فخلاهم السلطان فى لغط القول حتى وصلوا ابحر اللقاء

ذكر احوال ايلك خان بعد از معاودت ماوراء النهر

الى بَرْدِ الاستسقاء وازاد السلطان بعد ذلك قِراهم فامر بتعبية جيوشه وتعبئة فيوله
فرتّب العسكر عن جنبتيه في هيئة لو راها فارون لقال يا ليت لي مثل ما اوتي محمود
انه لذو حظ عظيم وصفة مقامه انه اصطف من غلمانه على التقابل قرابة الفي غلام من
الترك في الوان الديابيج من بين سود وبيض وحمر وخضر وصفر وكهب وفيما يقرب من
خمس مائة غلام من خاصته على تربيتهم في سقلاطون الروم بمناطق من ذهب مرصعة بالجواهر
واعمدة من جنبيه فوق الاكتاف والعواتق وقد اطاف بهم من عظام الفيول اربعون فيلا على
المحاذاة غواشيها ديابيج الروم بقصبا ومغالق من الذهب الاحمر مرصعة بكل جوهر
ثمين وياقوت وزبرجد وازاء التماثيل سبع مائة فيل في تجافيف مشهرة بالالوان مستورة
بالجراب والمرآن وعامة العسكر في سرابيل وقد كذب الفيون وردت على اجلالها
العيون ورتب الرجالة امام الخيول في الترسة الواقية والجن الحامية والسيوف المرهفة
والعوامل المختلفة وقام بين يديه حجابه كالبدور في ظلم الدياجور قابضين على قبائع سيوفهم
هائبين قدره وناظرين امره واذن لهؤلاء الرسل على هذه الهيئة حتى لقوه واقاموا من رسم
ما افترضوه ثم عدل بهم الى الموائد في دار قد فرشت بما لم يخل عن الجنة مزينة للمتنزه
معرفة للعارفين ففي كل مجلس دسوت من الذهب الاحمر من جفان وجباض والطباق
وقد نضد بها من صدره الى قدمه بما يتأكل من الاواني الفائقة والالات الرائقة
وهي لخاص مجلسه طارم قد جمعت الواحه عضادة بقضبان الذهب وصفائح ونقشت
بمسامير منه وفرش من الديابيج المثقلة بما لا تبدل للابصار منه غير حمرة الذهب في

الصدر منقلة مقسومة ببيوت مضلعة ومستديرة يشمل كل منها على نوع من الجواهر
التي اعيت امثالها اكاسرة العجم وقياصرة الروم وملوك الهند واقيال العرب وحوالي
المجلس المباني مخان من الذهب مملوءة من المسك الاذفر والعنبر الاشهب والكافور
العطر والعود العبق وهلم جرا الى ما يملؤ الابواع والايدي من الاترجات المصوغة
والنارنجات المصنوعة وما يشبه الفواكه من عقيان وبذخش وبهرمان الى اوان لم تبع
بمثلها رقة اجسام ودقة صنعة واحكام وطاف على الرسل ولدان كاللؤلؤ المنثور
المكنون براح كالماء المعين ورضاب الخرد العين الى ان شفقوا من عثرات العقول فاستاذنوا
القفول وصرفهم السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد هذه المادبة وزاتهم بما اوجبه
همته من تجنوا ما بنيهم ورعاية حق الملح فيهم وبقي الاخوان على جملتهما في المنافرة والمكاشحة
والمكالحة الى ان توسط السفراء بينهما ففصلوا الامر على ما كف كلا منهما عن صاحبه على
ما سيرد ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى ذكر فتح قصدار قد كان السلطان يمين الدولة وامين
الملة يراعي ما يتجدد من اخبار الاخوين ايلك وطغانخان فيما بينهما اغاه من الامر فلما تمت
اشتجارات بينهما استخار الله تعالى قصدار اذ كان صاحبها قد مال لم يجانب المجانبة واخل بعهد
مال المقاطعة اغترارا بمناعة مملكته واغترارا بحصانة الطرق المفضية الى حلته وذلك
في جمادى الاولى سنة اثنتين واربعمائة ونفصل السلطان عن غزنة الى بست موريا
بقصد هراة اذ انتشرت الاخبار بعزمه واستفاضت الاحاديث بظاهر امره ثم ركض الى
ناحية قصدار في الغلس لغلب من بغا لمركضه طوت تلك الجبال الوعرة والمسالك

ولم يغر صاحب قصدار الا بعلمه ان السلطان خولداده قبل ان يكتحل بضوء نهار
او يحفل لسرى ليل اداه منادى الامان الامان وبذل خدمة السلطان والزمه السلطان خمسة
عشر الف الف درهم ما كان الطه به من اموال عمله والتزمها ونقد اكثرها وقبض السلطان
على عشرين فيلا ضخاما مما كان اعتقدها ليوم بؤسه وباسه ووكل بمن استوفى
المال عليه ورجع عنه بعد ان دعى خطاعنه وضراعته باستخلافه على ما كان يليه
بسط يده في اطراف عمله ونواحيه ورجع عنه الى غزنة ظاهر النجح فائز القدح غالبا
يد وايدا نائل صنعا من الله تعالى لمن يختاره من خيار خلقه لعمارة ارضه وانارة حقه
والله يعطي ملكه من يشاء والله عزيز حكيم ذكر الشار بن والد ابي نصر محمد ابن اسد الشار
محمد ابنه وما افضى اليه امرهما قد كان يلقب كل من يلي غرشستان بالشار سمة مصطلحا
عليها تنبئ عن معنى التمليك وشعار الاجلال والتعظيم وكان الشار ابو نصر والد الان
ادرك ولده الشاه وفوض اليه مشهوره فغلبه على الامر بقوة شبابه واستظهاره بعدة
من اصحابه فاعتزل ابو نصر بيته وبين ما كان يليه وتفرد بالنظر والتدبير فيه ومقتصرا
على دراسة الكتب ومطالعة الادب اذ كان بها مولعا وبلذاتها دون ساير اللذات
مقتنعا وكان منتجعا لافاضل من اعاقي البلاد ينتابونه منهم كل مبدع خطا وبيانا
او مبدع به بلوى وامتحانا فانتسب بعد ان ينتابه ويتهد بابه حتى ينتصب جنابه
ويستجزل بره وثوابه وكان صاحب الجيش ابو علي محمد ابن محمد سيمجور لما افتتح
الاستعصاء على الرضى نوح ابن منصور وراودهم ان يستضيف ولاية العرش الى ما يليه

بلغ

وان يحمل من الشار بن طاعته في اوامره ونواهيه فاظهر التمرد عليه كراهة اختياره
على ارباب الملك الذين اعطوهم المقادة قديما وسلموا الطاعة لهم تسليما واذ لالا
بحصانة صياصيهما وقلاعهما ومناعة حوائطهما واشياعهما ومحاماة للرضى على
حقوق طاعتهما وسوابق حرمانهما ان هم ابو علي بمنازعتهما ملكا ووراثه وطمع في فضل ما
اقتناه فلم يسهله اباعلي ان جرد اليهما ابا القاسم الفقيه احد انياب دولته واركان دعوته
في جيوش كثيفة وخيول على الالاف منيفة فناهضهما في عقر دارهما متوقلا اليهما
فوارع نضائح السماء وشوامخ شناطح الجوزاء ومتوغلا مخادم تمرد على السلوك مرود
على علاظ السلوك بناجزهما في تلك المقامات التي تدار عندها بالرؤس وتعشى
النفوس ويلجئهما من مضيق الى مضيق ويفجعهما بفريق بعد فريق حتى الجأهما عن قراره
بيتهما الى قلعة وراها اسلافهما في اخريات هاتيك الجبال تزل عن غاليها اقدام الفعول
وتحلق دون مناكبها كرايم الطيور وملك عليهما صحون جبالهما وسهول ديارهما ومحالهما
بحثتها ويتبع ما ينسب الى كل منهما فيها الا ان صمد الامير ناصر الدين سبكتكين معاضد
على نائره ابا القاسم الفقيه شغلا بالنازل القريب عن النائي وبالعقاب المنقض عن الكركي
اي الوادي قطم على القري وانضم الشاران الى الامير سبكتكين في نصرة الامير نوح
فانتقما من ابي علي حين ولى هزيمة وتعدى عما تولاه واقتاه حديثا وقديما والجفل الى
جرجان لايملك ذيادا ولاعزيما ولم يزل بعد ذلك حالهما على جملتهما في الامنة والتكرمة
والجاه المصون الى ان ورث السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان حكما اشغى درضيه

يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما اذعن ولاة الاطراف للطاعة
والتزام حكم المتابعة واعطاء صفقة البيعة وقرع المنابر باقامة الخطبة وكلهم سمع و
اطاع وبذل في الخدمة والقربة المستطاع اقتضت الحال الشارين في اخذهما باقامة الخطبة
له اسوة امثالهما من ولاة الاطراف وضمناء الاعمال فلبيا في فروض الطاعة والجري
على الاقتداء بالجماعة وامرا بالخطبة فاقيمت باسم السلطان بكورة الغرش في شهور سنة
تسع وثمانين وثلثمائة وورد على الشارين كتب الخانية الى بخارا عن هزيمة مروية
انهم على الاستعداد والتجرد للمعاد فلينتظراهم عن قريب ليلحقا من الانتصار
دراك الثار بنصيب فبعث الشار ابو نصر بها الى درج رقعة افردني بها يسئلني تاملها
وانفاذها باعيانها الى السلطان ليتقرر حاله في الموالاة ومخالفة ذوي المناواة
والمعاداة فكتبت اليه في جواب رقعته تاملتها اطال الله بقاء الشار فوجدتها تلك
على خدود قد عمل فيها صيقل الوقاحة كجدل يتوعد صاحبه بان يضرب فيكبه ان لم يكف
عنه كيته وما نحن في هذا المعنى وقد اولى الله السلطان من الحسنى الا كما قال المتنبي
ولله سر في علاك وانما ❊ كلام العدى ضرب من الهذيان ❊ فاما قولهم انا على الاستعدا
وتدارك الثار فلنا امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين على انا نقول ❊ لئن كان
اعجبكم علمكم نعود الى الحمص من قابل ❊ فان الحسام الخضيب الذي قتلتم به في يد القائل
فان قالوا ان العود احمد فذلك ❊ ولكن لمن حمد النبي لا لمن ذم وصادف فيه ما سره لا
ما ساء وغم فقد راوا في بدء لقائهم كيف شرقت السيوف بدمائهم وحكمت النسور في اشلائهم

فان تنطوا ثانية فهنالك الصوارم ماضية والقشاعم ضارية وما اشبه حال القوم بما
قام به ابو الاشعث خطيبا في قومه فقال يا قوم انه ما بقي من عدوكم الا كما يبقى من ذنب
الوزغة يضرب بها يمينا وشمالا فما تلبثان تموت وكذا المصباح اذا قارب انطفاؤه
توهج قبله الا ثم لم يغن ذلك من حينه فتيلا فالحمد لله الذي جعل يوسف مولانا تخطب على
منابر الرقاب وجعل الستة اعدائه تخطب فوق اسنة الاذقان وانا له الرغبة في اطالة
بقاء مولانا ما طلع نور من حجاب شمس وطلع نفس من فؤاد نفس منصور اعلى من نابذه وناواه
ليودعه في بطن الارض ملحده ومثواه وعن كثب يرى الشار كيف يفعل الله بالغاوين و
يلقيهم خزي الباغين ويردهم اسفل السافلين وقبل وبعد فالحمد لله رب العالمين و
كان الامر على ما حدست وتفرست فان ايلك الخان تجرد اليهم فملك عليهم دار
الملك بخارا واخذ معظم القوم اسارى وشرد الباقون في الارض حيارى [illegible] ووطا
الحضرة بصورة امر الشارين في الطاعة حتى خطبا بمن الاكرام بما توقعاه وحليا من الا
والايثار بما تطلعاه وحضر الحضرة بعد ذلك الولد المعروف بشاه شار فصادف ما
استخفه من ترحيب وترتيب وحظا من الايجاب والايثار رغب وغبر مدة على هذه
الجملة وهو بين الاعتزاز بنعمة الملك وليونة في الطبع ما يلم امثالها عند الملوك على الهلاك
وهو على كل ذلك محتمل وبلطف القبول والاقبال متقبل واستاذن من بعد الانصراف في
وراءه فصادف اذنا بالمبار الكريمة مشفوعا والى الخلع الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموعا
وعاد الى الغرشين قرارة بيته ومثابة عزه الى ان حث السلطان غروب احيان يحتشد لها فيقتل

احتشاد ويستظهر فيها بما خوله من قوة وامداد جيوش وقواد وامر بالكتاب اليه
في استنهاضه اسوة امثاله ثقة بخصوص حاله وثمرة ما افاض عليه من سجال افضاله
فلزم به الخذلان على المكان ولقيه معاذير واهية الاركان وظل يتردد بين الجران و...
الى ان حقت عليه كلمة العصيان فاعرض السلطان عند ذلك عن تدبيره واقبل ما اهمه
من امر سيره حتى اذا دان له ما قصد وظفر بمن كند او تمرد وعاد بالفتح خافقاً لواؤه والنجح
شار فاضيا جنده مكاتبه ايماناً له من خيفة ان اوجيها وايناساً من وحشة ان لا ابتها
واستبقاً للصنيعة عنده من ان يختص اشاوها او يقتطع دون الملك رشاؤها فلم يزدد
الا كفوراً او نفوراً وكان امر الله قدراً مقدوراً وعند ذلك جرد السلطان حاجبه
الكبير التونتاش وقفاه والي طوس ارسلان الجاذب فيمن ضمهم الى جملتهما ووسمهم بالمسير
تحت رايتهما المناهضة الشارين وامتلاك العرش عليهما واخافتهما بالعصيان وكفران
الاحسان بهما فانهضا في العدد والعديد والبطش الشديد واستلحقا بالحسن المنيع
بمرو الروذ لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل ومخارم تلك الشعاب الجبال والقلل
فسار اليهما في رجال قد كدمتهم التجارب ونجذتهم النوائب يحمون باطراف الشمائل على
الزبر وما يخلون ولو حزت الابر ودمروا على الشارين تلك الثلاجة فاما الشار الكبير
الوالد ابو نصر فاستشف استار العاقبة واغتنم شعار العافية ولاذ بالامان الى الحاجب التونتاش
تاش مظهراً للبراءة من فعل ولده وصادعاً بما اشتهر في الخاص والعام من عقوق ولده
ويحمل بشفاعته الى السلطان في ملاحظته بعين من لم يرتكب جريرة ولم يشغل سريرة ولم يسد

في الطاعة والاخلاص بيرة فحدره الى هراة بين ترفيه افضته طاعته واحتياط اوجبه خلاف
الابن وممانعته فكتب بحاله الى السلطان فورد في الجواب ما امنه من المؤاخذة وعنت المغالبة
واما ابنه الشاه فتحصن بالقلعة الى اواها ايام اليمنودية وهي التي سبق وصفها في غرة الجوا
ومناعة المناكب وصعوبة المصاعد والسمو على متون العنوه الرواكد واستصحب اليها
خواص غلمانه وخزانته وسائر حاشيته وبطانته وقصد الحاجب ابو سعيد وابو الحارث
ارسلان الجاذب في الجم الغفير من اعيان القواد وابطال الافراد وتقاسما اركان الحصار
فقذفا بالمجانيق المنصوبة والعرادات الموصوفة ومناوشة الحرب من جهات كادت تحتاب
النفوس من هول المقام ان تذوق كئوس الحمام قبل ذوقها بوقع السيوف والسهام ودوا صلا
صبوح تلك الحروب بالغبوق حتى هدا الحد اسوار الحصار فوضعه بالحضيض من رفع الجلال
وصدم المجانيق وتلقفها اهل العسكر منحين على سائر الاسوار كالعصم وافئدة في شمم
الهضاب والارانب هاربة من غضيف الكلاب واشتبكت الحرب على تلك الحال غرارا
بالسيوف القواضب واخذا باللحى والذوائب حتى سالت المذانب من دفع النحور واحمرت
المنالع من علق الصدور وراى الشاه عند ذلك من هول المطلع ما لم يكن ثم كان فدعا
الامان الامان هيهات ان غضاب النفوس اذا صادفت نجح المرام ووجه التشفي بالانتقام
لموقورة الاذان وتفعل افعالها وتنال من درك الثار منالها وما زال الشاه دعواه و
خالهم حتى اخذوه اسيراً واستنزلوه عنوة وقهراً واستبيح ذلك الحريم بما حواه من درهم
دينار ومال واستظهار واخذ حاجبه ووزيره وندبه وسميره بل قليله وكثيره فوضع عليه القيد

حتى اعفى من نخايره وخبره من وذايعه وجلب غامة اوليائه وعماله والمتصرفين في امور
امواله حتى عروا عن لباس اليسار وعرت اخلافهم دون الاستدرار وقطع ابو الحسن المنيعي
عن ارتفاع الغرش على ما علم ارتفاعه منه قبل للشار فتمكن منها واستخلف هناك من يقوم
بعمله وشحن الحصار بكوتوال يوثق باماناته وجلس وبعث السلطان بعض خواصه لنقل
المأسور الى حضرته على ارفاق له من جهته فلما سلم اليه حمله في وثاق نحو غزنه وسمعت بعض
الثقات انه اتفق للغلام ان يكتب الى اهله بخبره وما لقيه في حالتي ورده وصدره وبشرهم
بمنصرفه فاستدعى الشار في عقاله وامره بتولي ذلك بخط يده فانعم تفكرا ثم اظهر تنكرا
وكتب ما هذا معناه : ايتها العجية الرعناء اترينني اغفل عما احدثته بعدي من خيانتي
في الفراش وتمزيقك ما خلفته عليك من مالي وتحيفه بانواع الفساد ولقد انهي الي
جميع ما ركبته من فجور وشر شربته من خمور وضيعته من مالي في كل منكور ومحظور وها انا
عائد اليك وايم الله لاصعقن الدهر بك وغلي في الدبك ولادقن بيديك على رجليك
ولاجعلنك عظة لربات الخدود في الحدود يا كذا وكذا واستانف الشتم حتى علم انه قد اكتفى
واشتفى ثم طوى الكتاب ودفعه الى الغلام وطير به بعض ثقاته ثقاة القيامة على اهله
وخفض عدد اسعفهن وحرف من صورهن وفكرن في امرهن فوجدن اصوب الاراء النفير
الدار وتقديم الاستتار وفصل ذلك ذا ثبات على القلق بابيات على الجوى والارق فلما
وصل الغلام الى الدار فهي اذا كالقاع القرقر لا يلم بها نافخ ضرمة ولا معلق وذمة ونعى
جيرانه وسال الجيران فاخبروه بصنوف الكتاب وما خيف من الفضيحة والعقاب فدعا

ويلاه ولعن الكاتب ومن والاه والكتاب ومن املاه واحتال في رد العيال بضمان
الكف واحسان جرده وبلغ الخبر السلطان فضحك لاحتيال الشار عليه وقال كذا يحق
مثله ممن يستخدم الشار كاتبا ووضع حرمته جانبا ولما حمل هولاء الباب تقدم السلطان
بتجريده للسياط تاديبا له على ما اغفله من حق النعمة وهتكه من ستر الحرمة فجردها
ولحدته عذبات العذاب فاكثر الضراعة والاستكانة وشكا الذل والمهانة فلما
استوفى التاديب حده دون ان يبلغ النكير منتهاه والعقاب امده ومداه امر بانزاله
واعتقاله في موضع يصلح لامثاله وامر بمواساته والتوسيع عليه في اقواته من حيث
لا يشعر باذنه فيه وفيما اتاح له من الترفيه كرما سرى في تضاعيف عزائمه ولا حرى
في عروق الشجر او الماء في عذوق النخل والتمس اسعافه لغلام كان خطيا عنده فرده عليه
واعيد بعض ما يصلحه اليه فاما ابوه المقيم بهراة واذن له في ورود الباب وحظي
بعين الايجاب وابتاع السلطان خاص ضياعهما بالغرش حلا لها من عقد الشبهة
واستضاف اليها اهل الاجلة ضياعه الملكية وامر لهما باثمان ما باعاه نقدا صيانة لهما عن
الفاقة وذل الحاجة ووفق الشيخ الجليل شمس الكفاة على الشار ابي نصر بجناح الاكرام
والرعاية حتى اتاه الداعي وقام به الناعي وذلك سنة ست واربع مائة ذكر واقعة نارين
قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما استصفى نواحي الهند الى حيث لم تبلغه
في الاسلام راية ولم تنل بها قط اية نوحض عنها ادناس الشرك وقمع دونها الغياض الكفر
وبنى بها مساجد يقوم فيها دعاة الله بل اذان الذي هو شعار الايمان راى ان يطوي ذلك

الدیار الی دار السلطنة الهند منتقما لله ممن یجحد توحیده ویضع لعبادة الانداد من
دون الله حتی وردها ومحکما فیه سیوفا طبعت علی غزو الاسلام وسقیت بماء
وصیّت فی قراب دین الله وانتضیت بایدی الاخیار الابرار من اولیاء الله فکد
الرجال وفرّق الاموال واخلص المغنم واستنصر الولید المعین ونهض فی الطم
والرم واللیل المدلهم وذلک سنة اربع واربع مائة وسار فی اخریات الخریف تقة بطیب
الهواء من جانب الجنوب فاتفق عند اقتحامه تلک الدیار ان سقطت ثلوج لم یعهد لمثلها
مثلها فی مخارق تلک الجبال وسوّت بین الاباطح والطلال وکلح وجه الهواء کلوحها
اثر فی الحوافر والاخفاف فضلا عن المحاسر والاطراف وضلت مهایع الطرق فلم یعرف
الناس من المناسر ولا المفالع من المناخر واضطرب الحال الی الانفصال الی ان یاذن الله
ثانیا فی الانصراف ولکل شیء حد محدود وامد ممدود واقبل السلطان علی استیناف
العدد والعتاد واستکمال المیرة والازواد واستدعاء اعیان الغزاة من اطراف البلاد
حتی اذا تمت العدد والعدید وباهی العقد باخواته الفرید وتضام الناس کفرع حریف
من کل بجه منثورا وعن کل اوب محثوثا ومحسورا واقبل الربیع بطیب المقیل واعتدال
برد الغداة والاصیل استخار الله فی الرحیل وسار کالبحر الاخضر یضرب الاعاصیر بالامواج
الخضم تجنبه المقادیر فغدت وحوش الارض مذعورة وطیور الجو مقهورة ولو حدثت
ان تنتفّ من ثقل الحدید والمثنی الوئید وحث الابطال فوق القب الغادید وسار الی
اذ لا یهتدون اغماق تلک البلاد ولا الشمس علیها طالعة والنجوم بینها مستفیة

وراجعة وحث الرکاب شهرین بین الغار عمیقة الاغوار بعیدة ما بین الاقطار بواد تتصل
فی ارجائها اسراب الیعافیر وتجاری فی دهنائها امواج الغصائر حتی اذا قارب المقصد
عبی الخیول کتائب وبنزها عصائب وزینها کواکب وقسمها مناسر ومقانب ونصب
الامیر نصر ابن ناصر الدین فی المیمنة فی کماة الفواد وحماة الافراد وارسلان الجاذب
فی البهم الذکور والبزل الفحول وجعل ابا عبد الله محمد ابن ابراهیم الطائی علی المقدمة
فی مساعیر العرب لحلائل الظهور وابناء الصوارم الذکور ورتّب فی القلب الجلیل التعبیه
وسائر خواصه وغلمان داره رجال اذا اصطفوا فالجبال الشواهق او زحفوا فالسیول
الدوافق ونبذ بهم عدوّ الله ملک الهند ففزع من فاجی الفزع الی من حوله من تکاکر
واعیان جیوشه وناصرته ولجا الی شعب جبل فج المدخل خشن المتوغل صعب المرتقی
المتوقل مستعصما بالانحیاز عن البراز وبالاحتراس من وقع الباس وسد مفغر الجبلین
بفیلة له براها الی ادون هضابا ثابتة وجبالا ثابتة وبث الیغم فی اقطار مملکته لینهض
من یحمل جحرا فصلا عمن یلقم القوس وترا او یحس بالسیف اثرا ومدّ فی طول المطاولة
یلقی بقوة وافیة وعدة متوافیة او یلتجی اولیاء الله الی الاخلال من فرط الملال او النفور
من ضیق الصدور ولم یعلم ان الله نعم من وزاء المؤمنین وان الله موهن کید الکافرین
ولما علم السلطان من نیته فی ارجاء القتال وتاخیر النزال دلف الی عدوّ الله بقلوب قد
صقلها التوحید وبترها الوعد وانذرها الوعید ورماه بالصّم من رجاله الدیلم و
الشیاطین من الافغانیة المطاعین رجال کالاجبال مطوحة بالنفوس مند الله الامین الشوس

او الليوث اخرجها الجوع واعيافها الى اشبالها الرجوع ينفذون فى الاسداد نفوذ
المثاقب فى العيدان والبارم فى الحيطان ويفرعون البواذخ كالوعول وينزلون عنها
منحدر السيول ووصلها عليهم اياما تباعا يجذبهم بصدق البراز الى البراز جذب
النار للسليط والمقاطيس للحديد فلما فارقوا ثالث المضائق التقطهم الفرسان كما
الافراس البادون ولم يزل هذه حالهم حتى انضم الى اللعين اكثر من الامر ولباه معظم
دعاته وعند لحشد لليوم وستند الى الجبل ومن حوله الانيال كالقلل مجد المصاع
واجتد القراع وحمى الوطيس واستوى المرؤس والرئيس وصار اللقاء كفاحا فمن اخذ بالتلاقى
ومثاقر كالبغات ومضارب بين الرؤس الى العراقيب وكلما اثبت الفيلة للتهويل
والتفخيم والحطم بالاظلاف والخراطيم مطرتها سحائب الزنات سلوبة كالاراقم منسابة الى
حدق العيون او ثغر الحلاقم ورأى الكافر موقع ابى عبد الله محمد ابن ابراهيم الطائى من الفناء
وصبرا ونبرانا له الدهاء فانحاء باخشن من في جملته شوكة واعظمهم شكة حتى انحنوه
ضربا على الهام وحطما من خلف وقدام وهو كالحرون ثابت لا يميل من فرف مقامه ولا ينكل
دون الضرب بحامه مستميحا بالروح في نصرة الدين وطاعة رب العالمين وراى السلطان
انحاء الكفرة عليه فامده بكوكبة من خواصه لاستخلاصه فاستنقذوه والى السلطان مخوشا
بالسيوف منقوطا بالاسنة كالحروف فامر له بفيل ليريح الى سعة عن الم الجراح بجوارحه
فصار ملكا له يتميز به من اعيان اهل عسكره ولم تزل الحرب على حالها حتى اهب الله ريح
النصر لاوليائه وادار دائرة السوء على اعدائه فاخذتهم سيوف الحق تحتهم بين كل مضائق

ومنعطف واد ومدخل ومغار ومعتسف ومنار وملكت عليهم الفيلة التى اعدها
حصونا واقية فصارت عليهم عباقية باقية وافاد الله على السلطان واوليائه غنائم رجعت
الصدور وعن رين الحسد لاشتراك الكافة فى الغنى المقصود واستوائهم فى كفاية الموجود
وفتح الله الضار بن خاطر زينه شعار الاسلام اذ لم يبلغه انه الحق من لدن عهد النبى صلى الله
عليه واله وسلم الى زمان السلطان يمين الدولة وامين الملة غزا كتب الله له على يدى وصنعا
له التوفيق والتيسير من عنده ووجد فى بيت بدخطيم حجر منقور دل كتابه على ان بيته
مشار بعين الف سنة ففى السلطان من جهل القوم عجبا اذ كان اهل الشريعة الغرا والحق المتين
من السما على ان هذه الدنيا سبعة الاف سنة وانا منها فى الالف الاخير وكل ما تاندت
به الاخبار من امارات الساعة موجودة وبابصار العيون وبصائر القلوب مشهودة واستفتى
فيه اعيان العلما فكل اجمع على انكار ذلك المنقور وعلى تزييف سلها من شهادات الصخور وعاد
السلطان وراءه سبلات الغنائم العزيزة وكاد عدد الارقاء من العبيد والاماء يزيد على عدد
الدهماء وخصت بهم المنازل فصار اصحاب المهن الخاملة فضلا عمن فوقهم من السوقة
يعتقدون عدة من تلك الرقبة وذلك فضل الذى اعز به الدين واذل الالحاد والملحدين
والحمد لله رب العالمين ذكر فتح تانيشر فقد كان انهى الى السلطان ان بناحية تانيشر فيلة من جنس
فيلة الصيلان الموصوفة فى الحروب وان صاحبها غال بها فى الكفر والجحود وغير اليد فى الطغو
والعنود وانه محتاج الى ذوقه من كاس حرقة من جراب باسه ليعلم ان عز الاسلام غالب
وان له من سطوة الله سهما كالنار اوفى الهند مهام نعزم السلطان على غزو البدين نعم جا ...

الاسلام وينبح معها ولايه الاصنام ويدع الكفر عليها مجبوب الغارب والسنام وارد
فی اولیاء الله الذین نشاوا علی القراع نشاء الاطفال علی الرضاع وضروا بدماء الكفار ضراوة
الصقور ببغاث الاطيار وقطع الى المذكور اودية لم يقطعها غير طائر او جوان عابر خرق
سباسب لم يطاها نعل ناشر ولا نعل حافر وجهدهم في تلك القفار عطش لا اذاب الالسنة وبلال
الافواه وفصلا عن سائر الاقوات حتى صبح الله بالنار بلدا وامنها الى فضاء يفضى الى ناحية
المقصود ودونه نهر صخاب الاضطراب وصفاح كلظى السيوف حداد يلتفى بناطية
شعب جبل قد استند اليه الكافر مستظهرا بفضوله ومتكثرا بافناء رجاله وخيوله وانتهى
السلطان لقتاله بعسكره في مجاوزة النهر الى اعداء الله الكفرة الفجرة حتى عبروه من طريقين
وشغلوهم بالباس من كلا الجانبين وقد اخذ الكفاح بين الفريقين امر السلطان بحملة
على الكفار في مخاضات النهر الهائل والماء الصخب السائل تزعجهم عن طرف الساحل وتفجعهم
اشداق تلك الشعاب والمداخل واشتد الحرب ضربا بالخناجر في الحناجر وبالقواضب في
المناكب واولياء الله في كل حال الظاهرون والكافرون هم الصاغرون حتى اذا كادهم قرن
النهار حمل المسلمون من جميع الجهات حملة اوجرتهم لهوات تلك المخادم مضطرين مخلفوا
الفيلة التي كانوا لها معتزين وتبعها اولياء الله يردون الاعظم فالاعظم منها الى موقف
السلطان فلم يفتهم الا ملجبين في الهرب وضنا بدون اقتناصها مجال الطلب وصب من دماء
اولئك الادجاس ما نجس به النهر الحاجز على طهارته وامتنع من الشرب على طهارته وامتنع من الشرب
على غزارته ولولا ان الليل تداركهم لاستلم الخيل اكثرهم صنعا من الله لدين بعث به رسوله

ذکر وزیر ابو العباس الفضل بن احمد

المصطفى محمد صلى الله عليه وعلى آله الذين ارتضى مظهرا له على الدين كله ولو كره المشركون
فهو على الازدياد الى يوم التناد وانصرف السلطان باولياء الله غانما موفورا وظافرا
منصورا ومحمودا كاسمه ماجورا وقد غنم ما يكل عن ذكره انامل التحرير ويضيق عن اثباته
ادراج الاضابير وتطايرت البشائر في الافاق وخفقت عليها اجنحة الغروب والاشراق
والحمد لله رب العالمين على عز الاسلام والمسلمين **ذكر الوزير ابي العباس الفضل**
ابن احمد وما انتهت اليه حاله الى ان مضى لسبيله قد كان الوزير ابو العباس الفضل بن
احمد من خاصة فائق الملقب بعميد الدولة ومن كفاة بابه وثقات اصحابه وكان على
البريد بمرو ايام سامانية فلما استولى السلطان بنيسابور وفى الى ناصر الدين سبكتكين حرمته
وامانته فكتب الى الرضى يستوهبه لوزارة السلطان وكفاية اعماله فنشر امور امواله
ورجاله فاوجب اجابته الى ملتمسه وخوطب بالبدار الى نيسابور على مقتضى المقاعد
السلطان للوزارة واستكفاه مهمات الامارة بعد ان كان يرى مقام الشيخ الجليل شمس
الكفاة ابي القاسم احمد بن الحسن في الكفاية كتابة وحسابة واصالة واصابة وهداية ودهاء
وجباية اذ لم يكن على طراوة شبابه بين لداته اغنى منه غناء وامضى مضاء واذكى ذكاء
واذهى دهاء غير ان الامير سبكتكين جنى عليه في ابيه عند اعتماده للوزارة نبث وتدد
لعماله واموالها جنايه سبق السيف فيها العذل لصغاء منه الى عذاله فيما شفقوه فيه
ولفقوه عليه من شنآنه ووقيعه فاستوحش منه استيحاشا من بادرة مغله والمبنى نفور القلوب
ذوي الاساءة صورة كره السلطان الاستبداد على ابيه في انتصابه بحسب ارتضائه واستكفائه

وفق المجبور من وفاء بطاعة له في اختياره واتباعا للفلك في ابتغاء مداره وقضى الله أن
يكون ما يليه حتى تعترف خراسان بأنه عذيقها المرجب وجذيلها المحكك ما يفسد الغمر
بالاستصلاح ويتدارك ما أمرضته أيدي الاجتياح ويداوي كل حال بدوائه
ويرد غابر الماء إلى لحائه وأجرى الوزير أبو العباس الأمور مجاريها على جملة لم يعرف
فيها غير الجباية والاستدرار وقصد التوفير دون الاستثمار حتى جنى ما الأسنين
إذ كانت خراسان بعد مكوعة باعتبارها لم تنترف منها دواعي اللين ولم تنتزع منها
كواسي السمن فلما احتلبها انتزافا واستنفد ما في ضرعها استنزافا ومن قبل ما اتلحالبيها
وبين خصب المراتع وبرد الموارد والمشارع وضعت له ما على ظهورها من فضول
ومنحت بما وراء أعظامها من نقي منعتهم حتى صارت من فرط الهزال والعجف كالأهلة
المحتنية بل الأخلة المبرية وتداعى بالخراب معظم الضياع ووقفت الفتى بين القصود
والانقطاع وتشردت في البلاد أكثر الأكرة والزراع فعندها أخذ الجار الجار والتي
القار مؤونة الدار حتى تمت البلوى وشملت نوائب البوس وذهبت حرائب النفوس
وصدمهم سنة القحط فعقبها فصار الغني محصورا والمتوسط مفقورا والفقراء
مقبورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وبقيت في رقاب خراسان من الأموال على كل
ومتكسر وقنا ومتحجر لو ذهبت عن آخر فقرة منها لم تف بعضها فضلا عما جمعته
أقلام الاستيفاء فأظهر السلطان ضجرا من تحير الأموال وتراجع الارتفاعات
وطالب الوزير منها بما اقطعه وأتواه وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة

بين البراءة والإحالة فيما عصب العتب شفاها فأظهر الاستعفاء وجلب على نفسه البلاء ولم
النفس اختيارا وأنف الحبس قرارا وتوسط الملأ بين السلطان وبينه على أن يجبر بعض
المنكسر من خاص ماله مما استفضل بطول وزارته من مرافق أعماله فأبى أن يترك
درهم الإبراء وحسب أنى شاء من قلاع صنيع المبرم بالعمل المستعصم بالأمل المنتلم
المحكك بالمثبت واختار عند ذلك السلطان الدهقان أبا إسحق محمد بن الحسين وهو
إذ ذاك رئيس بلخ لصحابة الديوان واستنظاف بقايا على العمال والسكان المقيمة
البهات ... فأخذ والهراة وجبى من الأموال ما درت لخلافه ولا
على لمس أعطافه ولم يبق لأثيره أجمل حملا كثيرا والوزير أبو العباس بعد في صدر الوزارة
والشيخ الجليل أبو القاسم يسعى بينه وبين السلطان على سبيل السفارة يروم استصلاحه
أباه كي يتبدد به مكانه ويتسدد إلى غرض الاستقامة شأنه وهو يلج في سوء اللجاج في
إلقاء القول عن حد المزاج حكما من الله عليه لم يتعدده وقضاء سابقا أعيا العالمين
صده وما زالت هذه حالة لزوما للصدد على ما به من صبغة القدر السابق حتى وكبت نفسه
إلى قلعة غزنة مشروحا بنعمه إلى الاعتقال عما تولاه ومنتميا بجملة ما حواه واقتناه فلم
يتمتع بثمله رجلا يشتري الحبس اختيارا أو يستقبل صرف الزمان بدارا وغاظ السلطان
ما أباه واستبد له الخط بغرامة ما جناه على أمواله ورعاياه فبذل خطه بمائة ألف دينار
ثم لم يزل يتبدد إلى أن عرض حال الفاقة وعدم الطاقة ثم استحلفه السلطان بحق
رأسه على ظاهر أملاكه وعلى إغلاق صدران ووجد على الطلبة ما لا مفرجا ومجمعا

نيشابور

ومدفونا ومستودعا وبقي على جملة بنيابه اولاده معفي عن الادهاق والتعنيف
مصونا عن التجاهل والتكليف الى ان ظهر له ما ذكر مال عند بعض التجار سلخ وديعة
وامر بوضع الدهق عليه لاستصفائه واستخراج ما وفاه بنفسه ودمائه وما بقي من
دموع اجفانه واتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة حاله واستبرا ما
يصدق او يكذب من مقاله والدهق يمر به على الدوام وينال منه يوما بيوم حتى اتاه
اجله وحاق به ما كان يستعجله بذلك سنة اربع واربع مائة ولما عاد السلطان ووراه
ما سمع فيه وهباة ابن من المساءة روح مطوسة ونفس بين اطباق الثرى مرموسة كذلك
من اثر المخلوق على الخالق ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق وقد كان ادرك له ولد في
صدر وزارته يعرف بابي القاسم محمد ابن الفضل فبرع بمبعة الشباب في وجوه الفضائل وكاد
حتى استطار ذكره واستطال قدره واستفاض نظمه ونثره فمن شعره قوله في ابيه شعر
لقد ارى ابو العباس جودا ۞ على جود الربيع لمعتفيه ۞ ففي احدى يديه ممات قوم ۞ وفي
الاخرى الحياة لمرتجيه ۞ لقد خضعت لك الدنيا وذلت ۞ فهل مرفي سواه فرتقيه
واقبل نحوك الاقبال حتى ۞ غدا نصرا واثنا الزور فيه ۞ فورد الفتن وزسعيدا ۞ ربيع
الجد في عيش رفيه ۞ وله ايضا ۞ وزنجية قادت الى القوم بضية ۞ لينكحها من كان
يعشقها قدما ۞ فقام البها واحد بعد واحد ۞ ولم يرفعلهم الا ولا ذما ۞ وادركته
حرفة الادب فاختطفته يد المنية انضر ما كان عودا وانبته عودا واهره سعودا والحده
قياما وقعودا وحكى لي بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم يروي بيتا تلقنه في المنام وهو

اري الدنيا وزخرفها ككاس ۞ تدور على اناس من اناس ۞ فلا تبقى على احد كما لا
يدوم بقاؤها في كف حاس ۞ فنظر لهم سنه ولما انقضى نحبه زاد ابو الحسن المؤملي الكاتب فيه
ابياتا وهي شعر ابعد محمد ابن الفضل ارجو ۞ امانا لي من الدهر العماس ۞ اساس الفضل كان
به فاودى ۞ وابقى الفضل منهدم الاساس ۞ فتى بز في نظم والنثر اوفى ۞ على ابن دريد
وابي نواس ۞ رايي في النوم معجزة جرير ۞ يقصر دونها ابو فراس ۞ ساحفظ عهده
ما دمت حيا ۞ وحفظ العهد من كرم النحاس ۞ ورثاه بعض اهل العصر ۞ يا عين جودي بدم
ساجم على الفتى الحر ابي القاسم ۞ فقد كان بعد منى نفس ۞ لولا التسلي بابي القاسم ۞ وقد
كان الماضيين بابي الحسن ابن الفضل المعروف بالحجاج بفضل ساطع نوره وعلم جامع
سوره وحلم ثابت طوره وجود موكل بانثاره اما الى الاحرار صوره فتى السن في حصافة
الكهول الجبان الراي في شجاعة الشيوخ الادهم الباس في غرة التحاح فقدم الجبان في لقي
الفصاحة يذب لاعمال جوزجان فدرت على الناس ولاينو ونقل الى اعمال الناقفة
عن فضفاض كفايته يصون الاعمال صيانة عرضه عما يصد به ويحيي الاموال الحباشرة
عما يرديه ويميت بدع الرسوم اماتته ذكر اباديه تنموا الرجال باباء واونة ۞ تنموا
الرجال بابناء وتزدان ۞ كم من اب قد علا بابن ذرى شرف ۞ كما علا برسول الله عدنان
ذكر وزارة الشيخ الجليل ابي القاسم احمد ابن الحسن رحمه الله تعالى وسعه قد كان الشيخ الجليل ابو القاسم يلي
ديوان الرسائل للسلطان ايام سالادبنه بخراسان وهو الكريم نسبا العظيم حسبا الاقرع
مجدا وحبة الوثيق بابا وروية تنادي عليه اقطار الارض بفصاحة القلم وسجاحة

التيم ونفاسة الحم واحتقار الدينار والدرهم ودرجة وغادة السلطان على تصاريف الاحوال
به الى ان وقع عرض عساكره في اقطار مملكته وزادة اعمال البست والرخج ومادة الاعمال باموالها
وارتفاعاتها علاوة على ما ولاه مقام بجميع ما يولاه قيام من وفقه الله وحدا عليه جوده
بني الامال من اطراف البلاد فوسعهم جداه وغمرهم نداه وكتب لهم امانا من الفقر يداه
فاما من يؤمن بالمعجزة الصادقة الصادعة منها الامر شاهدها عيانا واستغنى
عدو لحياته عليها شبرا وامتحانا وكان الوزير ابو العباس لا يصدر الا عن رايه ولا يخشم
غيره في تصاريف عزماته وانحاية لفخامة شانه ومكانته المعهودة من سلطانه ووساطته
بينهما في معظم ما يوجبه ويرجيه ويحبيه ويتقيه ويبديه ويأبيه ويقدره ويفريه
ولما وهت عليه قوى امره وانكرت سورة خمره واتفق للسلطان ان يرحل نحو ناردين في
الغزوة التي تقدم ذكرها استخلف الشيخ الوزير على مهمات بابه وامداد صاحب الديوان
فيما يليه وبحرية بصواب رايه وبعثه على مواصلة الحمول عن فرط رايه وغنائه
فهو متشم بالوزارة غير متسم بها الى ان اتفق السلطان استدعى صاحب الديوان
في عمال خراسان لرفع الحسابات وتقرير المعاملات فنهض اليه كل رئيس ومرؤوس
وشريف ومشروف ومستعمل ومعزول وسمين ومهزول فاتخذوا الطم والغض
جراما ووضعوا الاوزار على الراح توكلا واستسلاما ووافق وصولهم ركضة
عزمها السلطان الى الهند فنشب عليهم الاذناب عسكره ما راه ووكلهم باستخراج في
مدة يومين لاهتمام الركض وضيق الوقت فغصبوا اعصاب الكرم وسلخوا اسلخ

الغنم واقيموا على جمر الضرم ونكسوا على الهام والقمم حتى اعتصر ما منهم عن تضاعيف
اللحم والدم وعندها صب السلطان على الشيخ الجليل خلعة الوزارة وفوض اليه
مهمات الامارة وامر بمحاسبات العمال ومطالباتهم بما صار في ذممهم من الاموال
محكما في العقد مخيرا بين الاخذ والرد وسار السلطان نحو مقصده واقبل الشيخ الجليل على
ما جعل بصدده فهذب الامور ونظم المنثور ووظف الاموال وصرف العمال
ورد صاحب الديوان ابا اسحق على جملته الى خراسان مستوفيا عليهم ما يلزمهم من حال
وباق وعتيق وناض وقعد في الدست كالبدر المنير والسيف الشهير مفردا بالتدبير
محتشدا لروعة الملك وهيبة التدبير فلما اتفق عود السلطان الى قراره عن غزوته شاهد
الامور في كنف وزارته منظومة العقود مضبوطة الجنود والاموال وافرة الربوع
حافلة الضروع رسم لصاحب بخد الى خراسان مستنظفا ما وهي او وهن صاحب الديوان
في جنايته واستيفائه وقصر او قصر عن بلوغ ضبطه وامر اميره واتخذ ذلك اهراة وهيبة
تاخذ النفوس بخنقها وتخلع القلوب عن معلقها وتكاد ينطق له كل مال مخزون
يلفظ اليه كل درهم مدفون تجمع عن كتمخ النفوس بما جمعته واستكراهها عما منعته
مالا لم يسمع بمثله محمولا من خراسان اذهابا واوزاقا وعصبا حقيا وعلما نادسا فاو
اموالا عينا فاو ملاقت الرغائب على صاحب الديوان بما ناله من صنوف المتاعب ووجوه
المطالب فامر السلطان بتجهيزها تنبيها وحملا الى بيت المال قريبا فاعتزل العمل ونزل عن
كل ما حصل وفرغ من بعد الى الخاص املاكه وضياعه ومواشيه وكراعه وبحمله واثاثه
حتى حلي اثاثه بما اعتقد منها على مال مصادرة وما جمع عليه من بقايا عمله وكان

ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم يعن بها في سالف الايام ولم يروض بنانه بخدمة
الاقلام فانقلبت المخاطبات من ايامه الى الفارسية حتى كسدت سوق البيان وبارت
بضاعة الاجادة والاحسان واستوت درجات العجزة بالكفاة والتقى الفاضل والمفضول
على حظ الموازاة فلما اسعدنا الوزارة بالشيخ الجليل اسعد الله به جدود الافاضل
وورد بمكانه خدود الفضائل ورفع الوية الكتابة وعمر افنية الاداب فحرم على
اوشجيه دونا نه ان يتكلموا الفارسية الا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه وعجزه
عن فهم ما يتعرب به عليه وطارت توقيعاته في البلاد ولا شوارد الامثال وابيات
المعاني من القصائد الطوال ففي كل ناد نداء بالحانها وفي كل مشهد شهادة باستحسانها
فاما الشعر فقد نثر عليه ملحوده وسعد بسجوده وفتق بالعذب الرداء صبيحوده فاربا
كالعنادب تغريدا بمنابره والقماري تسجيعا على الضرب المادي من صرآب فهو بعد
في الناس غياث ورحمة وبفضله لاهل الفضل ثمال وعصمة وانفرد بتدبير العباد والبلاد
بناء على الاساس وحملا على الاياس واخافة مع الايمان ومكافاة بالاساءة والاح
واسواء لجراح القلوب بمراهم الترغيب وانكارا بمعروف العبارة سابق التجربة
اشارة على السلطان في امور مملكته بما يفضل عاجل التوفير واجل الثواب العزيز الاجر
انتر استتب الامور بعنايته واندث التوع على ارائه وكذلك من كان على العلم ايراده
واصداره وعلى البصيرة ارجاؤه وبداره ذكر شمس المعالي قابوس ابن وشمكير وما ختم من اجله ونفذ
فلك المعالي فيه من قضاء الله وقد كان ذلك الامير على ما لخص به من المناقب والراي البصير بالعواقب
والمجد المنيف على النجم الثاقب حر السياسة لا يستاغ كاسه ولا تومن نجال سطوته

وباسه مقابل زلة القدم باراقة الدم ولا يعرف في ادنى درجات العثار وان لم يقصد
اليه مراد ولم يترك في كسب اعتقاد غير حد الانتقام بحد الحسام والتقلقل عن مركب اللجاج
لا يذكر العفو عند الغضب ولا يعرف معنى السوط والخشب ولا يرى الحبس الا ما بين الصفائح
والترائب وهلك على خشونة هذا المس وصعوبة هذا البطش قيام من حاشيته لو استبقاهم على
خفة اجرامهم لكانوا انسب الجلالة والبق في الاصالة والعدالة فما زالت هذه حاله حتى
استوحشت النفوس منه وانقلبت القلوب عنه وتحنث الصدور عليه ومالت عنه
الاهواء المائلة اليه اذ كان احد لا يامن العثرة ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب ملحقا
بالخطاء اليسير صارت النفوس مختلجة والارواح مستباحة والمرء من الشر لامن ورق
الشجر فهو اذا مات فقد فات وليس مما يعود بعد ما عري العود وانفق ان حاجبا له
كان يعرف بحاجب نعيم وهو احد الكراكلة في حدود جرجان عدهم الغايلة والعادية عليهم
الناجمة من بين افناء الحاشية وكان اعتمد لضبط استراباد وسياستها فرفع عليه انه طمع
في بعض رعاياها في مال او مال الى الانتفاع منه بما ادى فامر بقتله وتعليقه عن خيط
رقبته وهو ليتعيش مفصحا ببراءة ساحته ونقاء جيبه وزلة فصور وما سعي به عليه
لو صح اسناد معن امانة نفسه واراقة دمه فزاد قتله في ابغار الصدور واضغان القلوب
وتوامر عند ذلك اعيان العسكر على خلعه ونزع الايدي عن طاعته وكفاية النفوس
شغلها بثقل وطائه وخشونة سياسته ووافق هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان الى
المعسكر بجناشك استنشاء الاهواء عن لفح الحرور وعند طلوع الشعرى العبور فمضى عليه

وجه الصورة وشذ عنه علم تلك المشورة فلم يرعه ذات ليلة غير زحام العسكر بباب القلعة
التي اعتصم بها وانتهابهم امواله ودوابه واسمو بغالهم مرامهم قسره واستنزاله فهم في
وجوههم من كان نوائره ولاة بقاياه محاميين من ورائه حتى انكشفوا عنه صاغرين وولوا
اعقابهم داخرين ومالوا الى جرجان فملكوها عليه معلنين بشعار العصيان لابسين
عار الكفران وبعثوا الى الامير ابي منصور منوچهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه
على الورود لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب استعظاما
للحادثة بابيه واكبارا لما انفذ من الكيد فيه وطمعا في تدارك الخطب قبل الافتتان فلما دنا
منهم مضربه توافقوا على طاعته ان خلع اباه وابتزازه رداء الملك ان اباه فلم يجد في
عاجل الحال غير المداراة ضبطا لما انتشر وتشاغلا عما استعر وصونا للستر لحمة من
الانخراق وابقاء على بكر الفساد من الانبثاق واشفاقا على البيت من الضياع وعلى الملك
من التخفط والانتزاع وقد كان شمس المعالي لما سمع بنباء القوم واجتماع كلمتهم على الخلع
عطف بمن معه وما استصحبه من رجال ومال الى ناحية بسطام ناظرا ما يسفر عنه عاقبة
التحزب وتنتهي اليه ثائرة التغلب والتوثب فلما دنا منه ابنه حملوا الامير منوچهر على
فصل عن مكانه او رده فسار معهم اليه مضطرا او دافعا بالشر اكالجمل الانف ان
قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ فلما وصل الى ابيه اذن له دون من يليه من اتباعه
وحواشيه اذ قام دونه رجال يرون الموت تهددا دون حد الانه والروح وقفا على تكرمه
احسانه فلما وصل اليه كفر طاعة وخضوعا واسبل اوربه الشئون دموعا وتشاكيا موده

الحادث وتذاكرا حق الموروث والوارث وعرض الامير منوچهر ان يكون حجابا بينه وبين
اعاديه وان ذهبت نفسه فيه وراى شمس المعالي ان العارض تصادى امره وانه احق بولاية
ملكه وولاية الامر من بعده وسلم خاتم الملك اليه من يديه واستوصاه الخير بمبادرة ما في
فسحة من امره وتواضعا على ان ينتقل هو الى قلعة جناشك متفرغا للعبادة الى ان ياتيه
يقينه فيسلم له نفسه ودينه وان ينفرد الامير منوچهر بتدبير الملك قربا وتقديما و
تاخيرا وقدما اليه عمارية على هذه الجملة فانتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه
لخدمته ومعونته على ضرورة مصلحته وعطف الامير منوچهر الى جرجان وولي التصدي
لضبط الامر واخذ بايدي القوم ترغيبا وتطبيعا وبينهم الاحسان جميعا وهم على
جملة النفور خيفة الثبور ما دام شمس المعالي في فسحة البقاء وزمرة الاحياء وما زالوا
في الاحتيال عليه حتى فرغوا من امره وسلوا كما زعموا من غائلة شره ولم يرضوا به
وهو في صوان الاموات حتى كشفوا عن محياه رداء الحياة وطابوا نفوسا بخبر عدم شمس المعالي
قابوسا وادرج في مقبرة كان ابتناها لنفسه بظاهر جرجان على سمت خراسان وقد كان
في معناه كما قال مهلهل شعر نبئت ان النار بعدك اوقدت ‌ واستب بعدك
يا كليب المجلس ‌ وتكلموا في امر كل عظيمة ‌ لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا ‌ وعقد
الامير منوچهر المأتم ثلاثة ايام على رسم الجيل فحسر الرؤس وضرب النفوس ورفض المنام
وهجر الطعام ولما قضى ايام التعزي بنى المقبور واستوثق على البيعة الترود شعر كان لم يكن
بين الحجون الى الصفا ‌ انيس ولم يسمر بمكة سامر ‌ ولما سمع القادر بالله امير المؤمنين بخبر شمس المعالي

واستشار قضاء الله بمخاطب الأمير منوچهر معزيا ومسليا ولقبه بفلك المعالي
مشرفا ومحليا وعزم الله له على الصواب في اختياره والرشد في ايثاره ففزع الى السلطان
يمين الدولة وامين الملة معتصما بحبله معتصرا بظله مستنصرا في متابعته مستغنيا
رداء عنايته متلافيا وهن المصائب بقوة اسباب الموالاة ورعايته والهض عدة من ثقاته بابه
بمبار موفورة ونفائس مذخورة ورسائل على صدق الاخلاص وصفوة الاخلاص مقصورة
فصادف ما رجاه رغبة في موالاته وحرصا على تمهيد مرضاته وتردد السفراء بينهما
على رباثة هذا الحال وتوكيد عقد الوصال واحتكم السلطان عليه في اقامة الخطبة له
له على منابره ولابانة امتحانا للمقصد وقد عقد في موالاته والهض اليه ابا محمد الحسن ابن
مهران احد ثقاته بما راى اصحابه من نفائس خلعه وكرامته فصادف منه قربا مجيبا
وسميعا مطيعا وامر باقامة الدعوة باسمه على منابر جرجان وطبرستان وقومس ودامغان
والتزم في السنة خمسين الف دينار اتاوة على عكم الطاعة والاخلاص علاوة واستدعى
السلطان على تعيينه ذلك وقد عزم غزوة نار بن انجاد حمهم بطائفة من الجبل والديلم
يحسنون حروب المضائق ويغنون غناء الكماة البطارق فسرب اليه الفي رجل من خلص
الجيليين ان راموا الوعور فوعول او قصدوا السهول فسيول وقد امر بازاحة عللهم في
اعطياتهم ونصب لهم من يقيم اودهم ودخلاتهم ويطلق مطلق الحاجة الى غنائهم ولحب
استحقاقاتهم ولما استحق السلطان باثاره في القربة مزيد الرتبة وبمساعيه في الطاعة قضا
الحاجة الهض رئيس جرجان ابا سعد الشولكي المقدم فضلا وادبا المحتشم حسبا ونسبا

رباية
الرباية العهد والميثاق والرباية بها شبيهة الكنانة يجمع فيها سهام الصيد وربما سميت جماعة السهام رباية ذكره الجوهري في الصحاح بالكسر

لاقتضاء مزيد الحال بوصلة بقوم الكفاة بخطبتها عنه والطاعة باستنجاحها له فنهض
في خفارة الادب بهديه وكفالة الرفق بما يذيه وباسه ولم يزل يداني الامر من بابه
ويستطلع المراد من حجابه حتى استمحت قرونة السلطان لما استدعاه واوجب الاسعاف
بما توخاه ولما انكفا الفاضل ابو سعد وزانه بصورة الايجاب وما صادفه من شرفة
المجد للاطلاب جشمه الامير فلك المعالي معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان وهو
شيخ العلم ودلة الحديث ورضيع لبان التدرب والتجرب لتنجيز النجاح وتاديب
عقدة النكاح فنهضا الى حضرة السلطان مقيمين رسم الخطبة وخاطبين ضم الندى
الى اللحمة فرئى السلطان يجتو مبذول العلق وعصيان سلطان النفس طاعة لرب
العزة وقلدا للامير فلك المعالي خلبا من كبده وسمح له بزهرة الارض من نجوم وله
واي نجم كان في فلك مداره لم يتعد داره اني ومدار النجوم الافلاك وازواج
الملكات الاملاك وجرى من الاستبشار باتحاد النفوس والديار وصب النثار و
المبار كالغيوث الغزار ما ارخ بكتاب الدهر ووسم بذكره سالفة العصر وعاد الى
بدر النجح الموقوف ولا السعدان يقترنان في الحوت وعندها تكلف الامير فلك المعالي
حرمة للقربى وتحلية من بدي التحوى ما لا يتبين من راء على الخلاف اصنافه ولغوا
نفوسه وافو افنان له همة الى قمة الجوزاء مرفوعة ونية على صدق الولاء مطبوعة
ولم يسو لحد من اركان الدولة وحواشيها والراتبين حول مراعيها من لم يقرطس بسهم
من سهام اللطف ولم يشرك بالبر المعهود بالشرف لا جرم ان السلطان رعى حرمة قرباه

وجراه غما سمحت به بمناه وافرد كلامه ومن فؤاد حوشه وافراد رجاله يخلع علت
اجانب الملوك كيف شريطة الجود والسماحة بالموجود وتقتضي المجد بعفو الراي دون
المجهود فاما صحيحة درة الصدف وياقوتة الشرف فما طال عهد الدهر بمثله
مجموعا في مكان محمولا من خراسان ولا عرفا الشمس تقي البدر نورا والجريد غ
مسجورا وقد كان فلك المعالي بعد ان استتب له امره واشتد بمظاهرة السلطان ظهره
دبر على احيان عسكره المشركين في دم ابيه فصدع ذات بينهم بوجوه الحيل وانواع العلل
حتى اباد خضراءهم وسقى ظماء الارض دماءهم ولحق ابن خركاش وهو القريب العاق و
الشاني بالداهية الدهياء فانثال تانها بين سمع الارض وبصرها تاباه الرعان والاناطح
وتلفظه القيعان والصحاصح فهما مترجانب القرار طلبته هامة الماضي بالثار فهام على
وجهه ولا فقيد ثقيف بين تشريق وتغريب وتصعيد وتصويب وكان احد من ثار
ذلك الشر على شمس المعالي ما شاهدت به الاخبار ابو القاسم الجعدي وكان ضاجع
جنبه وانحدر الى ذي ابن الحد كبادا على قتاد يرى كل صيحة عليه وكل حبش سهم اقوس
جنبه فامهله فلك المعالي زمانا حتى ظن ان لم دون شئون الآخرين شانا ثم اطنا
بتطميعه وترغيبه حتى اعلقه حبالة الاقتناص وابدى من الطمع في الخلاص وان لله تعالى
في امور عباده حكما معلقا بامادا معلومة وغايات محدودة فليس قبلها مستقدم
لما تاجل ولا بعدها مستاخر لما تعجل فانثال ابو القاسم حتى انسل هاربا واعتسف اليه
جانبا وما زال العلج خاله ولحياله حتى ورد نيشابور بظن وان بعض الظن اثم انقطا

الى السلطان على تغلل دخلة وادتهانه بما لف فعله مع ما تمهد في ذات البين
من عقود وتاكد من عهود واشترك فيه من طارف وتليد بجل عقال اتاسه ويكف عنه
ما حق عليه من بابن الله واسفاه كلا ان سوء الفعل حنق لا القائل لا محالة تبع
وشر المحن ما اومض بالخلاص قبل ابانه واستبقاء مدة النضح على حرابراية لبوهم
ثم يعقب الهلاك كالهرة تطمع الفارة في الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة الحقتها بعدو
لاجرم ان السلطان لما انهي اليه صورة حاله ومن قبله اسمع كبوة فعاله امر برده وزاد
في عقاله ولقد احسن ابن الرومي في مقاله شعر الخير مصنوع بصاحبه فتى فعلت الخير فيكا
والشر مفعول لفاعله فتى فعلت الشر اعطيكا **ذكر دارا ابن شمس المعالي قابوس بن وشمكير**
قد كان دارا ابن شمس المعالي بعد استيمانه من جانب ابي علي محمد بن محمد ابن سيمجور الى الامير
نوح بن منصور الرضى مقيما على خدمته بها في نعمة قسمها في جملة على ان فتح الله على ابيه
جرجان وطبرستان وانحاز اليه مستغيثا بجده عن خدمة غيره وصادف من الايناس
والاقبال ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم حدره شمس المعالي الى طبرستان فاقام بها مدة
دون مخالفة وملما على اوليائه ومواليه استنهضه منها على قرينة القت اليه خاتاه وهو بامرنا
يرويه صحة اديمه واستواجهد بشر يقدمه فاحسن استقباله وازاله ثم دعاه وقد ادناه
به فركب على قصد محله ثم عطف عطفة الليث الحادر نحو خراسان بين غياض تسكوا الا
بينها ضيق المجال والمضطرب وصعوبة المنشاب والمسرب واستصحب من ولعته وانقصه
من غلمانه واهل الثقة به فالى ان عرف شمس المعالي خبره واستركب لاقتصاص عسكره ماقد طال

الركض وحالت دون مناله الارض ولما شاد في حكم خراسان دفرقنا الامنة عليه بجناحها
الى ورود حضرة السلطان فقبله احسن قبول ولقاه احسن مقبول ومشغول ومازال يرتبع
به تمويلا وتخويلا وتفخيما وتبجيلا حتى اغتره فضل الانبساط وعز الانقباض ما هدمه
وهدم رتبته فاستوحش من عارض الاعراض واشفق من رهو التغير والانقباض فاذا
بظل الليل هربا وبات بطوى الارض تقريبا وخببا وامر السلطان بطلبه واتباعه في
وجوه مهربه فالحو حيث قامت الخيول تعبا ولم تجد السبو عليه مضربا فقرها على
ملتجيا الى النار المعروف بالشاه لحال بينهما في الصفاء معمورة واصول عقبا لوفاتها
فلما استقر به المكان وخبر حاله السلطان كتب اليه فاستردده وخوفه ان يأبى عليه ما بعده
فاضطر الى رده واسلامه عن يده وبقى في الحبس مدة يكابد بؤسا وشدة الى ان وجد
فرصة الانفصال عن ربق الاعتقال ففارق معتقله من حيث لم يطمع فيه احد ولم يكن
عنه لولا المقدور رأي ولا احد وابت عليه لجاجة المحنة ان يتم خلاصه وسبيله
مناصه واعترت عليه حتى اعيد في وثاقه وزيد في ذهافه الى ان سرح الله صدر
السلطان لاطلاقه فاتاه ثناء ثانية وانبت ريشه قادمة وخافية واعاد حاله بالاحسان
خاليه وبعد على ايدي الاضراب عالية وقعيه لولاية جرجان وطبرستان معقودا لابي
ارسلان الجاذب بعد ذوى النجدة من كماة الرجال وكفاة الابطال لولا ان الامير فلك المعالي
منوچهر سبق بتمام الرأي باظهار الطاعة وعرض ما وراء الوسع والطاقة ولما حالت حرمة
النفر بدون الاختيار عليه اشرقه السلطان الى حضرته فجرى ما دكان الدولة و...

العشرة لا يفارقه في حفلة ولا يزال معه في خلوة ولا يقعد عنه في وقت ركوب ولا ينفرد عنه
دون كورة وكوب الى ان ورد ابو الفوارس ابن بهاء الدولة بحضرة السلطان منزعجا
عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه مستظهرا به على معاودة مملكته وارتجاع بيته
ونعمته فجمعهم ليلة مجلس دارت فيه الكؤوس وطابت النفوس وجرى حديث السلف
والخلف واغراق من اغرق منهم في الشرف فعطو ذلك ابا الو... وسكت عنه لكان اشبه
الحدة وحكم الحكمة ووقف الاجماع على بضاعة العشرة وحملة رمز الانكار على قصد
المرادة وركوب المحاقة حتى تادى به الامر الى ازعاجه عن مكانه واشخاصه بعقبة
الدل على سلطانه وامر به في غد فردّ في الاغلال وحمل الى بعض القلاع وقبض على ضياعه
فلحقت مجرى الحوزيات تشغل اسوة امثالها الى ان سأل الشيخ الوزير في بابه فامر
بردها معونة له على مصلحة حاله ومؤونة اعتقاله وذلك في المحرم سنة تسع واربعمائة

ذكر مجد الدولة ابي طالب رحمه الله قد كان فخر الدولة كتب الى ابي العباس تاش وهو بجرجان
منحدره اليها عن خراسان على لسان الصاحب مبشرة بولادته ولجزاء الله اياه في الصنع
على كريم عادته وكان مما كتب وقد رزقني الله ولدا كنيته ابا طالب طلبا للتلاهة
في مدة شوسمة رستم لانه من اسماء نصابه وارومته فلما اخترمته المنية بايع الناس
مجد الدولة الا ان التي قامت عنه كانت اختا للاصفهبد بفريم وسائر مملكته الجبل وهي
في منعة من اهلها وعزة من جانب ارضها فتملكت على الديلم واستأثرت بالامر والنهي
والحل والعقد وجرت بينه وبينها مكاوحات ادت الى استنهاض بدر ابن حسنويه اليه

وامتلاء كما الري عليه وجرت بينهم منا وشات افضت بالديلم اولا وباهل الري ثانيا الى بؤس وفاقة ودماء مهراقة وفتن ليس لها قائدة فواق من افاقة وعن كل قريب يعود الخلاف حبل الصلاح منقطعا فنتج عنه ابادة الرجال واستباحة الاموال وشن الصلحا في البلاد وضراوة السفهاء بالافساد ولما عرض مجد الدولة بالامر وبما ينقدح اللوم من شرر الشرائر البرئ في الاعتزال عن سمة الامارة وحملة الاعتراف لها بالطاعة على ترك العقوق المفضي بمن يخشى ولا يشيء وعاينه الاحطة الاحتناك المشفي على خطة الاجتياح والاستهلاك فلزم البيت منفردا بالكتب والدفاتر ومبيضا وجه الفضل بسواد المحابر وانفرد لخو شمس الدولة بولاية همدان وقرميسين وما والاها الى حلوان وبغداذ وورث بدر ابن حسنويه اموالا عظيمة طال ملحفظها صدورا لقلاع مكتومة وختمها حنوطا الاكياس مختومة فلم يلبث الاقليلا حتى اشتغر قتها صلاة الرجال واستنقد تها حقوق الامال ثم له في التحقق بالفضل والتخرق في البذل وقد كان ابن فولاذ فخم في دولة آل بويه واتوج قدره وانتشر صيته ذكر والتفت عليه صناديد الديلم ومشاهير الاكراد والعرب فالتمس المجد الدولة الكافلة بالتدبير ان ينزل له عن قزوين طعمة له ومن معه لينفرد بولايتها وجبايتها وكنا بزلوكان دولتهما وظهرا من ظهور حوزتهما يذب عنهما بيقه وسنانه متى دهاهما خطب ودخن على نارهما حطب رطب فنشابها الضيق وقعد الملك ويكودرة الدخل وادلينا اليه بظاهر العذر ومصدر الطرائف الري على قصد العصيان

نفسد ويغير ويقطع دون اهلها سبل من يمير وملا عليها ما يلي جانبه من قرى وضياع وربع وادبقاع الى ان استعان بالاصفهبد المقيم بقريم فلما في درج احجه فجمه من الجبلية اولى الباس والحمية فناوشوه القراع وصدقوا المصاع وجرت بينهما في دغايات ملاحم استلحمت كثيرا من الفريقين واصاب ابن فولاذ في ساقه نكاية المخته فولى فيمن تبعه على سمت الدامغان حتى الم بها فرم الرث وعالج الرث وكتب الى فلك المعالي منوچهر يستمد على عسكر الري على ان يقيم له الخطبة ويظهر له الطاعة ويلتزم الاتاوة فامده بالفي رجل يوذن اخاذهم بالآف وافرادهم باضعاف ويرن التراب فضا المرمان تحت المترهات والترتيب حقا على من حاد عن الترتيبات ووصل جناحهم بما قضى بنجح انقطاعه اليه واعتماده عن ظهر القدرة عليه ونهض نحو الري حتى اناخ بظاهرها واعاد الاغارة ومنع الماترة والمبادرة وغادر الديلم بها في ضنك البلاء وضيقة اللاوى حتى اضطر مجد الدولة ومن ولي التدبير الى ايثاره باصفهان فعقد له عليها وخلى بينه وبينها استمالة لقلبه استعاذة من شره فطار عند ذلك نعرة الخلاف عن راسه ورحلت حمرة العناد من صدره واقبل بروض عسكر على رشاد وسداد وبغل ابدانهم دون استبداد الى فساد وصرف عسكر الامير منوچهر وذا بهم بذكر صلاح حاله واستغنائه عن رجاله وعطف الى اصفهان خاطبا لمجد الدولة على منابره وذلك شهور سنة سبع واربع وكان نصر ابن الحسن ابن فيروزان قد انقطع الى السلطان يمين الدولة وانبر الملة اتام على خدمته الى ان نجعل لحاجته بنادجونبد برسمه فنهض اليها واتام بها

دستوتر عليه دخلها الى ان دعاه مجد الدولة من الرى فاعتسف اليها اشفاقاً من عسكر
شمس المعالى قابوس بن وشمكير ومكايد وعيون ربايا ومراصد فلما وصل اليها عرف
له حق قرابته وقوبل بما اقتضاه محكم طاعته واستجابته فبقى هناك سنين مرجوعاً اليه
اليه في الرأى والتدبير وموثوقاً به في التقديم والتأخير الى ان عثر منه مالاه لبعض
المخالفين فقبض عليه وحبس في قلعة استوناوند ومازال بها محصوراً او في مخلب الامتحان
ماسوراً حتى غض غلماه وردت ثانياً الى اهنا قولاه ووافق ما به خلع الديلم لجام الهيبة لعدم
السياسة وانفراد مجد الدولة في بيته بالدراسة وتبسط الديلم فيما شاؤا من غصب
وقطع ونهب وكبس ونقب لا يرتدع منهم الا من اشعره الله المخافة واودع صدره الرحمة
والى ان قام ابو نصر بن الحسن لمنع اولئك الضلال ولجناح منهم فريقاً واوسع الخونين
تمزيقاً وتفريقاً فلما رأى القوم ما دهاهم في اضرابهم من حصد واستيصال تجمعوا
على حصن وقتاله واحاطوا بداره فداخلهم بمخاصمته ملياً ثم اشتى عنهم منهزماً وغادر ملكه
في الدار منهوباً ومغنماً ومازال يضطرب في محنته الى الخرمدينة **ذكر بهاء الدولة لما انقضى امره**
فلما كان بهاء الدولة بعد ان فتح الله على السلطان سجستان واعتل في موا الامر ذاعيا للمصافاة فانه
موثراً للمكاتبة حريصاً على مقارنته بحكم الجوار الواقع بين الدولتين والصقع الحادث
بين المملكتين ووافق ذلك من السلطان رغبة في مثله من جهة لشرفه بنفسه وسلفه ولما
حين لهما من الكفاية في الملك والملاءة في سعة الملك سفر بينهما السفراء على الخام سدى القر
واحصاد قوى المحبة حتى خلصت القلوب ونقيت الجيوب وتاكدت العهود

وعند هذا احب السلطان ان يجعل المصافاة مجاهرة والموالاة مصاهرة وانهض القاضي
ابا عمرو البسطامي شيخ الحديث بنيسابور الى فارس وهو النبيه فضلاً الوجيه محلاً والامام
علماً وتحقيقاً والحسام لساناً فصيحاً وذكاءً وتيقظاً فصادف من اجلال بهاء الدولة واكرامه
واظهار اللطف عليه في مراعاته ما اقتضى جلالة من اصدره وساعده القدر في كل
ما قدّره واقام عليه منقولاً من مجلس الايجاب الى منتدى الاكرام ومن ذلك الى الاقبال الى
عانق الاكبار غير ان بعيد طلوعه عليه وافق منه علة احدثها سوء المزاج بين الفال والرواح
والراح فاعتاه تنجز المراد على العارض العايق وقد كان فخر الملك مقيماً ببغداد وهو
الوزير والنصر ومن اليه الرأى والتدبير فختم القاضي الى ما قبله لينفذ رضا فيما يوجب
صرف الرأى اليه وتاريب العقد عليه فاتفق مع وصوله استيثار قضاء الله بهاء الدولة
وانتقال روحه الى جوار ربه وبايع الناس ولده ابا شجاع ولقبه القادر بالله امير المؤمنين
سلطان الدولة فاستتب له طرف الامر واعتدل عليه عمود الملك وجرى له الطير
بالاقبال وحسن الفال ولما عاد القاضي الى ما قبله لم يمكنه من ذا انجح اباه فيه وكلموا
بنفسه اذ كان دونه رسولاً الى ابنه فصدر محملاً من رسالته في وداثة الود والوفاء بالعهد
العهد واشتراء الخلوص بناصية الجهد ما اقتضاه حكم الابتداء بغرس الود وتتميماً
بالوفاء على ظهر البعاد وقد كان الامير ابو الفوارس اخو سلطان الدولة فيما
بكرمان فنجم بينهما الخلاف فانتهى سلطان الدولة بتجريد الجيوش لقصده واستصفاء
تلك النواحي واستخلاصها من يده فنهض هو لمقاومتهم وكفت قادتهم واوقد ابنهم

[ارادة واكباره حملوه على العاتق]

بينهم حربا افنت الرجال اكلا وشربا ولحت الارواح طعنا وضربا واسفرت الكشفة
باتباع الامير ابي الفوارس فانقلبوا امنهم مبين واقبل هو نحو سجستان يؤم حضرة السلطان يمين
الدولة وامين الملة ممتطيا رجاءه ومستنهضا كرمه لرده وراءه وقد كان انهى الى السلطان
خبر اقباله امر ابا منصور نصر بن سحى النايب عن الامير المظفر نصر ابن ناصر الدين
بخدمته استقباله وتكلف الواجب من انزاله وانواله من معمر طبقات رجاله ونثر عشرة
الاف دينار له من خالص ماله فبلغ من ذلك مبلغا شهد من كان شاهدا بسجستان من
قرابها وطراتها ان احدا من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف مثله لاحد من اولاد الملوك
بل ان مثله يتبجح به من ثناء البحور فكيف اقطار الصدور واكتسب ابو منصور بذلك
ذكر العقد بالنجم ضفايره وافاض على الشرق بعضه وعلى الغرب سايره ولما وصل الى حضرة
السلطان وجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال وتلقى عظيم خطره بالاجلال وصل اليه
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام وكل ما ينتمي الى قبيل الاكرام ما وقع عند
الخاص والعام موقع الاستعظام ملا الهمة التي ترى الدنيا وجميع ملكها شعرة
من اثار دهنها وصوفة مصوفة من اوبارها وعرفة من بحارها بل قطرة من امطارها واقام
قرابة ثلث اشهر ضيفا لا يتميز عن الادنين ادخاما وشيحة واثنا باقربيته حتى اذا
نشط للانصراف والتمس معونة على غارض الخلاف ونأج السلطان لما استدعاه
فاعطاه فوق رضاه اموالا احفت اقلام الكتاب واوهنت انامل الحساب والعض في صحته
ونصرته ابا سعد عبد الرحمن ابن محمد الطايي احد مشايخ بابه وافاضل كتابه في رجال قد

قد تعودوا النصر منذ خدموا رايته فلم يعرفوا وجه الانقلاب الا بالانقال على
الاكفال شعر تحملت ظهره اخرى شواكلها من طول ما حملت سبيا على الكفل وتوجه
الامير ابو الفوارس فيمن بقي من سائر خاصته نحو كرمان فجلا عنها من كان ولي عليها عاملا
بعجزه عن المقاومة وافتضاحه ان تعرض للمحاكمة فملك تلك النواحي ملكه اياها من قبل
واقام بها ابو سعد الخان قرب تلك الامور ودرب البجابات التطور ثم كر وراءه من
كان وابرسهم وبحث قيادتهم واتت على ذلك مدة من الزمان تمنع حشمة السلطان وحرمة
الناهضين من اتباع وابنه في امره وسمه بعز عنايته ان يقصد بما يوهم خلافا عليه حتى اذا
غادرت تلك الجيوش غزنة وانفرد الامير ابو الفوارس بالتدبير وارتاش بعد التجرد ترب
سلطان الدولة عسكرا ثانيا لمواقفته واستخلاص تلك المملكة من يده فالتقيا على حرب
اشابت القرون تحكيما لظبى الصفاح في مخارج الطلى وتحويما لشبا الرماح على موارد
الكلى حتى تشربت الارض من صبيب الاوداد وتمغرت من رشاش الاكباد وعند هاذلت
قدم الامير ابي الفوارس فولى كبير الاثر في جيلا ولا دبيرا وانتهى به الركض الى همذان
حضرة شمس الدولة فخر الدولة فقضى فيه حق القرابة اعظاما لقدره واهتماما بامره
واغتناما للشكر واستعدادا للنصرة واقام مدة مديدة على هذه الجملة حتى استشعر
واشعر انه معزور ومقصود والى الامير سلطان الدولة مردود فنفر نفار الاوابد من
ضرب القلال والوحش من كفة الحابل وفارق مظنته قاصدا اقصد بغداد وسنشرح اذن
من بعد حاله وما انتهى امره بما كان عليه اوله

ذكر ايلك الخان وما انتهت الحال اليه

قد كان ايلك الخان

بعد الكشفة التي انجحت عليه بباب بلخ وركب جيحون وفاوده واته يضطرب على نفسه
غيظا تمادى هاه واسفا على ما اعياه وما زال بغاث طغان خان لغاه ويستنصر قد كان
على ما اوهن من قواه وفوت مراده ومغزاه والقدر له معاند والزمان مناكد وما كان
حتى طرحه الكمد على فراشه وفجعه عن تعليل بطيب فاشبعه التراب بعد ان جوعه الحرص
الاضطراب همة كانت معلقة بالاثير محلقة على فلك التدبير وعبرات هذا القدر فوق
يد القدير وما يصنع المرء بالجد اذا انوى الجد سافلة البير شعر هب دجى يجري لها اليم
ماءها وليس لها قطب بماذا ادبرها وقد ينهض العصفور كثرة ريشه ويلقط
اذ لا ريش فيها نسورها وكانت وفاته سنة ثلث واربع مائة وولي مكانه اخوه فما
السلطان يمين الدولة وامين الملة ووالاه وهاداه وهاداه مستلافيا بزعمه ما الخلل به
اخوه وسود ما ابيض حيث ركب الخلاف ذروه وجانب من جانب السنين جوشن لقصد
طغان خان وبلاد الاسلام من ديار الترك وسائر ما وراء النهر بعددهم على مائة الف
الف خركاه لم يعهد الاسلام مثلها على صعيد واحد يريدون ان يطفوا نور الله بافواههم
نبيا طالما صرع اهله واوردهم كما يورد الهلك محل فاستنفر من حفظ الاسلام حين
اجتمع اليه من رجال الترك ولحراس الغزاة والمطوعة قرابة مائة الف رجل واستكتب اسماء المتطوعة
من فظاظة ذلك النداء الهائل والبناء المائل وازلعت له القلوب بعد ان ثاعت النفوس
وتناصرت الادعية والذكور وسار طغان خان مستقبلا من اقبل اليه من جموع الكفرة الفجرة
بنيات مقصورة على الاستقتال واستقبال الاجال او ينزل الله نصره ويظهر حزبه تحقيقا

لما وعدهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه واله وسلم حيث يقول وقوله الحق انا لننصر رسلنا
والذين امنوا في الحيوة الدنيا والتقوا ايا ما تباعا على ملاحم لم يبد من فتق العروق ضرب
الحلوق وشد الخيول اصوب انواء ام صب دماء ولمع بروق او وقع سيوف وظلمة ليال ام
نهج قتال وفي كل ذلك يولي الله عباده بالايد المتين والنصر والتمكين حتى توقفوا ابيض الصبح
المستبين وطلوع النجم المشرق الجبين وبلا فو اليوم منصوص عليه على فيصل الحرب بعد
لزام نطاقه واذا دعلى الفريقين دهاقه فانما اعداء الله منكر واسكرا استوجبوا به الحدود
بالحدود البوائك فصبت عليهم من لدن لاح جبين الشمس الى ان ذكت بها اجاوهنا حجا
وكادت تصبغ على قمم الروس تاجا وانما اولياء الله فانتشوا نشوة طربوا معها للضرب
فوق الهام والعبث بطلايع الحمام لا جرم ان الله حماهم ونصرهم واواهم واظفرهم فغادروا
من جماهير الكفار قرابة مائة الف عثان صرعى على وجه البسيطة من نفوس موتوذه وروس
مبذوذه وايد عن السواعد مجذوذة تقري للضباع بل جفلى للسباع والوحوش الجياع وافاء
الله على المسلمين مائة الف راس غلمانا كالبدور واللؤلؤ المنثور وجواري كالحور العين
والبيض المكنون دسوارد غضت بها اقطار البلاد وضاقت عنها الطراز الذهنا وتنزل لنا
وذاهم تشلهم السيوف شل الانعام وتختطف ارواحهم بايدي الحمام وتطايرت بها البشائر
في ديارات الاسلام فنضرت لها الوجوه وضحكت القلوب بعد عموم الترهد ووفر الكمود
وتباشرت لها الدور حتى القصور والخدور لطفا من الله نعم لدين ارتضاه ووعدا ان يصل
بيد التاييد قواه ولم يلبث طغان خان بعد ان فرغ من هذه الحرب العظيم بابها الشديد كلبها

ارسلان خان ابو منصور الاصم

مراسلها ان استاثر الله به فنقله الى جواره وبوّاه مبوا الصدّيقين من دار قراره ختما
له بالشهادة وحتما عليه بالسعادة وورث مكانه اخوه صنوه في التقية وتلوه في
الامور الالهية يثبت المقام في دين الاسلام لا يعرف له جاهلية ولا يتقى منه عنجهية ولا
عجرفية يقيم الصلوة جماعة ويفترض العدل سمعا لله وطاعة وعمر الحال التي كانت بين
طغاتخان وبين السلطان يمين الدولة وامين الملة اظهار للمصافات واستشعارا للموافات
وايثارا للاشتراك على تصاريف الحالات وخطب اليه والى اخيه ايلك كريمة له على
ولده الامير الجليل ابي سعيد مسعود ابن يمين الدولة وامين الملة فاحسن الاجابة واغتنم
القرابة وترددت السفراء بينهما في ذلك حتى اتى على جملة التهادي ودحض الحال باتمام التراضي
الى ان حقت الحقيقة وتمت العقدة والوثيقة وانهض السلطان من اختارهم من ثقات بابه
لنقل الكريمة اليتيمة فجهزت وديعة تتاج عليها ملكان هذا صدر الملك وذاك ملك الترك
تخص بها الشبل بن الليث والوبل بن الغيث والتيار ابن البحر والصباح ابن الفجر الامير الجليل
ابو سعيد مسعود بن محمود ونقلت الى الحضرة ببلخ وقد صحبها من فقهاء تلك الدولة واعيان رجالها
من عدّ من ائمة المشرق والمطوّقين المانتي اليد واللسان على ما انجب الخاطبين بالجحبر
ودفعت الجمة في ذات البين وامر السلطان اهل بلخ قبيل الوصول بعقد الاذين
تكلف التجميد والتزيين فبلغوا من ذلك مبلغا اربو من الوسع مذخور والامر الرسم
مذكور ومسطور وراى السلطان بعد ذلك ان يرفع من قدره فعقد له هراة سرة
ملكته وتولجها ديره اليها بعد ان وصله بمال عظيم تعد من جزه وبوسعه تجملا وزينة

فنهض الينها رشيد السيرة حميد السريرة عادل الطريقة فاضل الخليقة خليقا
بالملك على الحقيقة وذلك في سنة ثمان واربع مائة ذكر الامير ابي احمد محمد بن يمين الدولة وامين الملة
جملة ما يمكن الافصاح به والايضاح عنه من حاله وذكر خصاله قول القائل شعر ان
الثريا اذا سرى فبنفسه . وابن السري اذا سرى اسراهما . قد جمع الله له المثل الى
خصايص الادب والتي لمع الرتب ما دل على انه ابن ابيه شرفا سمقت على النجم شرفاته
وكرما تعرقت لاهل الفضايل عرفاته خرج من حضن الكفالة خروج الابريز من جمر الكيّاث
والهلال من تحت الشعاع الشابك لم يعرف له طول ايام الايفاع غير الارتفاع الى اليفاع
على كرم الطباع وتقييد اللما ثور بالسماع وبذ الاما القطنة بد الطباع وارتياضا باداب البقاع
والمصاع حتى اذا نزع بداه برد الحداثة ولبس حداه طوق النهامة راى السلطان ان يوفيه
حق النوه ويوتيه شرط المرتقى ويجذب بضبعه الى حيث اقتضته الفراسة فيه واستدعته
العناية به والرعاية له فزوجه كريمة الامير ابي نصر الفريغوني والي الجوزجان وهي التي تجمع
الى الاصالة جلالة ذا الكفاية والى النعمة همة وعقد له على اعمال الجوزجان كما عقد
للامير الجليل ابي سعيد مسعود على هراة وهي التي وليها آل فريغون وهم الذين حكوا في العز
افريذون وفي الهمة المجنون وفي الغزارة والسماحة جيحون وولى ابا محمد الحسن ابن مهران
كفاية امور وولاية تدبيره فبرز اليها بروز السيف من يد الصاقل وهي على اهلها هي التي
العاطل واخذهم بنذى العدل الشامل وعدل في العطف عليهم بين الايامى والارامل
قلوب الخاص والعام وكفت النفوس مؤنة الاستخدام ولما راى السلطان حميد اثره ورشيد

مختبره ازداد شغفاً بآثاره وحرصاً على اصطناعه وايثاره فلم يخل من جديد انعام ومزيد حفاوة واكرام وسيأتي بيان خبر الاخوين الجليلين في موضعه من بعد باذن الله ومنه وتوفيقه

ذكر التاهرتي الداعي الى المصري

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة منذ شحذ الله عزيمته لغزو الهند محيياً لسنن آبائه ومقتفياً لنهج آثاره ومتاعبه بلحظاً على طريق النظر وسبيل الجدد عن سنن الاسلام للبدع المعترضة عليها في سالف الايام استبصاراً منه في الدين واستظهاراً على نهج الملحدين فقرأ الكثير وسمع التأويل وتتبع القياس والدليل وعرف الناسخ والمنسوخ وخبر الصحيح والموضوع وبلغ من اصول الدين ما لم يتخرج معه في الدين بدعة ورأى كل ما يخالفه نكراً وشنعة والقي اليه ان في غمار الرعايا بخراسان قوماً ينتحلون مذهب الباطنية المنسوب الى صاحب مصر ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض بتأويلات موضوعة تؤدي الى دفع قواعد الدين ودفع معاقد الحق واليقين وابطال معالم الشرع وتضييع احكام الله بالرفض والنقض فامر بوضع العيون عليهم والصاق الطلب بهم وعثر على رجل كان سفير ابن الله وبين اوليائه والملبين لنداء يعرف القوم باسمائهم واسماء آبائهم فنص على عصابة منهم مختلفي البلدان والاوطان واشخصوا الى الباب ورجموا بحت الصلب بالاحجار ولم يزل يفعل مثل ذلك باضرابهم ومن كان يخرج له ذكر بالقابهم حتى التقطتهم حجارة الرجم والرض عن بساط الارض وقد كان الاستاد ابو بكر محمد بن اسحق بن محمشاد زعيم اصحاب ابي عبد الله محمد بن كرام عزيز الفضل كبير المحل مذكوراً بالديانة الوافية والامانة البادية والخافية مشهوداً له بالنكير على الفرق الغالية والبدع الجافية فوافق رأي السلطان على اجتياح من ركب ثنيات الطريق

وعدل في العدول عن سبيل مخارف النعم ما منع التوفيق ونبههم على عدة زعموا انهم ضلال ولهم في فضول القول وسعة المحال مجال فسلكوا في اصفاد الآخرين ونصبوا عبرة للناظرين وازداد ابو بكر فيما يقرب به من ظاهر المحاماة على دين الله والمراماة دون حق الله وتطهير الاسلام عن كل ذي بدعة بينة او قرينة خبيثة اطبعت الرجال وامالت اليه الامال ذريته جنهم ووضع الله عليها طابع الدين فهي في جوار النجم علو مكان وسمو شأن وكفاك شاهداً لحاله ما ورد في الخبر المروي ان الله تعالى قال للدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاتعبيه او فاستخدميه واتفق بعقب ذلك ان طلع رجل من ديار العراق ينتسب الى الشجرة العلوية يذكر انه رسول لصاحب مصر الى السلطان بكتاب يحمله وبر يزوده فورد نيسابور وعد بسبب النسب ومد لسان التصلف للشرف فاستوقف الى ان انهي الى السلطان خبره ووكل اليه التدبير من مسالة صدده ونهض من بعد ذلك الى هراة متمداً الى الحضرة فامر برده الى نيسابور للتقرير بما يحمله على رؤوس الاشهاد وبمرئى ومسمع من كل حاضر وباد صيانة لخاص مجلسه عما عسى ان يضاف اليه من احاله وستر تحت رسالة فلما ورد الفهري وفتش عن صحبه عثر على تصانيف الباطنية واغاليط في الشريعة الحنيفية اصح منها في الاسلام خباط الجان ووسواس المبرسمين لا تؤخذ في محصول ولا توجد في معقول ومنقول وناظره الاستاذ ابو بكر على امور من جهة مرسله تفاوتت فيها الفاظه فلم يوجد له على نار الامتحان ثبات ولا الى وجه التحقيق وجانب التمييز التفات وما زال يضرب اخماساً في اسداس الى ان تبين له انه قد اخطأ في تحمل تلك الرسالة وحرم التوفيق في تقلد تلك السفارة وقضى ابقا ان التخلص

الى حضرة السلطان فلما وردها واستحضر مجلس حفلة وقد غص باعيان الاسلام سادتها
وكبرائها وقضاتها وفقهائها وغزاتها وزعمائها وهناك الحسن بن طاهر بن مسلم العلوي
ومن قصته ان جده مسلما لم يكن من اولاد الحسن الاصغر رضي الله عنهم بناحية مطروحة
حتى وابنه قسنه ولا نفى وانفى عنه فلما استقر معد ابو تميم بمصر خطب اليه بعض بناته
على ولده ابي منصور الملقب بالعزيز وسبب ذلك على ما قيل انه وجد في دواته رقعة
فيها: اني كنت من آل ابي طالب * فاخطب الى بعض بني طاهر * فان ذاك القوم كفو لهم
في باطن القوم كقولهم * في باطن الامر وفي الظاهر * فام من سفه جوزية * بعض منها
النظر بالاجر * فنبههم الشاعر الى امهم الجوزية بالعسكر لان كورها خوزستان وهي ام محمد
بن عبد الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بان لا واحدة من بناته الا وهي في حبالة وتحت
عقد تفاديا من الحاشية وتحرجا عن مصاهرته فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه عنه ونعتا
برتبته دونه وضع عليه يد الاستقصاء بعد ان اودعه الحبس سنين وخبطه خبط العشواء
بالسلم والبسه عن قصاص الغنى غلالة العدم وهلك من بعد على بين ثقال القوم عنت
عن محبته فلا يدرى كيف صار امره واين جعل قبره وزعم اخرون انه هرب من الحبس على
طريق الحجاز فاحتضر في الطريق وعند ذلك نجا طاهر والد الحسن المذكور الى مدينة الرسول صلعم
متأمرا على اهلها ومعه ابن عم له يعرف بابي علي بن طاهر وهو ختنه على اخته فلما مضى طاهر لسبيله
ورث ابو علي مكانه من الامارة الى ان اخرجه وبنوه ولداه هاني ومهنى دون الحسن استضعافا لهما
ابا منقرهما بالخال والدال عليه فرحل هو نحو خراسان ملتجيا الى السلطان يمين الدولة وامين الملة

وذلك في صفر سنه ثلث وتسعين وثلثمائه فلما وصل التاهرتي بزعمه رسولا صغر الشريف
الحسن شانه ووضع فيه لسانه وابى ان يكون له نبات على دوحة الرسالة وانتساب الى
بيعة النبوة وادعى عليه فساد الدين واستخفافه ضرب الوثنين فخلى السلطان بينه وبين
ما يستخيره لنفسه ودينه فيه فقام الى جيده بضربة غرقته في دم وريد وقد كان
القادر بالله قد كتب الى السلطان يمين الدولة وامين الملة بما تراقى اليه من خبر التاهرتي
وما يقتضيه الدين من التصلب عليه وتقديم الجد في الانتصاف للاسلام والمسلمين
فلما ختم امره بما تقدم ذكره انهى الى مجلس الخلافة صورة الحال وكم السيف افواه العدا
تقويل من الفضول بما ضاهاه وجرى الخبر على ما اثبته وتوخاه وكان مثل التاهرتي كما قيل
ومن يشرب السم الذعاف فانه * جفيق بان يتناب المنايا النواهض
ذكر الامير ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه وما تهيأ من امره الى ان دخلت في ايدي السلطان ابي القاسم محمود بن سبكتكين مملكته
وقد كان ابو الحسن علي بن مامون قد ورث اباه مامونا مملكته وقد كان قد استضاف خوارزم الى الجرجانية خطب الى السلطان
احدى اخواته تقوية لعقد الحال وتشديدا للحمة الوصال فاوجب اسعافه بما استدعاه وخاطب
اباه وتوخيا لرضاه ورد اليه من خطبه وصل باسبابه سببه ودر التهادي بينهما حتى صار
الديار واحدة والاثار لغير الاخلاص جاحدة وعبرت الحال على هذه الجملة في الانتاج
الامتزاج الى ان قضى خوارزمشاه نحبه ولقي بانقراض الاجل ربه وورث الامير ابو العباس
مامون بن مامون مكان اخيه وولي ما كان يليه فكتب الى السلطان يساله ان يعقد له
على شقيقته عقده على اخيه من قبل فهو نائبه في الطاعة مثل اتم لخلاصا وثانيته في القرب مثلا

اختصاصا فشفع السلطان فيه دواعي الكفاية واستجد للجمال رونق الطراءة وعقد
عليها عقدا خلطه فيه بنفسه وفرغ له فريقا من قلبه وخلبه وما زال الامر على جملة
الاشتراك والانبساك الى ان دعا السلطان داعي الاختبار الى سومه اقامة الخطبة باسمه
وانهض رسولا به يتنجزه العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه فصادف ذلك منه حرصا على الاجابة
وافراطا في التحلي بالطاعة غير انه عرض الحال فيه على من حوله من اعيان اشياعه واتباعه فطاروا
نفارا واصروا واستكبروا استكبارا وقالوا نحن اتباعك واطواعك ما سلم لك الملك عن
الاشتراك فاما اذا وضعت خدك وضعنا السيوف على العواتق خلعا لك وتملكا عليك
جهادا فيك فعاد الرسول الى السلطان بما رآه عيانا وسمع بيانا وعد ذلك افحش القوم بمجرة
الدم من وراء اجرائهم على ولي نعمتهم بالقول الفظيع والرد الشنيع وزعيمهم في الامر ينالتكين
البخاري صاحب الجيش فارجفوا خيفة وتوامروا على الفتك به غيلة وما زالوا التدبر
عليه الى ان دخلوا اليه يوم على رسم السلام فاذا هو صريع كاس الحمام لا يدرى كيف
قتل ومن اي وجه اليه قد وصل فبادروا ابا العباس لحده لذلك وبطوا ايدي الاصفاق
على بيعته وعلموا ان السلطان سينعض للحادثة ويقصد قصد الانتقام للوارثة فتحالفوا
على مقادعة ان غزاهم في عقر دارهم وحماهم عن سقوط اثارهم ولما انهي الى السلطان خبر
صنيعهم بولي نعمتهم وهو ختنه وشقيقه وحامي حقيقته انزعجت قوة الحفاظ للانتقام
اولئك الغدرة الفجرة والمرقة الفسقة فجاش لمناهضتهم على جبلة مسجورة وخطة على
ابتغاء ذات الله مقصورة وكان سعادة اياته قد لقنته اولئك العتاة البغاة ما انوه

استحقاقا للنقمة وبراءة من العصمة وتمهيدا لعذره قربا وبعدا في استخلاص مملكة كانت
غرايا له نازعة ولبابا لاقبال به فوسا ساعة وجر الجحافل كالجبال سائرة والبحور زاخرة
حتى اناخ بعقوتهم مستعينا بالله تعالى على قتالهم واستنزالهم الى مناهل اجالهم وتقاود
الجيش الخوارزمي وعامة قواده في ركضه على طلائع السلطان بياتا بعضهم بانياب الحديد
ان لم يلمهم للتشريد والتبديد فطار تحت خوافي الليل حتى انقض على ابي عبد الله محمد بن
ابراهيم الطائي وهو طليعة السلطان في كماة العرب حين انغض الكرى زاويتهم وشغل
برد الصباح نفوسهم واختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف القواصل وطعنا بالرماح
الذوابل وطار الخبر الى السلطان بركض القوم فزحف بجيوشه الى معترك الحرب وثبت
الخوارزمية من لدن طلوع الشمس الى ان حمي وطيس النهار جاهدين في القراع مجاهدين
دون المساكن والرباع يظنون ان يظفروا وقد غدروا ابن بناهم في جحور الانعام وادوا
من نديي الاكرام فهيهات ان الغدر قلادة منظومة احد طرفيها عاجل العار وثانيها اجل
النار ولم يشرف الشمس على التكبد حتى اضحت الخيول قد القبول دجا الاحكو لها الاقد
تصفت اصلابهم وانتهبت اسلابهم وفلقت بالسيوف هاماتهم وبضعت اجسامهم والهزمة
الباقون في الخمر الغياض على شاطي جيحون والصوارم من ورائهم تحطب دولتهم حتى اذا
واقفها تخللتها الطلاق صدافا واستاسر منها خمسة الاف رجل حقن الله دماءهم
عبرة للنظار وعظة لامثالهم من الغدرة الفجار وركب البخاري ظهر الماء موالا
في الهرب ومقدرا الخلاص من الغضب ولم يدر ان فعلة السوء تخرمه واقدامه على

مامون

نعشه برد بعوان خاز البشر لاجنه ساقط الأفنيه وجرت في التوقف بينه وبين اطرافه
منافرة جملته على الاستنشاق منه وبعث الملاح على استقبال العسكر بوجه التودد
فلم يلبث الا يسيرا حتى حصل في يد السلطان اسيرا واحضره السلطان مجلسه في سائر
القواد المأسورين بالتوانى هم عن استصلاح دم صاحبهم من غير ذاعية واخراجهم
من غير وطاة غاشية فرد جواب المستبسل المستقتل واما الباقون فسقط في ايديهم لا
يدرون ماذا يردون وامر السلطان بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابي العباس
مامون بن مامون خوارزمشاه وصلبهم اجمعين عليها مع علمٍ ممن اتهمهم بالدين
علاهم عن الناكبين عن قصد السبيل وامر بالكتابة على جدران تلك المقبرة بان
هذا قبر فلان ابن فلان بغى عليه حشمه واجترأ على دمه خدمه فقيض الله يمين الدولة
وامين الملة حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين وآية للعالمين وامر
من بعد بالأسرى فوضعت الأغلال في اعناقهم يقادون الى غزنة دار الملك فجا
نبعد فوج حتى اذ احصلوا بها وقد امتلأت منهم العيون وغصت بهم المحابس والسجون من
عليهم بالافراج وفرض لهم في جملة سائر الحشم والاجناد ووضعهم موضع امثالهم من ديار
الهند ربابا بحجوز اقطارها ويتفضون عن عيون العيث مناكبها واطرافها وولى حاجبه
الكبير التونتاش خوارزم فاقام بها فاقمعا بجوم الفساد وقاتبا عيون البغي والعناد الى
ان نصب ما فوهم واذعن للطاعة اقيناؤهم واستقرت تلك الاسباب ودرت الاخلاف
وذلك تقدير العزيز العليم ذكر فتح قنوج ولما فرغ السلطان من مهم خوارزم وقد انقضت

كاحدى اخواتها الى سائر مملكته الموحشة باثارها والابنية الموشعة باصباغ عد له
ودعائه رأى ان يختم صحيفة العام بطابع الاستتمام اجماما للركاب والركب و
تقليبا للراي الغزو بين جوانح القلب نعدل الى بست كالثمر قد جنحت للشمال وغادرت
نقطة الاعتدال والدنيا باجواشي المطارف وعواشر المصاحف وعقود الخانق
او نهود المعصرات الفوائق يديرا عمالها ويروي فيما صار آخر لها الى ان اذن الله في
معاودة غزنة متشابا سحاب الفكر في غزو يحقق اعجاز القران بما تضمنه من وعد الله
المنان في اظهار دينه المرقوم بسيد البشر ومولى البدو والحضر محمد تاج الانام وبدر
الظلام صلى الله عليه وعلى اله البررة الكرام وان سخطت نفوس وضرعت خدود
ورغمت معاطس وانوف وبعد ان كانت التقة قد بعدت عليه وعلى اعوان دين الله
الناصرين تحقيقا بذله بنور هدايته اذ كانت الهند قد تحققت من شواهدها واطرافها
سبيا وانتهابا وملكت على اربابها سهوبا وشعابا فلم يبق الا ما اجنه ضميرها من
دونها فيناف تضم عن كل عزيف وصفير وتضل منها وفود الرياح الابخفير واتفق ان
حشر اليه من اداني ديار ما وراء النهر الى اقصى حدوده زهاء عشرين الفا من مطوعة
الغزاة قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد مستديمين في ذات الله لا
يخطبون الجنان بصداق الارواح ويتامون الغفران بجدود الصفاح فحرك تلك الحا
تغيرهم وذمر نفوس المسلمين بكثيرهم واقتضى رايه ان يزحف بهم الى قنوج وهي التي اعيت
الماضين غير كشتاسب على ما زعم المجوس وهو كبش فرانه وملاك الاملاك بزعمهم في زمانه

فنادى بمن غزنة دار ملكه وخطة فتوح مسيرة ثلثة اشهر بين كتائب العقود والخوانق السود
واستخار ربه وسار وهجر النوم والقرار واستصحب من شهد من انصار دين الله واعوان حق
الله رجالا لا يقيمون اشتاق المنايا شوقا الى السعادة بالشهادة وحرصا على الموعود من الحسنى
والزيادة وعبر مياه سيحون وجيلم وجندراهة وايراوة وسكند رسالما في سالمين وهد
اودية تجل لغماقها عن الاوصاف ويمتنع اطرافها على الالطاف منها ما يغرغو لوب الفيول
فكيف كواهل الخيول دون ذهنين ثقال الصخور فكيف خفاف المطايا والظهور صنعا
من الله تعالى المن والالاء وعز يد وجهه في اسبداد رضاه ولم يطأ مملكة من تلك الممالك الا
اتاه الرسول واضعا خد الطاعة عارضا في الخدمة كنه الاستطاعة الى ان جاءه جنكي ابن
شاهي صاحب دزب قبهر عالما بانه بعث الله الذي لا يرضيه الا الاسلام مقبولا او
الحسام مغلولا فاظهر العبودية عن خاطر التوفيق وضمن الارشاد في الطريق وجعل
امامه هاديا ومخرجا واديا فواديا كلما انتصف الليل اذن بالرحيل خفق الطبول واستوى
اولياء الله على ظهور الخيول يجشمون الركض والسلوك الى ان يجنح الشمس من عند الدلو
حتى استظهر ماجون لعشرين من رجب سنة تسع واربعمائة ومازال يفتح الصياصي
والقلاع مبنية على ربود الجبال وحفافي القلال بحيث تلم سابغ الاعناق منى تخطت اليه
نواظر الاحداق الى ان شارف قلعة برنه من ولاية هردتيد وهو احد الراجا اعني الملوك بلغة
الهند فاطلع على الارض اطلاعة وهي تموج بانصار دين الله مسومة من فوقها الترائك و
حولها الملائك فزلزلت قدمه واشفق من ان يستباح دمه فراى ان يتقي بالاسلام باس الله

وقد شهرت حدوده وثلثت بعذبات العذاب بنوده ونزل في نحو عشرة الاف منا
بدعوة الاسلام منقادين عن عبادة الاصنام فحقق الله به ميعاده واحسن تفضله
اسعادهم واسعاده ثم امتد الوجيف الى قلعة كلچند وهو من اعلام الشياطين واعيان
اولئك الملاعين يدل على الملوك بعز اقعس ويرنو الى القروم بطرف اشوس قد قضى في
الكفر معظم عمره وغني بهيبة الملك وبطة الامر عن تجشم بعضوضهم ولم يقصد
احد الا ارتد عنه مغلولا او عاد عقد عليه محلولا لعزة حال وكثرة مال وقوة رجال
وعدة افيال وقناة معاقل وحصون وممالك عن مطامع الايام ومطامح الوهم ولا
مصون فلما راى السلطان قد قصد قصده وجرد للجاهد جهده رتب خيوله وفيوله
وذا اغياض لو رميت بافراد الابر لا تعبتها الارض باوراق السوق والشجر واغرى السلطان
به بعض طلائع جيوشه فبادروا اليهم يخرقون ملتف الاجام خرق الامشاط منابت الشعور
بل الاشافي معاوز السيور واعرضت للسلطان طريق من فوق القلعة المذكورة فلم يرع
اهلها الا البحر الاخضر والله اكبر والسيوف لا تبقي ولا تذر فثبتوا للجلاد متقتلين
وتواصوا بالمنايا مستبسلين والسيوف تاخذهم من فوق وقدام وتنصيبهم ما بين
لحوم وعظام وجلا بينهم بينها تتصل اتصال الكعوب وضرباتهم تتوالى توالي
الغيث المصبوب غير ان الله نعم منزل الحديد ذي الباس الشديد هو الذي اذا شاء
قطع واذا شاء نبى وامتنع كذلك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا مناة القلاع
فان نالت من اولياء الله فلاجر الاستشهاد وثواب المعاد وان نبت فلاعجاز القدر

داظهار العبرة ليعلم ان الحكم لله في كل مخذول ومعصوم وظل الخاذيل يتناسون بينهم
وقد غابوا سيوفهم نابية وسيوف اهل الحق ماضية وحلائبهم واهية وحلائب اهل
الدين اولى غالبة فما فوقها من جنس الانس ولا من زمر البشر هيهات ان الحديد بنحر
الجبال ولا حراك في هؤلاء الابطال حتى اذا مثل له شخص الطغيان في صوت الجدلان
تواصوا بالانضمام ناوذ آتهم من ذاخرة المياه يظنون انها تقيهم باس الانتقام وتحميهم كما
الحمام ولا يدرون ان الكفر لا يهدي سبيله وان الله يردي بكثير ما يحيي قليله لاجرم
انتصفاح الماء واقتصفاح الهباء فاوسعوا قتلا واسارى واغرقوا فادخلوا نارا
ولم تعدد القرقي والقتلى تزيد على خمسين الفا اصبحوا طعما للنسور والضبعان وقوتا
للتماسيح والحيتان وعمد كلنجد الى فتاة النبي فاهلك بها عرسه ثم كر فالحق بها نفسه
وانعم الله السلطان مائة وخمسة وثمانين راسا من الفيلة الضخام مضافة الى سائر ما
عليه حكم الاغتنام من نعم الله الجسام وقيمة الاحجار بالاقسام ولما وضعت تلك
الحروب اوزارها وحلت له الغنائم ازرارها عطف الى شط البلد الواقع عليه اسم
المتعبد وهو مهرة الهند بطالع ابنيتها التي يزعم اهلها انه من صنيع الجان دون الانسان
ابداع اشاير سقوف واحجار اوساط وحروف نرا ما يخالف العادات وتفتقر
الى الشهادات بلدا مبني السور من صم الصخور قد شرع بابان منها الى
الماء المحيط بها موضوعة ابنيتها فوق شواخص التلال لصيانة من مضار السيول من
الماء ومعاوز عوف السماء وعن جنبيها الف قصر مبنية كاكثر الابنية في الوثاقة مشتملة

بيوت اصنام قد هندمت بفواصل اعرافها بمسامير تحاوي سطوح البناء وتواري
ما وراءها من الحروز تحت الخفاء وفي صدد البلد بيت اصنام يحكي اخوانه او حين
ويجري مجرى اضرابه بل اتقن لا يهتدي الكتاب باقلام الدواة ولا النقاشون بلطائف
الخامات الى امثالها تحسينا وترويقا ونقوشا تخطف الابصار بريقا وكان فيما كتب
به انه لو اراد مريد ان يبني ما يعادل اشباه هذه الابنية لعجز عنها بانفاق الف الف
في مدة مائتي سنة على ايدي عملة كملة مهرة سحرة وفي جملة الاصنام خمسة من الذهب
الاحمر مضروبة على قد خمسة اذرع منصوبة في الهواء منصوبة قد الحقت عينا
واحد منها بياقوتتين لو بيع مثلهما على السلطان لابتاعه بخمسين الف دينار استرخاصا
ولم يتبين فيه دركا ولا اخلاصا وعلى اخر قطعة ياقوتة ازرق دبا من رونق الماء وبريق الهابا
تزن اربع مائة وخمسين مثقالا واخرج من وزن قدمي احد الاصنام المذكورة اربعة
الاف واربع مائة مثقال وكانت جملة الذهبيات الموجودة من اجرام الاشخاص المصوغة
ثمانية وتسعين الفا وثلث مائة مثقال وزادت الفضيات منها على ما قطعة لم يمكن
وزنها الا بعد التفصيل والعرض على كفف الموازين وامر السلطان بعد بنار الاصنام
فضربت بالنفط والضرام وجعلت سقوفها مواطي الاقدام وسار من بعد قدما يروم
قنوج وقد اتسق له الفال من تصحيفه فتوحا وعد صنعا من الله ممنوحا وخلف وراءه
معظم العسكر تطميعا لراجيال ملكها في اثبات لحقة الزحام وتقيما له قبل اللقاء بوجود
الانهزام اذ كان امراء الهند على غلبة غابها وقوة اسبابها طواعا لراي قنوج اعزازا

بمكانه واغترارًا بانفخام شانه ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك الرباع الا وضعها بالارض
وعرض اهلها على الاسلام او السيف وحاز من السبايا والنهاب والنعم الرغاب ما يعجز انامل
الحساب ووصل ثامن شعبان الى قنوج وقد فارقها راجيبال حين سمع باقدامه فرار من لا يرى
الهزيمة عنه عارًا ولا يعد الفضيحة به شنارًا وعبر الماء المسمى كنك وهو الذي يتواصف الهنود
قدره وشرفه ويرون من عين الخلد في الجنة مغترفه وان احرق منهم ميت ذر رماده بعظامه
طهرة لآثامه وقبما اتاه الناسك من بعيد وحرق نفسه فيه يرى ان ذلك ينجيه وهو في العاجل
يرديه وفي الآجل يصليه ويخزيه ثم لا يميته ولا يحييه وتتبع السلطان قلاع قنوج فاذا هي
سبع موضوعة على الماء المذكور الذي البحر المسجور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت للاصنام يزعم
المشركون متواترًا انها منذ مائتي الف سنة كذبًا وزورًا او عدوًا لا عن سنن الهدى كفورًا ويجب قد عتها
كانت عبادتهم لها واجرياتهم بالدعوا اليها وقد شرد عنها اكثر اهلها خيفة الايم الوخيم
وحلول النكير بالمتهم الضم البكم فمن بين ناج اعانه نجاؤه وثاو اباده ثواؤه ولم تنجه من
الحق ارضه ولا سماؤه ففتحها كلها في يوم واحد ثم اباحها لاهل عسكره ينتاهبونها طلقًا
حلالًا ويقتسمونها وقفًا واذلالًا وركض منها الى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة
وهم حتى لفاج وعتاة مالهم عن الفساد في تلك البلاد براح فثبتوا للقراع اشباه العقارب
خارجة والشياطين ماردة او مارجة حتى اذا اعوزهم الثبات واعجزهم النجاء وعلموا ان
لهم بالمسلمين طاقة وان دماءهم لا تلبث مهراقة تهافتوا من غرفات الجدران وشرفات العصاب
على شبا الرماح وظبى الصفاح استخفافًا بالنفوس والارواح واستسلامًا للامر المتاح لاجرم

السيوف اشربت الارض دماءهم واطعمت النسور اشلاءهم كذلك المنايا اصطفاها من
خطب اليها ولم تر له ردًا او لم يجد من نكاحه بدًا ولقد علي نفسه ذلك نحو قلعة
وصاحبها المعروف بجنداك بهور وهو احد ابناء الهنود وارباب الجنود لم يزل ذا
بالملك وسعة في الملك نعرض له راى قنوج منازعًا مادة الحرب مكاوحًا ومقارعًا
فلم يزد على ان تعب ولباه ونكل على الخيبة وراه وقد احاطت بهذه القلعة غياض منكا
كاعراف الجياد ومتداخلة كاشفار الحداد لا ينجيب الافاعي بينها للرقاة ولا يتبين
فيها للسراة وقد احاطت بها خنادق قعير الحفائر فسبحان الذي اناطه الثور بالثريا
فالى عنها انفراج ولا لها دونه انعراج فلما شعر المذكور برجف السلطان اليه في كواكب
دولته ومواكب جملته فقد قلبه في تقد الحذار وحبس نفسه وكان ذنب الفار وذاك الحق
فانه لم يملك الا ان يوليه قفاه فامر بقلع قلعته من اصولها وتعويرها على من بها
انقابها حلوبها وقفي آثاره بعفاريت انصاره ينهبون ويغنمون ويقتلون ويأسرون
حتى علم الكافرون انهم الخاسرون وكان المخذول يذكر ان اعوانه من كماة المقانب
وحماة الاشاهد ورماة الكتائب حتى رأى عسكر السلطان بين تلك المشاعب واثاره
بالقناء والقواضب والعتق الزواظر كالسحائب فعلم ان ضرب الثائر الغالب فوق
المخ ضرب النائب ولما فصل السلطان امر جندپال وذاق في مهربه الداء العضال
عطف على جنداي احد اكابر الهنود في قلعة شرد وهو يظن بنفسه ان القائل يعنيه
بقوله عطست بانف شامخ وتناولت * بيدي الثريا قاعدًا غير قائم * قد ذهب بها

عن ان يعطى غيره مقادة او يألف غير التعزز عادة وكانت فى غابر الايام بينه وبين

بروجيبال مناوشات تجاحش عن خبوط الرقاب فدامت حتى استلحمت رجالاً

ابطالاً ثم قام دست الحرب بينهما فاضطر الى التوادع والتكاف حقناً للدماء وصوناً

للاطراف وخطب بروجيبال الى ابنته على ابنه بهيمبال استدامة للالفة وامالة للقرب

واستدفاعاً للفساد واستبقاء للسيوف فى الاغماد وسرّح ابنه اليه على تنجز عقد الوصلة

وشرط الاشتراك فى اللحمة والاشتراك فى البيت والنعمة فلما حصل الختن فى يد حيلة

بحث فيه وقيّده وطالبه بعوض ما ذهب له على يد والده فعجز بروجيبال عن قصد قلعته

واقتياض بيضته واستخلاص ابنه من اسار محنته غير ان المنازعة لم تنفك بينهما قائمة الى

ان طلعت رايات السلطان على تلك الحدود وسفر صنع الله له فى المقصود بعد المقصود فاما

بروجيبال فلحق ببهوحد احد الثغر من بحصانة المعاقل وحزونة المداخل وخشونة المواقف

خلاصاً بمهجته واعتياضاً بزعمه على من يهم باقتصاص اثره واما احد ذاى فانه استعد للدفع

واحتشد للمقارعة اعتزازاً بوثاقة قلعته ولو ثبت لقلعته اولا المنعة ولو وقف خلفه

فراسله بهيمال بان محمود ليس من جنس اكابر الهنود وامراء رجالهم السودان السلامة من مثله

تغنم والجبن باسه لهنزم وقد كان اوفى منك حكمة واعلى اكمة لم يقم لضربة من ضرباته

حدوده ولم يف بقبضة من هضبات جوده فان رايت الافصاح فسألك او الخلاص بعض

ما استطعت مكانك فعلم ان الحق الذى قد نصحه وانه ان خالف الحق فضحه فتربّث اتقاء له

واثباته وخزائنه وامواله نحو جبال التاغى كواكب الجوز واجام توارى خدّ الارض عن عين السماء

بوجه مفصل ولم يدر ابن ساد ومن اى الاقطار طار امتطاء الليل ام اقتعد النهار

وكان عرض النصيح المظلوم فى تعريبه وتهريبه اشفاقه من حالة الامتناص

من كلمة الاسلام ماسيم اعمامه واقاربه قبل حين اضطروا الى الاستسلام والانقياد

فلما احاط السلطان بتلك القلعة وافتتحها على حصانة قواعدها ومناعة مراقبها ومصاعدها

وتوسّع منها فى علف كثير ومال على اختلاف اصنافه قد خطر له بهتنة الموجود وفقد

الكافر المقصود وضاقت به الارض دون طلبه وانتزاعه من يد مهربه فاقتص اثره

نحو خمسة عشر فرسخاً من بين منابت اشجار تصك الوجوه فتدميها ومساقط احجار تصد

الحوافر فتحفيها ولحق القوم ليلة يوم الاحد لخمس بقين من شعبان وهم يطوون مجاهل الارض

هبوطاً وصعوداً ولا تطئ النجار بخص موت بروداً واهاب الاسلام وابناء الصلوة

والصيام بانتصاصهم وادّراع الظلام فى اقتناصهم ثقة بالله الناصر لدينه القاضى

على الكفر بتوهينه فكم من قتيل هناك قبل ان يثبته جراح الحديد فاما

الاموال فانت تجبا دون الازواج وتشرد دون حد السلاح وحرّ الجراح لا يعنا

بها او يتقى النفوس من غزو الكفار وعبدة الشمس والنار وظل الاولياء يتبعون

طرائح المخاذيل ثلاثة ايام تباعاً ثقلاً واغتناماً وحلالاً لابعد ان جمعها الكفار حراماً

واما العبلة فمن بين مقهور ومردود ومتطوع بالعود الى السلطان محمود لطفاً من الله

يتيح له غنائم الاموال حتى سوق اليه بهائم الافيال الاجم لها سمت خداى اورد

تعالى على الهام ما لا يمسك الا بالمقامع ولا يملك فى المرابع الا بالجل الخوادع ان بلغ

طوعاً فيهجر الاصنام ويخدم الدين والاسلام ولقد احسن من قال ؛ قل للامير عبد
حتى قد اتاك الفيل عبدا ؛ سبحان من جمع المحاسن عنده قرباً وبعدا ؛ لو من اعطاف النجوم
جرين في التربيع سعدا ؛ وسار في افق السماء لانبتت زهراً او وردا ؛ وبلغ ... من خراج
الثارب الهارب ذهباً وفضة ويواقيت محمرة وفرائد مبيضة قرابة ثلثة آلاف الف درهم
فاما السبي فالشاهد على كثرة عدده ووفور مدده وقوع الاستيام على الخمسين منهم
دون درهم الى عشرة ذلك فضل الله الذي ذخره لايام السلطان يمين الدولة وامين الملة
وهو الملي له بتمام الثواب والحمد لله خير معبود ومحمود وله الشكر على ما اقر به عين محمد
صلى الله عليه وآله بجوده **ذكر المسجد الجامع بغزنة** ولما عاد السلطان يمين الدولة
وامين الملة على قضية النصر الموكل بقمع الكافر المفتري المكلل بتعدي السماء الزهر
والمتري الى دار الملك بغزنة وقد كادت تبيض سنجها على عدد الارقام من العبيد و
حتى استغرقت عليها اكياس التجار الصادرين اليها عن نواحي الامصار ونوازع الديار
ما وراء النهر الى مرابع العراق ومبادي الاشراق منها ما خلط بيضهم بالسود وعبدهم في
التملك بين المسود والمسود احب ان يقوم ما افاء الله عليه من انفال اولئك الغلف الاغتام
في عمل يرتفع جداه ويرتفع الى آمر الاحقاب سناه وكان قد اوهم باختطاط صعيد
غزنة للمسجد الجامع اذ كان ما اختط قديماً على قدر اهلها حيث عدت من بعض البلاد
شحوطاً دار وشطوب مزار فوافق عوده من مضرب حصول المراد من تقطيعه وتوسيعه و
الجذوان على تراتيبه نصب بدر المال على الصناع كما صب دماء الابطال يوم القراع و

لشار فيهم احد الى عماء بحضرته فهو يطوف عليهم مطالباً بصدق العمل ومعاتباً على
زمر الخلل حتى اذا توسدت الشمس قلة الجبل اقام السن الموازين ناطقة بالانصاف
بالجزاف فيمسون بين آجر بن عاجل على السلطان منقود والجل على الرحمن موعود ونقل
من اقطار الهند والسند جذوع توافقت قدوداً او رصانة وتناسبت ندوباً وتخاماً
كانما اسندت عنا رخام الارض لامر معلوم وتجنب باعمارها اليوم محتوم فجاءت
ولا الحق كما لا والعدل استقامة واعتدالا علتها الملاسة والسداد وكان بها صمماً
نهي تصغى ولا انكاد وقد فرشت ساحتها بالرمر منقولاً من كل فج عميق ومضرب سحيق
على تقطيع التربيع اشد ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المرآة وعقدت عند منتهى
الابصار طاقة كما يقطع الدوائر على نقط المراكز فلو عاش سنمار لعد في جنبها
العاجز فاما الاصباغ فطالع روضة الربيع ضاحكة الثغور باكية الجفون بتوقف الابصار
ويفقد النظار واما التذهيب فتحسبك ان صانع الرصافة قد عرق عليهم الخلاف و
لهم تكليف الا نطاق وليس بصفائح الزرياب لكنه ضبات الذهب الاحمر افرغت عن
صور الاصنام المجذوذة والبدة المأخوذة فطفقت تعرض على النار بعد ان كانت
الهة برغم الكفار وتضرب بالمطارق بعد ان عبدت بالخدود والعنانق او ليس الذي
ينفق على جدران المساجد لله عز وجل للموحدين وغيظاً على الملحدين اسمحه واكرم
ممن يفرغه معبوداً او ينصبه للنفع والضر مقصوداً نعوذ بالله من ريب سواره عار وجهه
الى شعار وجزى الله عن الاسلام ملكاً هذه افعاله ولعماله وامثالها آناء الروح والمنوح

سبيل الله ذابه وادابه نعم وقد افرد السلطان لخاصته بيتا في المسجد مربع الاركان
مكعب البناء موسع الفناء متناسب الزوايا والارجاء فرشه وازاره من الرخام كد
عليه الظهور حتى نقل من ارض نيسابور وقد احيط بكل رخامة مربعة محراب من الذهب
الاحمر مكللا باللازورد في تعاريج من الوان المنثور والورد من يرها بعينه يقل بما ينه
لا يستحانه لا زال هذا الاستاد مثمعا ببنانه الامين راى مسجد دمشق في اعمرا وقد
شاقه النظر حتى شاه وقضى بان لا يوجد نظيره دونك هذا البيت المزمل المثوبة
ويشعر عليك القصبة وينبيك ان الحسن بعض صفاته والابداع احد سماته والفال
الهند من خدم نقوشه والهمة العليا قد طمحت بعروشه نعم ولامام هذا البيت مقصورة
بتفاريج عليها منصوبة تسع ثلاثة الاف غلام متى تهيا للفرض اخذوا اماكنهم منها
صفوفا واقبلوا على انتظار الاذان عكوفا واضيف الى المسجد مدرسة فيها تحمل بيوتها
من بيوت الارض الى مناط التقوف على تصانيف للائمة الماضين من علوم الاولين
والاخرين منقولة من خزائن الملوك الصيد تخيروا من ديار العراق وبقاع الافاق حتى افنوها
بخطوط كغرائد سموط مصححة نبهات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد بنتابها فقهاء
دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين على كفاية ذوي الحاجة منهم بما
يهمهم جراية وافرة ومعيشة حاضرة وقد اقتطع من دار الامارة الى البيت الموصوف
طريق يفضى اليه فامن من ابتذال العيون اللوامح واعتراض الرجال من بين صالح وطالح
فيركب اليه على وقور سكينة وشمول طمانينة حتى يقضي المكتوبة ويقضي الاجر والمثوبة

فاما ما برود والحجاب وقصور القواد فما شق بحقايق الاتفاق عليها الامن ابتها
اعتبارا او شاهدها اختبارا ويري ملء الاباطح ابنية تشرف على الهضاب فانما
وتكاد تغترف من نهر المجرة غرفاتها وناهيك من بلد يحتوي على مرابط الف فيل يشغل
كل منها ساسة ونابه شداد كبيرة وحطة وسبعة ان الله تعالى اذا اراد عمر البلاد وكثر العباد
وهو ما شاء قدير ذكر الافغانية ولما قضى السلطان وطر القيظ بغزنة واقبل الخريف
وبهج الوقت بحاضر ريفه وقد كان طوائف من الافغانية المستوطنين قلال الجبال
الشوامخ والرعان البواذخ تعرضوا فعل القطاع لذنابي خواصه منصرفة من غزوة
قنوج اغترارا بمناعة اماكنهم وحصانة مساكنهم وتطنيا لخفاء اماكنهم والتباسها
بمناكب امثالهم رأى ان ينتقم منهم بركضة يليح عليهم لوكارهم ومدالجهم وتخضيب
بدماء النحور جباهم فنزم على ما دبر وصمم على ما قدر ووري بنهضة نحو الهند باقطار
بيضته ثم ركض عليهم فتخاصته ركضا صبحهم في مراقدهم فلم يتغروا الا بجر الصفاح
على برد الصفاح ضربات تقطف الروس عن النحور وتفرغ النحور على الحور وكانما ابو تمام
صرع الحصى كان جلودهم ⁝ طليت بها الشيان والعلام ⁝ فيالها نهمة اثمت
عليهم العود والتخلفة الا تعودوا او تتهد يوم الموعود فكم من جثث فوضا الاعلام
ودوس تحت الاقدام حتى اذا استلمت السيوف اجسامهم ولم تبق الا باماهم كف كف
الاقدار وعلا ذروة الغزو بالانحدار وغادرت تلك الوعود سهولا وكان امر الله مفعولا
وعطف الى غزنة مميلا للراي بين ان يتوبلح مشيحا ولغابر السنة في القرار مستثما وبين

ان يركب ثبجه بمينه في غربي بقتع بافي ضبابات الكدود عن ديار الهنود مجمرا على من كان
يضرب بذنبه في هزيمته كالو زغة المنحمة لا يلبث ان تموت فاتت عليه حمية الاسلام
ان يبيع على القعود جريضه او يستبقي في مخابئ الاغماد بيضه فثنى عنانه نحو الهند وهم
يرون منتهى الشهوات صهوات الخيول وقصوى اللذات ملاقاة الفحول ويخترون
بالظهور اسرة مرفوعة وبالاكوار وسائد موضوعة وبالنموم دبالجين مقطوعة
وبالآجن الطرق صهباء موصوفة وبالعرق السائل ماء ورد وبالقسطل الثائر عبيرا وندا
ند وبالليل سكنا وقرارا وبالنجوم ندامى وسمارا فمن يتيمه نسب فان اباءهم الشرفيات
بوائك والزاعبيات نوائك واعمامهم القسي جوازع واخوالهم النبال فوازع ومازالا
يخوض انهارا امواجها داوديه هادية تسلم تضمن قطع غمرها هادية وعين الله مرعاه في كل
مسعى يبتغاه حتى اقتحم مغارات اولئك المغاوير بل ديارات اولئك المداوير فطلت دماؤها
الفيل يضجون بالويل والثبور ضجيج الثوق دولجع بيت الله المعمور وماذا الا يضغ السلطان
عن امن واطاع ويفضح من اظهر الامتناع بعد ان اصاب غنائم لا يضبطها حساب ولا يحكم
سنة ولا اسراب حتى انتهى المسير به الى ماء يعرف براهب غائر المخاض جم الغزارة كالبحر
يبتلع الخف والحافر ويتبلع الدارع الحاسر فاذا بروجيبال من تلك الجزر في رجال كالقنا
وافيال بخت الاديم وقد اخذ من عاجي … … واسند الى ذلك النهر ظهره وذام
ان يمنع السلطان عبوره ويشغل عن اقتحام الغمر جمهوره حتى اذا اكتحل الليل بغاره مر في
ذمة استتاره مرور ومروان على خارة فلما علم السلطان ذلك من قصده وراى استعداده

واحتشاده لصده امر بالاطراف فهيئت للعبور واهاب الى عدة من غلمانه للركوب
فامتثل الامر ثمانية منهم يبتدرون فيهم يبتدرون العدو القصوى ويلتزمون
كلمة التقوى فلما راى بروجيبال استقلال الماء بهم رماهم بخمسة من فيلة المحققة
وفوج من رجاله الصفقة فاراد الله ان يحقق قول نبيه الامي الامين ورسوله المؤيد
بالتمكين حيث قال زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها فالهم تلك العدة ان استوقفوها على اماكنها خزرا على اطراف
هاتيك الاخفاف بالنبال وغرزا لها بعد في وجنات اولئك الضلال معجزة لم يمنع
بمثلها قبلها مثنية تخرع سبلا ويدفع فيلة وخيلا ويدر من لفظ السلطان عند ذلك
البرهان ان قال من قدر على السباحة فليتعب اليوم للراحة فاذا هو بخاصته ومعظم غا
غاشيته ولصعب الماء آخضين فتارة يتحدرون بالاطواف واخرى يترجون الاعراف
حتى لفظهم النهر سالمين لم تتجيب لهم جنبية ولم تعطلهم جريرة ولم يتد بحمد الله سبية
وحمل السلطان بهم وقد برزوا الى الظهور حملة توزعهم بين عفير بكرا ان من عفار الجدود
وابن جران من اسر القدود وطريد يتخاف وقع القواضب وقتيل يبري من النجوم الثواقب
وصار ما حصل في الوقعة من عدد الفيلة مائتين وسبعين ثقال الاجسام كثقال الغمام
وصار الكافر هزيما لا يملك عزيما ولا يقدر تاخيرا ولا تقديما وقد كان السلطان قبل
ان لقي الكافر او لبس جوشن الدرع والمغافر اخذ فالامر كتاب الله تعالى يهدي به عاقبة ما ينتو
فخرج له قوله تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

فلما حقق الله له وعده ونصر بفضله جنده ضمن على نفسه ان يغزي بولجيه عمله غدة لا
برقة الانام وغزوا يؤيد الاسلام وشكرا يفيد الانعام لا جرم ان الله نعم حافظه
ونصب باغراض اماله ولمانيه والذي تدخره له من ثواب المعاد اربح مقادير وارجح
مكاييل ومعايير

ذكر ابي بكر محمد بن اسحق بن محمشاذ وقيام القاضي ابي العلاء صاعد بن محمد بما انتهى اليه من امرهما

قد كان ابو بكر موموقا بعين الباهة في صدر من الدولة لمكان ابيه من الزهادة وحمله
الاطراف على العبادة واقتفاء منهج ابيه فيما كان ينتحله وينتحيه وكان الامير ناصر الدين
سبكتكين يرى من عصابته في التزهد والتعفف والترهب والتقشف ما قل وجود مثله
في كثير من فقهاء الدين واعيان المتعبدين فحلا ذلك في قلبه كما حلي بعينه والجاه في الله
محبوب وقد يكرم اهل الشفاعات من لمذنوب واتمر السلطان بعد على وتيرته في ملاحظتهم
بعين الاحترام وايثار طوائف الكرامية بالاكرام حتى قال ابو الفتح البستي فيما شاهد
من نفاق اسواقهم

الفقه فقه الشافعي وعلمه ؛ والدين دين محمد بن كرام ؛ ان الذين اراهم
لم يؤمنوا بمحمد ابن كرام غير كرام ؛

وانضاف الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية
انه لما تورد جيوش الخانية خراسان عند غزو السلطان ناحية الملتان مضوا بنيسابور
على ابي بكر احتياطا لانفسهم من سعته واحترازا عن غامض مكيدته وتعلقوا في حملتهم حين
طلعت رايات السلطان من مغاربها واومضت سيوف الحق عن مضاربها الى ان وجدتهم
فرصة الافلات والتلافي على ما ملك الافات فاعتد السلطان ذلك له في سابر موالاته
واوجب له حقا ملحوظا بعين مراعاته وشغف من ارباب البدع الباطنية على ما تناهت به

والله اعلم بما تجنه الضمائر والنيات فقام وانفقت تصلبا من السلطان في استيصالهم
وتعقبا للدين الله في اجتثاث اصولهم فحشروا من اطراف البلاد وصلبوا عبرة للعباد وكان
ابو بكر احد اعوان السلطان على اثر هذه الآية وتصويبا للراي عليه فصار البري كالسقيم
وعاد المسلم في عارض الخطب شوى وودي الناس ان دينه الذم القاتل والسيف القاصل فجعوا
بالطاعة وفرشوا له خدود الضراعة وانعقدت له الرياسة في لبسة الصوف وخطة الخاصة
والعامة بعين المرجو والمخوف ووجدت خاصته سوقا للاطماع بعلة الابتداع فاستثنوا الناس
واستفحوا الاكياس في الطمع منهم بمكاس ومكايس بقضاء معضل او تعطي الجزية عن يد وعبرت
هذه الجملة سنون لا مطمع لاحد في تبديل شكلها وتحويل فادح الحال عن اهلها ولا علم بان
الزمان بتغير الاحوال ضمين وبالخلاف على صورة المعتاد رهين ومن صبر على الايام راي الرفيع
وضيعا والضليع صريعا وصادف عن سموم القيظ صرا كالحا وصقيعا واتفق للقاضي ابي العلاء
صاعد بن محمد ان حج بيت الله الحرام سنة اثنتين واربعمائة وهو الامام الموموق والزاهد
الموثوق والفاضل الجزل والباذل الفضل قضى اكثر عمره على الخط النفيس من ثمن الدرس للدين
بطفل عليه الاعمال لغاياتها ونصب له الاغراض في ربي الحيا فيما عد لها ومن حاز شرف العلم
لم يشتر به ثمنا قليلا ولم يعدل بحظا وان كان جليلا فلما حصل بدار السلام والقي الى
القادر بالله خبره في حجه بيت الله الحرام قوبل بمقتضى حقه في الاسلام من واجب الاثرة
والاكرام وظاهر التوفير والاعظام وعضد بالكتب الى السلطان فيما تقرر من حاله
وفيما نما اوجبه الاحتياط شرحها على لسان مقالة فلما عاد من وجهه شخص الى حضرة

بلغ

السلطان بغزنة فعرض ما صحبه ووفر ما تحمله وادّى من حق الامانة ما التزمه وبها
الاستاد ابو بكر فجرى في مجلسه ذكر الكرامية واطلاقهم القول بالتجسيم وتعريض الله
لما لا يليق بذاته الكريم فانتفى السلطان لهذه الشنعاء من مقالتهم والعوذاء من نحوى كلامهم
ودعا ابا بكر سائلا عنه وباحثا صورة الحال منه فانكر اعتقاد ما نسب اليه واظهر البراءة
عما احيل عليه فلم يمنع الانكار عن مس العتب والاكبار فاما الباقون فان الكتب نفذت
الى العمال في تقديم الاستقصاء عليهم فمن اظهر البراءة عن قوله التشبيع واعتقاده الموجب
للتبديع ترك وشأنه من عقد المجالس للتذكير وتشريف المنابر للتذكير ومن اصر على
دعواه ولم يجز لنفسه سواه جعل مغناه عليه حصرا او رد لسانه دون الفضول قسرا وحلى
السلطان على القاضي خلعة لا تنبت جلالة قدر وفخامة نجر وغاية امير المؤمنين بجهته
وابقاءه بتمهيد امره وصرف كلا منهما على جملة الايناس والتفخيم على اعين الناس ثم
قصة قول التجسيم ما ثبت في صدر ابي بكر بصادع الايام على نهزة المكافاة بها الى ان استتب
له الامر في عقد محضر على انتحاله مذهب الاعتزال وتنجز خطوط قوم من الاعيان سلكوا
فيه طريق المساعدة او تصفوا اليه اللبانة ضبط ما الايمان ذات دخيل وهم على شر النفوس نزيل
واحتيل في عرض المحضر على السلطان استفادا لصورته لديه فوقع التزوير موقعه من الاحفاظ
عليه فرأى ان يبحث عن صورة المرفوع في احفاء من صور وابطال من زور فالقضاء فاضي
قضاته واوحد ثقاته ابا محمد الناصحي من لم يترك احدا في اصطناعه والجذب الى العلا بباعه
فانه استخصه على طراءة شبابه مختلسا من قلما يوجدان في ترح الاسنان فضلا عن احداث

الشبان والفتيان وهما العلم والورع لخوان دونهما السدد والياقوت والصحة للكفاف
من القوت واقعده بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى واصباح الناس من ساطع
في التقوى حتى اذا بهر كماله وطمح بالفضل مكتاله ولاه القضاء على القضاء في عامة ديار ملكه
ثقة بقوته وامانته وورعه ونزاهته فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقاء ووفضة الخزن
دونها السماء عناء وامر بان يستحضر القاضي ابا العلاء صاعدا وابا بكر الاستاذ في وجوه الناس
واعيان الشهود ويطالب باقامة الشهادة على الدعوى المذكورة على رؤس الملا من غير
محاشاة او جنوح الى مداهنة ومحاباة فقابل الامر بالامتثال وتجافى عن حرمة العلم لحرمة
المال وهيبة الجلال وسال ارباب الخطوط عما عندهم من قضية الحال وجلية المقال فاما
ابو بكر فانه اذادان بتلافي بلاغ الخطب فزعم ان الاشتراك في رتبة العلم احدث بينهما منافسة
بنازعهما مذهبي التجسيم والاعتزال فالاحج ما نسبني اليه ولا تقرر ما ادعيه عليه واما
الاخرون فتعرضوا على حكم المساعدة في المحاباة والمهاودة ومن حاد لئام الاجسام في التضرع
والطلاق الدعوى باللفظ الفصيح مكاشفة عدلت الشهادة الى التعصب وجاوزت حد
المعلوم الى التغضب وتبين لذلك وجوه اهل الراي حتى كادت تشوه فتنة لولا هيبة السلطان
احرقت الالسن الطوال وضربت على النفوس الطامن والانجزال وبلطف قاضي القضاة
لبعض الحال وتقرير صورة الحال واتفق ان يحضر الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين في
مجلس السلطان فرصة القول في باب القاضي ابي العلاء فتية على سمته وابنه عن ورعه وتقواه والتمس
سبيل التلطف ان يقع تلافي للغضاضة به وتدارك للاهانة الطارية عليه بعرك من تصدي

لمكاشفته وتعرّض لاستفساد مكانته فوثق به السلطان فيما قلده وحدس ان ضياع جلّ
من ان يعتقد الاعتزال وامر باشخاص من انتدب لمراغمته ومقابلته بما اقتضاه حكم في
واستجلس القاضي قوادة بينه فلم يكن يبرز الا الغرض بقضيته او علم بما يمليه مخبرا بالله
حتى عن عبره ومقتنعا بما ادرّه عليه من خيره ورأى ان بقية العمر اجلّ من ان تضاع على
القيل والقال وحذف فضول الامال ومزاولة ما يصم قدر العلم بالابتذال ولست ابرئ
له كالفرقدين والنسرين ابا الحسن وابا سعيد شريكي عنان في المروة والفتوة رضيعي لبان
في اوامر النبوة واحكام ايات الله المتلوة في قضاء الموجب واحتمال النوائب يعفي له عن
حقوق الناس وفرغ لعلم النظر والقياس وحظي بمثل ما ابتاعه ابو الفتح البستي من حاله بقوله
قد جمع الله لي تعالى ∴ بيمن عزي وحسن حالي ∴ بلاغ علم ساغ شربي ∴ وفلاغ عيش فراغ بالي ∴
نعم واطلق تمادي الايام على باهة ابي بكر وارتفاع مكانته واتساع حشمته ومهابته وانبساط ايدي
حاشيته في اموال الرعايا واغراض اهل ناحيته واستمرار العناد بينه وبين اعيان الاشراف فجريت
السنن الجمهور بحضرة السلطان بما طغى من حاله وبغى من جرح حبالة اذ لا ابا فاعتبله واغتاظ
بزعمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله فتداركه الاحتمال مدة من الزمان
مبينا محافظة على الصنعة من الانتزاع والعارفة من الارتجاع وابقاء على المحل المرموق في
من ان يلم به انحطاط او يتخلل له رباط حتى اذا جاوز الاحتمال حده وامتنع التزايد بعد عقد
رئاسة نيسابور لابي علي الحسن ابن محمد ابن العباس وقد كان حبّب في دولة السلطان مجدودا في
جملة الاعيان والثناء معدودا اثرة فيما بين انار الرجال محمودا ووافق ابوه ايام السلطان ولد

مقدمه خراسان وانتصابه منصب الجيوش بها لال سامان فانجبل خلقاها على منابته
الشباب وعرف السلطان له حق الخدمة والاصطحاب غير انه اعتبط في شبابه فعاد كما بدا
وكل امرئ يوما مداه الى الرد وكان يضرب بابا نصر احمد ابن ميكال القرائة واواصر مستجابة ثنا
نشأة المقبل وخرج خروج القدح قدح ابن مقبل واخذ ثلة شكر النعمة خدمة وصفوا محضة
ادبا وفهما فلما مضى ابو نصر لسبيله انهى الى السلطان حاله في كيسه وذكائه وظرفه ولبا
فاستحضره ليخبره فوافق اولى النظرة قبولا واوطر فابرّ ورد الاعجاب مكحولا وازداد على طول
الخبرة وفاقا وعلى سوق الخدمة نفاقا فنمى نمو الاشاء اصلحها الندير ولقحها الناير الى ما
النمير حتى سمت به المراتب وتوجهت اليه الرغبات والرغائب وقابلت حشمته ارباب
وسادات الاقلام والحدود وكان غرض السلطان في عقد الرياسة ان تقع به من انعقد
له بدا له التاله والتعبد وسابقة الترهب والتزهد فقدّر ان الذي حظي به متعمّق
بالدين فلا يستبيل العلة ولا يخاف ابدا المستهلة ويرجع به الى ما يوجبه حكم التقية من
رفض المراتب العلية والمطامع الدنياوية ولما ورد ما نابس اهلها سياسة لو عاش اليها
زياد لعاد على سياسته بعين استزادته فخفيت عليه حتى صرير الجنادب وسكن حتى دبيب العقارب
وهدأ حتى شغب المراكب وسكت حتى دوي المذاهب وكانما القيل به شفيف الشتاء لكل
او هامة في الوجار انجحار وبالنفار استتار وقال ابو تمام لقد بث عبد الله خوف انتقامه
على الليل حتى ما تدب عقاربه ها ان هيبة السلطان هي التي خطمت اللهاميم وخطبت الاقاليم
فلو وكل بعض همته برواسي الجبال لاصبحت منسوفة وبطون البحار لعادت منزوفة فما خطر

ينبه بها عن الرشد نائمه ويعمى عندها عن قصد الصواب ثبه اوثابه ومن احسن في
جنب ماله فقد تعين عون القدر وحكم الفلك الدوار على البشر وابى الله ان يحمد على
دهر الرشيد شهابا او يمدح على سقف المحول ذهابا وتطرف الرئيس جوانب المقصورة بنيته
منهم ما اخذوه وتشي واختبوه ثروبا وكتبا ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة لمن ادل بالله
واظهر الزهد ثم لم يتوكل على الله وهم بصاحبهم فاخذه وادرجه من دون شره ولم
السلطان قصد استيصاله ونفضه عن فضول ماله وترك من وراء الحجاب على قدم الزهادة
وعصص القطام على العادة من بعد الى جماعة الاشراف العلوية ذوي الاقدار العلية فانعم
ان ختمتهم بالطاعة موصولة وحرمتهم بلزوم القصد وترك تعدي الحد مكفولة فلقوه
بالاجلال وقابلوا امره بالامتثال علما بانه ظل الله في ارضه فابتغى منه غير الانقياد
والميل عن الغلو للاقتصاد واستخلف على الرياسة عند الشخوص الى الحضرة ابا نصر بن رمش
وهو يضرب بقرابة الى السلطان الا قطعها عليه صيانة له من تغير الكرام وترتيب الرجال عند
ذكر الارحام فطوع له قياد الاحرار واشراف الكبار والزمهم ان يخدموه بكرة واصيلا
ويخصوا بطاعته جملة وتفصيلا من ورم انفه دون ظلامته شريفا كان او مشروفا نفي عن
بلده وعري عما يحث بدن فخشعت لبه الاعناق ولحدثت بغنائه الاجداث واستتب له
رياسة لا عهد لاحد بمثلها من رؤساء خراسان الا ابا عبد الله العتبي فانه بلغ مثلها ولكن على
عمر مديد وعز عتيد وباس شديد وخدم وعبيد ومال ينادي على العفاة هل من مزيد
وفرش في زمانه بساط العدل فتواعد الاخفاش كرجال الاتراك وتوالى الناس اشتراكا في الانصاف

ونفقت سوق الاحتساب بالدرر فوق الاكتاف فمن بدعة مرفوضة وريبة مخفوضة وحدود
على الحق مقامة وعيون دون الفضول منامة وبطلت معها الحانات والمواخير وخرست
العيدان والمزامير وركدت الحان النائحات والنكارى واستوى في الاتجاد واللباذ بما
وراء الاستار عون النساء والعذارى فاما شوارع اسواق البلد فقد كانت منذ عهد بنائها
فضاء لا يكنها غطاء ولا يظلها دون السماء سماء تخرقها الاعاصير تارة وتردغها الامطار
اخرى فاما التراب مثارا واما الانداء ثلوجا وامطارا ولم يفطن احد من ملوك خراسان وضخام
الجيوش بها لالحاقها باخواتها من ديار خراسان تسقيفا لها وتسييرا وتنظيفا عن الاقذار
حتى ورد الرئيس ابو علي فطالب اهلها به فلم يمض شهران حتى سمقت بجو السماك سقوفها
وقامت على دكاكين الاعواد حروفها فمن بين منقش ومزخرف ومدبج بالاصباغ ومفوف
تنفتح منها فرج بقدر ما يملي ضياء النهار على الابصار دون ما يوسع لذرور الغبار ويمكن
لدرور القطار وحمى البصراء استغراق قدر العمار ثمانية الف دينار عن طيب النفوس وفضل
الكيوس لم يكلف عليها احد ولم يستكره دون المال فيها بل عمهم المباهاة وشملتهم الهبات
فانفقوا موقرين ومستبصرين ولا نفهم على العجز دون المراد مستقصرين فمن تنوق
تاسعا وعاشر النبس باديا او ثانيا رده الى الكامل فذاله وترك على شغل النظر اشغاله فنياله
من مملكة شاخص تحت التماثيل السكالف وزايد فلكا تاملا على الافلاك ولما عاد الرئيس
الحضرة وقرن حال ما تولاه ومن عزله وولاه وافق هوى السلطان ورضاه فصادف تقريرا
وتمكينا واحمادا واسعا مستبينا وسنورد شرح ما يتجدد من هذه الاحوال ان اراد الله وقدره

ذكر الأمير صاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين رحمه الله

قد كان السلطان لما ملك خراسان واخلاها بسيفه من السامانية عرف له مولاه إياه
وهجرته فيه اسمعيل ناصر الدين أعظاما لحق الكبر واعترافا بواجب الفرض فولاه قيادة
أصحاب الجيوش الاكابر على رسم الكبار سادات أبيه مكانه من قبل إذ هو سادس
الجمهور ومدبر لها بنات الامور ومن وضع لنا موضعا قد سكن قبل بنفسه وزاده
أهلا لبعض قدره فقد بالغ في البر والتوقير وخرج عن عهدة التقصير فولها سنين
على حميد السيرة في الخير وكريم الفعال في سياسة الرجال وجرى على سنن من حميد الاثار
في مطاردة أبي ابراهيم المنتصر عند ركضانه وكفاية ما كان تطاير من معرته وشذانه
ما تقدم شرحه ثم دأب السلطان بعد ذلك أن يجمع به شمله ويصل بشاهد حبله
فاستدعاه من منبجه ومغزاه فلم يزايله بحال ولم يفاصله في حالتي حل وترحال وكان يراه في
مقاماته أو لسيح بروحه في المحامات على دين الله والمراماة من دون حق الله وأوليائه
بمهجته ان كشف دعام أو عظم على جوش الله اسلحام شفقة يحبس بها لحمة القربى ووشيجة
من الرحم الدنيا وكان ينصر مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه اعتقادا ويرى الايتمام به
رشادا فأقام بمدرسة نيسابور بجوار القاضي أبي العلاء صاعد بن محمد وانفق ما لا حق ابتناها
وحبس جبايته على من أراها ودرس بها مالي العلم في ذراها فبقيت تذكر عنه تغذي بالعلم ونتاج
ويثنى عليها الامساء والاصباح ولم ينعم السلطان دون أيامه منه قولا محا لا ولفظا
القصوا امنحا الا ولا نكى لحد من الكبار له مجانبا ونعالا لا اشفاق الروية على الابناء مجانبا

وقضى الله ان خانه الشباب ولما استوفى أمد يتقضى في الأمل فيه بين فلحق بالوالد لعلا
ان الكرام قليلة الأعمار وكتبت في مرثيته رسالة سالت ابياتها في ذكر نعقلنا إذ كان في
ضمنها ما ينبئ بشرح حاله ويعرب بعض خصاله وهي شعر آه من خير على الاتراب آه من
سفر بغير اياب آه من مضجع الأمير المفدى فوق فرش الحصا وفرش التراب نصر بن
الأمير ناصر دين الله صدر الحروب والمحراب صلب الجيش درة الشرف تاج
الفخر غوث الكرام والكتاب نعاء يا ساسة الرجال يا سادة الفعال يا أعيان العلوم
يا الوان النجوم يا شيوخ الاسلام يا عيون الكرام يا أحرار الزمان يا انصار السلطان شعر
نعاء إلى كل حي نعاء فتى الكرم احتل ربع الفناء الا تدرون اي ركن انهدم واي حد
انثلم واي عقد انفصم واي سوار انفصم واي روض ذبل واي نجم أفل واي بحر نضب
واي طود حصب واي خطب نزل واي نصر رحل والله نصر ابن الأمير الجليل ناصر
الدين الامير ابن الامير والشهاب ابن الاثير والبحر ابن الصخر والجمر ابن الجمر والعنبر ابن العبير
مزج الملك وعقاره وسور الدين وسواره وركن العز وغراره ونور المجد وغراره وغاره
به بحيرة الادب التي استعذبتها الشفاه وضلت قبلة العلم التي وليت شطرها الجباه وذبت
دوحة الكرم التي خبطتها العفاة وجفت طينة الفضل التي حدتها الكفاة وطلقت كريمة الترب
التي درس عليها التوحيد وغذى بها اليافع والوليد واحلت عليها في لضل النهار وحليت
عواطل الاسحار واقشعت سماء شام ابناء الدين بوارقها وخاف احزاب الكفر والجحود صواعقها
فلا ثار ولا ماء ولا حوف ولا رجاء فاضحى به جيب الزمان مشقوقا وسكر الحدثان مشوقا

تمام الشعر
الا انها الموت فجعتنا
بماء الحيوة وماء الحيا
فما انحضرت بر حاضرا
وما ذا لغيات لا هل الحيا
نعاء نعاء شقيق الندى
اليه نعاء قليل الجداء
وكانا جميعا شريكي غناء
رضيعي لبان حليفي صفاء

خ
فواصل النهار
بالصاد غير المعجمة والتفسير الذي كتب
في آخر السطر الاخر من هذه الصفحة
يتعلق بقوله وحليت عليها
فواصل النهار

وبناء العز منقوضًا ولواء المجد محفوضًا ودمع الدين مسفوحًا وطرف الاسلام مجروحًا
واقبل العلم في صورة المفجوع وبزة الخشوع يقرمط خطوه ويشتكي الى اهله شكوه مغرقا
في صعداء تذوب لها جوامد الدموع وتنقد عليها لوالب الضلوع ۞ ولو غير المنون
اتاه اهوى ۞ اليه اخوه بالبيض البواتر ۞ يمين الدولة الملك المرجّى ۞ صباح الدين
مصباح المفاخر ۞ ولكن القضاء له مضاء ۞ يذل لعز مضربه المناجر ۞ الا يا
صاحبي بمعكما الى ان كنتما ۞ مسعدين تعاطيا عن الى كلتى اليدين ۞ الما على نصر
فولا لقبره ۞ سقتك الغوادي مربعًا ثم مربعا ۞ فيا قبر نصر انت اول حفرة ۞
من الارض خطت للسماحة مضجعا ۞ ويا قبر نصر كيف واريت جوده ۞ وقد كان منه
البر والبحر مترعا ۞ بلى قد وسعت الجود والجود ميت ۞ ولو كان حيًا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته ۞ كما كان بعد السيل مجراه مرتعا ۞ لئن جاز للموت
ان يغصب الامير نصر الفدا ساغ لي ان اغصبها معنًا وابن معن من شعبو ملا الشرق وسائر
جمهور الخلق من ذات لعزته القروم واستكانت لهيبته الترك والروم ففي بعض خطابه
الفصحى لم يرق اليه معن بهمته ولم يلق له ذكرًا في ديوان نعمته الخطوة من سلطان نعانه
بانفاق ذا الحرب فاستغل شانه وذارت كووسها بين خاطب وساق وقد فضح ابن سنان في
جوده وفضله بالسخاء عن موجوده ثم لم يعرض له قط صيانة لفعاله ولم يعترف عليه من بعد
ذهابا بعز خاله وجاله فان الامير نصرا ورث العز اباه ولم يخدم مكي العمر الا اخاه وكم ثني
في فراغ الاكياس عن شغل المواهب فلولا الاسياف عن قراع الكتائب وقطعة الدينار في

وامين المله

صلة الرحم وعصيان الهوى في طاعة السلطان ولما لتمّ نشأ بين القرآن والتفسير و
الايمان والتذكير والعلم بالصلوة والصيام والفرق بين الحلال والحرام وتحرّ الورع
بطرفي العنان وسن العلى بحد السنان قد افتتحت ايامه شرايط السلام باسمه الثغور و
ظاهرة الثغور فاما المنافر والبواتر ولما المحابر والدفاتر واما المحاضر والمنابر واما
القناطر والمناطر فيوما في حجم الغضب ويوما في نعيم الادب ويوما بين طلال الكتب
ويوما بين معاني الحروف ودقايقها اذا الحمي رجح او قبعة وبديهة اذا الجني حكمة او شريعة
فكم في ديار الهند له من وقايع انطقت الحديد واخرست الوليد وسكنت السوق وسجرت
العروق وغادرت بيض الرباع في قمة الليل وخضب الجرب عن ثميلة الكحيل وكم في
نوادي الفضل له من محاسن تلثم اطرافها الكلم وتعشوا اوصافها الامم وتجد لاعقابها
الحكم وياوي الى برد ظلالها الكرم وقد غنيت بذوب العقول عن صفو الشمول وبحلو
المقال عن كعب الغزال وبغرر البراهين عن رز الرياحين فالجليل على ذكره محبور وكا
سيبويه من طيب نشره منثور وائمة الهدى عليه عكوف وملايك العرش حوله
صفوف من صحيفة بذكر منثورة ومن اخرى باقلام العدل مسطورة لا لغو فيها
ولا تاثيم الا قيلا صوابا وحديثا كخالص التبر مذابا نفس عليه الدهر مكانه ان
الدهر غيور وعلى عقايل الزمان جسور بصرعه كبادا للنظار واضجعه عنادا للاحرار شاغلا
شاغلا عن الجود يمينه وعن السجود جبينه وعن الذكر لسانه وعن الغزو سيفه وسنانه حتى
اذا كاد يطمع في انتعاشه واستكانه وتدور بن على معيار الفداء باضعاف حشمانه فجعد بروحه

الطاهرة ونفسه التي لم تغذ الا النعيم الآخرة فنحي عن الغرابض ما كان غصن شباب
وانطقه فصل خطاب واكرم عود نضار واحفظه خوف نار واوثقه بالدنيا اذ قرانكم
هنالك من ستور مهتوكة ودموع مسفوكة وجيوب مشقوقة ورؤس محلوقة وصدور
مكلومة وخدود بنعال السبت ملطومة شعر رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
حتى اذا ارتد الردى عليه وقربت حوبة البلى اليه تنازعته اكتاف الرجال كما تنازعته قبل ذلك الآمال
فكان الشمس غبرى من حثو التراب والارض غرقى من دموع المصاب والاذان موقورة
من نقع العقاير والابصار مخطوفة من نفض الغدائر وقد غدت الوجوه مسفورة
للنظار والجموع محشورة للاعتبار والعيون بين حموم يجري سوابقه وجمود لا يندى
ماقه وودت النجوم لو صادفن ليلا فيدعون ويلا وينحن على المصاب حيلا فحيلا
فاما الليل فلقد احسن فيه من قال وان ركب الارتجال لقد بكت الليالي في دجاها
لموت القرم مصباح الانام فاشخاص النجوم الزهر فيها تختم من مدامعها السجام
ويطل بهجري كل ناكل باثر وصابر الى موقف الوداع حاير من كان مسرورا بموت
امرنا فليات دونتا بوجه نهار يجد النسآء حواسرا يندبنه بالصبح قبل تبلج الاسحار
يخمشن حر وجوههن على فتى عف الشمائل طيب الاخبار قد كن يخبأن الوجوه تسترا
فاليوم قد ابرزن للنظار ها انا لله وانا اليه راجعون تركنا القلوب شعوبا والاكباد ثقوبا وكظت النفوس كروبا وسفحت العيون غروبا ونضجت الوجوه نطوعا

ونثرت فينا الاصلاب ابنوبا فابنوبا وسارت بشخص العلى الى غوضة البلى فريدا وحيدا
لم يغن عنه جوده ولم يحد عليه جنوده ولم تقاتل عنه قبوله ولم يناضل دونه مرده وكهوله
خلا انه فاح ذكاء مآثره كما فاح كبا مجامره ووقفت على عرشه الركاب كما وهبت حين
اثقلها النعم الرغاب فليس بنم الملك ربا حوطه ولكن ذاك الثناء المخلف وليس
صرير النعش ما تسمعونه ولكنه اصلاب قوم تقصف يا اويلا لعفاة من بعد ما
خالهم وما فعلت بهم ما لهم لقد انقصم واتسع حالهم وانقطع دون هاتيك المواريث و
نحالهم كان بهم غادين على سنن كانت بالابواع تتشبث وتلتزم وبالافواه تستلم وبعثيه
دكبا بها تتمسك وبجذمتها ادكانها تتنسك قد اقفرت فلا باب ولا بواب ولا حجاب ولا
حجاب يتلون بين الامير وما فعل السرير وابن الحاجب والوزير وابن المنادم والسمير
وما هذه الوحشة المنطادة والغبرة المثارة والظلمة الناجمة والغمة الثلجة يقولون
ركب الامير يزور اباه ويحيى بالسلام محياه ويقضى نذر الاعتكاف على ثراه ويعتذر
من هجرة طال عليها مداه افترى ركب للسلام يجد البوابة ويعدم بوابه ويعزل الحجابه
ويوحش منتابه ها انه الركوب لمنى المعاد يقولون ميعاده والله المعاد لم يروا عرشه
بالامس ممدودة وغروسه محضودة وجياده مهلوبة دوس وجه مقلوبة واباناه مجوعة
وايدي شاماه فوق الهام موضوعة هنالك نادوا ثبورا وعلموا انه الحق مقدورا وعقدوا
دون تمامة البيت مناحة وندبوا عين الورى ادبا وفصاحة وكرما وسماحة وانعا الاكتاب
اسفر الصبح بهم وابرزه الكلم مغداه ومراحه يعشون على الحجاب وقد غدوا في بيض الثياب
ابتزع التواد وقد كذب الحداد الان اخرج ما كنتم اليه تزعمونه هلا خالفتم الرسم

للوجوب ولبئسم لبئة المكوب وقفتم وقفة الحجاب للسيد المحجوب ❊ يا قوم لئن نباض

الثوب زينتكم ❊ وقد فجعتم بمولى كله كرم ❊ ردوا لجميعا افضل لبستكم ❊ ان الحداد على

المفقود ملتزم ❊ فطفقوا ينشدون بينهم عتبا على الزمان وندبة للفضل والاحسان

يا دهر دونك ما فعلت فقد غدا بك كل ما يخشى الرجال سليما ❊ من ذا الذي يرجو انك

بعدما غادرت نصرا في التراب رميما ❊ من كان اعذب شيمة وسجية ❊ واتم مكرمة

واطيب خيما ❊ ومن العجائب والعجائب جمة ❊ ان لا ألام وقد غدوت مليما ❊ يا دهر

ما لك طول وقتك ترتعي ❊ روض العلى بادما وجميما ❊ يا دهر ما لك والكرام اولي

النهى ❊ ماذا يضرك لو تركت كريما ❊ لئن سير الامير اباه بلقياه وشفى غلة لوعته وصداه

لقد ساء لقاه بان عدم مثواه وافتقد مصبحه وممساه وكل من بعد الى نواهض الارض

ولو لمس التراب فراه لكنه ما يصنع وسيف القضاء لحد وحكم السماء حتم لا يرد شعر

ومن قبله ما قد اصيب نبينا ❊ ابو القاسم النور المبين بقاسم ❊ وخبر قبس بالجلية

في ابنه ❊ فلم يتغير وجه قيس بن عاصم ❊ وقال على في التعازي لاشعث ❊ وخاف عليه

بعض تلك المآثم ❊ اتصبر للبلوى عزاء وحسبة ❊ فتوجر ام تسلو سلو البهائم ❊

لا ادر در الموت من وقاح وقرن كفاح ما انشب نابه الا افترس ولا الج مخلبه الا انتهس

سواء عليه الملك المحجب والسلطان المغلب والفقير المستضعف والسوقة المستخف

الا نعس هذا الموت كيف ارتقى ❊ الى حمى قصره العالي المنيع الجوانب ❊ فمر على تلك القنابل والقضا

وجاز على تلك الفواضل القواضب ❊ عجبت له والموت ليس بمعجب ❊ وفيه اذا فكرت كل العجائب

لعمري لقد جاء محين جرا على كتائب الغوبين واغتيال الكتائب ❊ وفتح فتح الحصون ولقا

سوامي المراقي ساميات المراتب ❊ وبصره بالقتل في غزواته ❊ ورمى الرزايا وافتراص الغصا

فكر عليه مثل الليث وانتحى ❊ كطوف فحول النوح حول القرائب ❊ ومن عجيب الامور في

حكم المقدور ان اخترم الماضي برد الله حفرته وبيض غرته حتف انفه على اخطاره بنفسه

في تقحم الحروف واعراضه للشهادة بين الاسنة والسيوف كخالد ابن الوليد رضي الله عنه

حين وافى اجله اذ قال لقد وردت الحروب منذ عقلت وما في بدني مغرز ابرة الا وفيه

حز ضربة او وخز طعنة وها انا اموت ميتة الحمار ان الحكم الا لله الواحد القهار وكلاهما

شبيهاه ❊ اما ان خالدا لم يرد ❊ ان سيف الله لا يقتل بالسيف ❊ وكذلك القتل

يربو الى موت الشباب من خصائص الحيف وان الله تعالى ما جعله اكرم النفوس مناقب قبض

له احمد الامور عواقب وقد فرغ ابن الرومي من هذا المعنى فجود وبيض وجه البرهان

بما سود ❊ ان لم يكن ظفر الهيجاء منبتة ❊ فاكرم النبت يذوي غير مختضد ❊

اما ترى الغرس لا يذوي كرائمه ❊ الا على سوقها في سالف الابد ❊ لمثله السيف

قوم يثيرون بها ❊ ليسوا من المجد في غاياتها البعد ❊ عز الحيوة وعز الموت اجمعها

اسني وابقى لبيت العز ذي العمد ❊ موت السلامة للانسان نعلمه ❊ وانما القتلة الشنعا

للاسد ❊ لم يعمل السيف ظلما في ضرائبه ❊ فلم تسلط عليه كف ذي قود ❊ ولعمري ان الرزء

به قدس الله روحه كقاطر العموم مناظرة بين الرجال على العموم غير ان القاضي ابا العلا

وشيعته والشاربين من زلال شريعته اوفر من الاحزان اقساطا واشد على ورود الاشجان

ارتباطا فقد كان غرف الله تربته لهم ظلا ممدودا وشربا موردا وكهفا مقصودا ولواء على

نصرة الدين مفقودا ولولا ان الله جل ذكره سد ثلمة المصاب وخلة الاكتئاب بملك الشرق
وسيد العرب وحجة الله في الارض سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة اطال الله بقاه
وحفظ على الدين والدنيا بهاه وسناه ففي بقائه عوض من كل شاحب وخلف من كل عازب
او غارب لا اتبع القول في عظم النعي بفقد ذلك الشهاب المضيء والنقاب الالمعي غرار التعبير
فيما بقي بحمد الله تعالى ضافية اللباس نامية الغراس ناضرة الاكناف حافلة الاخلاف
فلا زال فضل الله عليه عظيما وصنعه لديه جسيما ولطفه كريما ولا اخلى عنه الزمان يتيما و
الله فيما اعراه راجحة الصبر وعوضه فيما اغراه فاتحة النصر ولقاه ملاء الوهم مواهب تحرز
الدنيا في سلك ملكه وتفرد بها نحو الوجوب في قبضة ملكه ورحم الله ذلك الامير العديم النظير
والجليل الفقيد المثل والبديل رحمة تبرد ضريحه وتقدس روحه وريحه وعرف له مساعيه في
الذب عن دين الله والسعي في سبيل الله والقرض من ماله لاولياء الله وعوض الشابخ الثا
عمادها هم فاوها هم ثوابا يحفظ عليهم دينهم ويثقل في موقف العدل موازينهم وجعلنا
من السعداء يوم الدين ان حكم الله بتفرق الحفل والخلق فيها شرع والاخر الاول يسعد

ذكر ما انتهى اليه امري بعد بلوغ هذا المكان من شرح اخبار السلطان
قصد ابو نصر شمس الكفاة اقتضائه حقي الخدمة والموالات

قد سبق في اول الكتاب ما سلف مني الى الامير ناصر الدين سبكتكين انار الله برهانه
من خدمة وتمهد عندي من ايد ونعمة وغرست اثناء ذلك في التقرب الى الوزير شمس الكفاة
والتكفل بما زاده والتحري لما ارضاه ما دجوت على الانام ابراق شجره واينع نوره وثمره

وثمره بعد ان صادفت من اثار رعايته ما لم يكن يليق الا بهمته وما انشاء من كريمة المجد في
ضمان ذمته فرأى عند وصولي اليه وعرضي موضوع الكتاب ومجموعه عليه ان يتمم بتقليد
ويبرني الى كنج رستاق على البريد وعليها فرعون بوان ابو الحسن البغوي شيخ ظاهره
نور وباطنه ديجور ومنظره متن السيف ومخبره رتأ الزيف واوله مشور الغاسل واخره
قرون السنابل فانخ موفدي عليه باستهانة لرتبة حشمة الامر ولاجرمة الاثلام
والمخابر يوهم من جانب انه مبعوث ومن اخوان الحقد موروث وقد كذب ان الرعا
من منبع الشريب مخالدوزانة مجنات الاولاد حلال وما علمنا ان موالاة الابنا
معاداة الاباء وان والدا لكاشح ولد ويطوي على الداء الدفين معتقد مجتب
بنا عض من دانقه او غاصب ورضى بعلى وجوب عقد الموالاة بين وسامني خيانة الدين
بمواطاته على كبائر تغلق الرقاب وتوجب في عواقبها العقاب حتى اذا علم اني غير
على الباطل ولا ارضى باستيكال اليتامى والارامل كاد ان يغرقني في دردور دويته
في تهور فاحتال واكتال وحرش على الامراء الاشبال والى الله لعلمه بعباده الامال
يحتوبه مكيدته وينكشف عن اقوال الزور وابطاء العزور ضمن دينه ولما ابرعماد
وابلس دون ما جرد له اهتمامه واعزامه عرج على استرلال شمس الكفاة بتحزب التمويه
وعرض صورتي عليه في معرض التشويه موهما اياه اني صغوا في بعض من ناظره يوما
على رتبة المقابلة او وازنه بمعيار الموازاة والمماثلة على امنه بان محله لا يتحيف الابعد
التاويل وان رابه لا يتنزل الا على مثل هذا التخييل حتى تعلقت فيه رقيته وعملت في

استر لا له دخنة فتثير بنجفها اترب الارض من صوب العهاد والكف من وشم
السواد والثوب من صبغ الفرصاد ولون الجساد وعلم الله اني لم اكن لاضمر كدرا على
صفاء او استر جنوا في ارتقاء او استجز غمط الصنيعة او طما على عين شريعة غيري من
نكبت عن نهج الوفاء وعتب دون فرض النماء وودع حق المنعم الشيب ورد الجهل
على قرارة القلب ونزعني عما قلدته بقدم من اهل جرجان لا يعرف الرشد من الغي
ولا الظل من الفي ولا الغث من الطي ولا النقد من الالي ولا الاثبات من النفي ولا جرجان
من الري شوهة بوهة قد صبغ من طول القنا ودرقة البزاة وصفاقة الصفاة
يجر الصحف بالحشرات ظالما خر على العشون تيمما للتراب وتكففا للعصاب
الجراب وتصرفا على المكس بالصروف وتهجيا للالف بنقطتين من بين الحروف
طفو بعد ترتضخ لكنة عجمية في شعر كثغرة الموصوف بوتارة الصوف مستميحا كل
صراف واسكاف وعطار وبيطار على سعر صفقته الاولى اذ السلعة قائمة والحلة
والسنجة مطورة والنخلة مابورة وعبر زمانا على هذه الجملة في الوتاحد والوقاحة
ثم انتجع خراسان ببضاعة المزجاة فوافقت على النظرة قبولا ولبست من غرة العطاء غرة
وحجولا فلما تعقبها التامل علم ان خرق الانتقاد ضيع المال واودع تالو بالي فاهمل
مخذولا وعود في تلك شعره مرذولا الى ان غربتمس الكفاة عن نفسه فاختاره على
ونفذ معه مكيدة البغوي الغوي الى نقصدته من المكروه في الروح دون سابر المنع
بما لولا مكان الامير الجليل ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة وفضل احسانه واستنقاذه

اياي من نبوات اشد فيها باجد عمانه لئن اني الخطب الي ما بلغ بلاء بنه ولعلق ذهن الجنون بما
فيه ولو كنت علمت من سيرة البغوي قبل ما عرفته بعد لا استعفيت من جواره واحترست من
مساقط احجاره لكن الرار بعد الله لا يكتفها الا الاخبار ❁ والظلم في خلق النفوس فان
تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم ❁ وقد كتبت الى جماعة الافاضل في ذكر المذكور وشكواه وتعريض
ما هذه نسخة بسم الله الرحمن الرحيم لجماعة ارباب الصناعة وعصابة اعلام الاصابة
من مبادي الاشراق الى اقاصي العراق من محمد بن عبد الجبار المعروف بابي النصر العتبي
رسالة تخص كل حاضر موجود وتعم كل لا حق مولود ما سمع للحق اذان واطلق على الكفر عنان
وتيم في سبيل الله حسام وانقم على كتاب الله نقط واعجام سلام عليكم ما ذر شارق من مشرق
وازاق بارق سكوب ودر على الابناس حلو بعكر في حومة الحرب فارح بعبوب على
تمد على نفحات البحر تضاعيه وتنم على فتات المسك والعنبر ذنائبه اما بعد فان الله
جل باذاء نعمه التي تبلج للناظرين صباحها وتبرح للناظرين وشاحها معد له القد
موردة الخدود مطرفة القرون منورة الشئون معلقة العوارض مدبجة المغارض مخضبة
الاطراف معطرة الاردان والاعطاف منا على عباده ابتداء بتفضيه حكم كرمه
وابتلاء لا ثارهم فحسب نعمه نقما فائدها شوم الخذلان وسائقها لوم الكنود والكفران
تخالط ابناءها شوهة المطالع منفشة القنازع مرو قة مقلصة المشافر معولة المعادي
والمحاجر يصرفهم بين اخلاق مذمومة واعراض مكلومة وافعال بعلل العار ولعل النار
مختومة وقد تنحل النعم باعتافها نقما منكورة كما ينحل الحر على اربابها محنا منكورة تطبعا

على خلق الكان وترعزعا على عادة المقصود بالاحسان كما يجب بعطر من نوافح التدود

المعطرة والجويذ فرمن روائح الحشوش المقبرة والمزن يقطر على عرصة الروض فيوليه

طهارة ونظارة ويهطل على فروع الكلب فيعديه نجاسة وقذارة والماء القراح يسقي

عروق الشجر فيقضي عليها باختلاف الثمر فيقبله كل منها على ما كتب له من مرارة وحلاوة

ومرارة وجرادة وكثافة ولطافة يسقى بماء واحد ونفضل بعضها في الاكل قدرة من الكبير

الاول الموجود بالازل وان ترخلق الله نفسا وتيمه واخبهم قدرا وقيمة من يصفه

صنع الله دنان من ماء الطلاقة نشوان من صهباء اللباقة فتان من غلل التجاحة مينان

في حلل الوقاحة حتى اذا حط رحله وخالط بالبئر الخصيب اهله قراه من بؤس الخصال

عبوس الملال وضرة الاستبدال ومضرة الابتذال ما بطنه واعمه وبهجه وادعه وبثره

ودوده ونعقره ولوده فيرحل في سواد الحداثة كما ساء الجوار وخفرة الذمار وذل لئه

القدار وغلظة الامار والاتياس على ثنية الوداع صلبقه متمثلا بقول القائل شعر نعم الله

لا تعاب ولكن ربما استقبحت على اقوام ❊ لا يليق الغنى بوجه ابي يعلى ولا نور بهجة الاسلام ❊

وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام ❊ ولولا ان العقاب يتبع الخطاب

وان النامر على الاعراض مجهول في حكم الاعتبار ونص الكتاب وان مجاز الشعر غير حقائق

الكتاب لا دعيت غضب الله على بغضهم حين ابتلاها بمجاورة الانذال ودرواها عن مظان

الاستحقاق من كرام الرجال غير ان المقصود فيها بالكرامة وقد تابلها بالاستخفاف كابر

عقله في جوارها بغير الانصاف ولي بان تقهره خاجل الغصب وتضهره لجل اللهب فكم من

زاد دما اشرق غيره وقادح زند احرقه سعيره وشاحذ حد قطع به وربك وراكب جواد

تقحم عليه جيده وقد تختلف مواقع النعم من اربابها على نسبتها من صادرات البهوتيلها من

مالت بوه لحياده وقبح اثاره عليه فالاحداث فيها احسن حالا وادين من الكهول الطاغين

في الاسنان والشيوخ لخالبين اسطل الزمان فليس من فرح وحنك وشيب وشيبك ولحد

وجه الاستبصار وبرلتكالغر لم تلمحه هواجل الامور والغر لم تردعه بواجر الدهور والغفل

لم تدربه الحادثات باحوالها والمهر لم ترضه الرجال باكفالها وقد يعذر التاني في

طول الجهالة بالشباب الذي هو طليعة الجنون وشريعة الشهوات واللذات وان يتابس

لم يضرب عقاله وصيقل التجربة لم يحكم على متنيه صقاله وان الراي برعومة يقتفها

كز الجد بدين سبذ بدبذ وثمر تطلع ثم تعود وموسم زمان ينفق النور والنور وان

الشباب شعبة من الجنون وان قلم التكليف مرفوع عن المجنون والحدث الغر كالنعما

جرحها جبار وعجمها دون جنايتها اعتذار فما بال من خلع لباس الحداثة ووضع جلباب

الطراه واجتلى نهار المشيب عنانا وافنى تلك غمائم الوانا سواد الشباب جدا جنه وشحق تعوف

ولجد لونا بعد ذلك هجانا وحان له ان يصحو عن قهوة البطالة وينزل عن صهوة الاستطالة

ويبكي لضحك الشيب براسه ونصول الانقاس عن قرطاسه وتمشي الوهن في عظامه وتعود

القوى بعد تمامه واصباحه على خمار ندمه وافتضاحه بعثار قدمه ونداء برهان الله عليه

باتباع محجته وانقطاع حجته وانلاع التار اعنافها لالتقاطه ولخطافه هنا فيا عن صراطه

لتنجر العمى في سبل الله والصمم دون امر الله تخبطا في ليل الخبال وحطبا في حبل الضلال

ورجوعاً في حافرة الخسار وولوعاً بفاجرة الآثار وخلاءً في شطن العتو والغلو وإباءً الأ
على نفس الأمارة بالسوء فلا درّ درّ الشيب مشوباً بدنس العيب لا يؤذن أفاجي القذال
الأكريم الفعال فأقبح ما اجلاه الطرف يوماً ضياء الشيب في حلك الخصال نعوذ بالله من
غضب الرحمن وخشية العمر بطائع الخذلان وتعريض المشيب للهتك من أستاره وكشف من
أسراره ومحو من نوآن ويحرق من نوره ... وعصم إثمار الكرام واحراز الانام عن
مصرع الغوى أنه الحسن البغوى دلة الاحتيال وسلة الاشتغال وجراب الخادثو وحرباء
التخايط وعقرب التضريب وبلع الأكاذيب وشبه التدليس وزئبق التمويه ومرآة القرن
ومقر المعيب وافق الجود وخزانة الموعود وجرباء الإلحاد وكيمياء العناد وبربوع النفاق و
وضبة العقوق وفارة الفسوق وثعلب الخداع وخنزير الفضاع وكلب الهبات وأسود
وأسد التراث وخوضة الأنذال وفرضة الخيال وسكين الأرحام وشريب الدم الحرام
ولعل بعض من يتصفح هذه الألفاظ منسوقة والأسجاع مجموعة ومفروقة يظن هذا
البهت محلبة الأقذار وعصيان الفضيلة في طاعة الإفجار إذ لا لانتضاض
وإنما لا المقراض التفاهة بالفصاحة وخلوداً على قرار القرآن في استعمال المجاز وإغفال
التحفظ والاحتراز انكاراً لا لتقاء هذه المساوي السود في شخص قد شرى على تضاد
الزمان وجرب وأكل على طعمي أحواله وشرب ولم نعلم أن الله تعالى إذا خذل من شاء
من عباده لم يسوء منه الأحماء مسنوناً وجلداً على أخلاط الفساد مطروناً وعلى شك غاب
التلعن واضحة اليقين بالانفاح عما انبهم والاصباح عما اظلم بحذير الغفلة الانام

وتبيير الشاكلة الاستعصام وتنبيهاً على مزلة الاغترار بظواهر النعم والانخداع لبوادي
الالحاظ والقيم فكم من صفيح يروق العيون نوره ويروع النفوس شهوره قد قطف
بيد زوير وابار زيق عروق وقر المنايا عن عضل من الانياب زرق ومن شهاب كمار امس
بالذهب الابريز كاتب ارحل عن معقود اللواء راكب ليتوقفا الانظار منتبا عمد
وبها باقية السماء معقود اقد يقد من طار بطوار وهمد من رام التجبر في جواره وكذ
الدفلى يغر الناظر مجرده ويفتر عن عقيق الورد برجد ثم هو الداء المجلوب لمن خبر
القشب لمن فكر واعتبر ولولا أن قصد الشريعتان تتم بخبرها على العموم وتكافي بين
الكافة في فضلها المعلوم اباحته للكتابة التي هي قيد العلوم وصيد الحكم المبثوثة في الـ
لقلت لله در سياسة العجم ورفعة اقدار الدعاة والقلم حتى حين عنتو ما دون ذوي
الاستحقاق وخدروها الأعلى الكرام العشاق شعر لله در انوشروان من رجل ما كان
اعرفه بالدون والسفل ؛ نهاهم أن يمسوا بعده قلماً وإن يذل بنو الأحرار بالعمل ؛ فما
كل نحرير لها كفاً ولا في مناكحة الآداب وملا في مناحة الكتاب ولا كل ملك يصلح للملك
ولا كل ذرو يصلح للعين جلاء واضيع شيء عقد في نحر خنزير وحلية بكف ضرير وخط تحت
ونقش على بنان ناجي تزرير فما ان المذكور معيدي الاحرار بخراسان دناءة همة وقماءة
قيمة وخساسة مفعول وخصاصة معقول لناء في بيت الفضل والنعمة ونماء على فراش
والنعمة وزف عليه نعيم النشء وعبق بريا الادب فاضحى مخيلاً الصوب الصواب في أفعاله
جليد أحكم الانتخاب في أمثاله يظن به وبعض الظن إثم أن الفرع لا الأصل نازع والعبث

ربع ولا علم يقضي بان النار تهفو عن زنادها مائل والحجر تطفو على عكر سافل حتى اذا اتفع ولمع
حلت منه آلة الطباع وخانته النفح بحت يد الطباع على عقوق ابيه سعاية به الى السلطان
فيما يجوبه وابتياعاً للمبالاة كذبه فاستلب عليه قبل الاستحقاق ماله وقصم مخاله دولة
خاله وفجع به امه وكانت عياله واجحره دون ما اقتناه على كبر سنه وضعف اساسه واشتعال
الشيب براسه ودسوسه بغذي الهم آخر كاسه فطفق يمري الشؤون دموعاً ويقضي اجل الفناء
محضه وجوعاً ويزجي مطايا الاسحار بين برد اليأس وحر الانفاس بدعوات لم يرجع مجانبها
الا بقاصمة الظهور وحالقة الدين لا حالقة الشعور وعطف بعد على من طلعت شمس الدين علي
ورفت عليه اغصان فوائد فيجبهم بجنا السلم وقرضهم بقرض الجلم وتركهم عرايا الادم
ونشرهم نشر العلم فغادر الغري من النجم معصوراً او السيف مشهوراً او الغصن مخبوطاً
والدجاج على السفود مربوطاً كل ذلك من بين يديه ونصب عينيه حتى اضمرته الارض نديماً
للزفرات كظيماً بالحسرات غريقاً في العبرات شرقاً بماء الحيوة وعقد على ما اختطه يلمح دير
عقد الثريا باهلها واخذ يطبهم بما يريهم من سداد السيرة ودماثة خلق الحيرة
ذريعة الى استيكالهم واستيصالهم دون حرائبهم واموالهم وساج عدة من شيوخ
ثنائهم ببعض ما انهم استماله لهم على بؤساء متغربين وضعفاء مضر ودين رسامهم
بعد الاحكام عليهم في التراضي بزعامته والتواصي بطاعته عقد الوثائق عليهم
مال من ضمانته بنكثه وجبران خوف من عقده يتجر حتى اذا استتب له ما اراده واستوفى
عليهم الحق وزاد وصنع عليهم يد الاستقصاء بعله حاضر وباق وغابر وباق فاخذ بما وجد

من صامت وناطق وصاهل وناهق حتى اذا ادبر كل من ذي يد بيده وبار غير اطلال الضباع
والى باع عليه دام استنزالهم عنها طواعية او كراهية فمن اهتبل فرصة الخلاص على النظم
فما داهاه فاقوهاه وعراه فغراه سبقة محضر العصبة القائمة بالافك في خفارة التور
وكفالة الترويد فارتد على عقبيه خزيان قد سال به السيل واسود طافية الويل
وناح عليه النهار والليل فاما ان يزول على كرب وقلق واما ان يؤول على غيظ وحنق
استخلص الضاحية والضامنة واعتصر البادية والكامنة وغادر الضياع حتى سرى عنها
الضراع عن بين واخرس الثغاء والرغاء وانطق الهام والاصداء وطم المنابع والمشارع وحمى
المراعا والمرابع فلو ملك لعصافير الهواء ويعافير البيداء لاستكرها على لجو الفواحص و
دحوق الملاجي والمفاحص قد تحاماه للاطماع ولا امداخل الكهوف ومفاتح الولائج الجوف
شعر كالحوت لا يرويه شيء يلهمه ❊ يصبح ظمآن وفي البحر فمه ❊ ونابه التخريب لولا اجتنا سبيد
الممالك بجوعه واستحلال حرام الملك بتوسعه كانما عقد على الدهر حلفاً لا يخونه واتخذ عنده
عهداً يصونه وتحاماه من دونه منونه وهيهات انها مطالع حدبات الكفاية ومغارم ثقلات
الفرايض ومصايد طالما اختفت فخاخها وضربت عليها الشاهقات ذخاخها ومطاعم طالما
الاذى وباطنها السم وان من الربيع ما يقتل حبطاً او يلم نعم ولقام سوق الفسوق خاصة وعامة
واباح حمى الفجور بطانة وخاصة ملتزماً سنة النظارة ومتمطراً بغية الجارة ومضاهياً بنوس
المجوس في خبث الالحاد وصلة الاخوات والاولاد بلا غاية ثقفت خدمه وادنته على
وجه الاكبار جبران حرمة وربما ارادوا له في التربلاماً واموا من يجذبه ويحدوه الله

تجويفه عقاب الله من انما فانا بزيدهم على طاهر بن عامر بن كحدق الجراد ما لها اجفان
تواريها ولا اهداب تقيها فضلا عن ركوب الاثام وتكلف المحظور الحرام وانما اثبت التكلف
قطعا على ما سمعته من بعض مشايخ الادب يحكي عن ابي حاتم السجستاني عن قول رسول الله صلعم
ابغض الاشياء الى الله تعالى شيخ زانٍ وعائل مستكبر وفقير فخور وزعم ان القياس يقتضي
كون الشاب الشديد الغلمة القوي المنة ابغض اليه من الشيخ الضعيف والمعسر المترف فقال لي
قوله صلى الله عليه وآله وسلم ابغض الاشياء الى الله تعالى التكلف فابغض الشيخ لان فعله تكلف
وتقدمه استكراه الطبع وهو تخلف كذلك هذا الحرف المتكلف والشعر المتوره قد قضى شبيبته
على اقتراف المحارم واختراف المآثم حتى اذا وضح القتير ودرج الكبير وانحل المرير واقرع ماء الصبير
اتت عادة التوبة ان ترخيه من عقالها وتعريه عن سربالها وتفتحه عن طلالها وتريد الا
شعب الاذان يوم قصالها ؛ لا تبعدن يا اخي عادة تحوي لها ضربا من الشين ؛ فعادة السوء
اذا استحكمت شر على المرء من الدين ؛ هذا ولم يرض بالعقوق الذي وسمه وسمه وشيمه وجهه
وحميه وورده بالخزي وعمه حتى قطع على رؤوس الاشهاد بحمده وقيل في الشايع المستفيض ولد وكان
لحمد دمه ولو كان كاحد اولاد السوقة في اخلاقهم بين الجلد والخلاقة لكنه الجم عليه العهاد
الزيد بذوب التهاد واللثم برشف الرضاب والملك بترخ السناد والامن بطعم الوصال والحلو
بطيب الحلال والعفو بثوى النوال والعيش بموت العذال وشمس الجنوب بروح الشمال عتق
الادب حبل ان عقد عليه تمامه ونفسه دون الاحتصان ردانه فجاء كالقدح هدى
او له النصل المطار وحذا اسفله الريش الظهار وناهض عشرين من سنه بري الخليل في جنب

فضل خليلا وسيبويه كلاً وعبد الحميد ردّ يدا وابن العميد عميداً ان خط فنقش العبقر
على ايدي الكواعب الغيد وان لفظ فعقود الدر منظومة واقاح البطاح مرقومة ولولا
ان اباه اعتبطه دون مداه لخلف من آثار بنانه وخلد من انوار ابداعه واحسانه ما
يفضح ماء الورد في تصعيده وعصير الخمر من عناقيده لكنه لم يعن الا قدر ما الحد العود
حتى اختطفته المنون فقامت نوادب المجد يندبنه جميعا ويبكينه نجيعا فظللت من بينهم صريعا
انشدهم واله القلب وجيعا ؛ قد كان لي في زمانه ودهائه اشراط صدق ان يموت سريعا ؛
ولقد ضمني واياه مجلس بعض اركان الدولة اليمينية فاتفقنا اثنين من بين الحضور على
تنامت الهموم وتذاكر العلوم وتناشد ابيات الكرم واللوم فما كان الا ان حمي المجلس بنادره
وعقر الشرب بعقاره حتى انحل عليه عقال الخبارة وانفتحت له اقفال اسراره وغرق في بحر
الدموع عينه والقى الى ما دار بين ابيه وبينه بفرط ما اثنا عليه من خدمة الادب والاستغناء
بعصام النفس عن عظام النسب على طاعة من ولده في حجره والبر وعلى حكمه في نهيه وامره وانه
حين ملك امره وعرف من خله خمره وانفرد بتدبير معاشه وتوفير نعمته ورياشه ناقض
بآماله مفونه ابيه ببعض ما يتحفه بره الابناء على الاباء فلم يرده على ان زاحمه في ذلك
عن امه وخال بينه وبين ما كتب الله من حقه مطاوعة لرفيق اعتقد فذاقه عسيلته
واذاقه ذبيلته فجلاه عنهما تدبير دانيته وقاصيته وولاه ترتيب حاشيته وغاشيته
وحكمه في عرض ولده وساير ما يختص به فاتجر ذلك الفاضل دون نعمته واقعد دون
الاستمتاع بالجنة وجعل كل من يعتزي اليه منقوما ومقدعا ومن يعتزيه مظلوما

ومصقوعا حتى اضطره صراخ البأس والحاح الافلاس الى الفضل شمس الكفاة لانعاشه
وانتجاع ندى يد العتبي فجين علم ابو المعلوه مخيمه على شاطئ الاقبال واستقلاله على مواطن
الامال ندب الكفر لاغتياله وانتهز الليل لاقتناصه باحدى حبائله وحباله فقدر اليه
على اشاع وزاع وشجن السامع والبقاع من ذعفه نقيعا غادره على فراش المنون صريعا
وانتقل غير بعيد الى جوار الله وذار كرامته متكئا يديه من فوق هامته ومنتصرا خارجيا
العدل وملائكة الجو على ظلامته ومخنقا حول العرش الى يوم قيامته وخلف عن فرمان
بنيه وقد غادا الى ابنه السفيه بما كان استفضله عن نفقاته واقتطعه دون عوارض
حاجاته استظهارا به على حوادث النوب واستنفاقا على معاطي الريب انه والحرمن نفقاته
انتقا من جملة المال قدرا ما قطعا به المسافة اليه ووضعا في اكياسه بختومها بين يديه
وكان جزاءهما انه تهوع عليهما حتى استغرق ملكيهما واشرف صلبا العظام بين جنبيهما
ثم وجهيهما اشفاقا على صورته وستورة المال من هتكة الاذاعة وفضيحة
الكشف والاشاعة لولا انه اعتصم بالاستتار دون صلحبه مرعدا بما تحاماه ومبرقا
باستيراد اداه ولم زنت وقد خازه دون مستخفه من قراباته وذويه حتى قطع
سباط المطالبة على كلاته ومواليه وهلم جرا الى شقيقه له معجزه في الحجاب معتنه
دون الخطاب خلا فانه في حكمه واجتراءه عليه في قرض الاسلام وحته واستخفافه
بولوغ الالسن في دينه المجروح وعرضه المفضوح وعقد المحلول وستره المهتوك بالفلول
ذكى البسوه من بال وجد بلد طارف وتليد اعلاء الاعلانهم ببقايا الحصا

المتوفي على ضياعه وهي نحت استغلاله وفي ضمان مزارعيه عماله ولم تتنو من جملة
الداخلين كانوا عليه رحمة الله لتسليمهم غير موسومين بجريمة ومكدوم بهضيمة ومقوض
عن ذخيرة وكريمة ومغلوب على ما هواه من بيعة آونته وزارته المقصورة المحجوبة
تشكو اليه بلابلها خضوعا وتمري عليه مكاحلها دموعا ضيقا بما دهاها من اضافة
وافرخها من الم النشب فراقه ونيله سؤال المضطر ان يملك عليها ما ملكه ارثا ونحوه
ما حوته عتقا وحدثا مصانعة له دون ما اطلقه عليها من ايدي الجنود واحبال التي
والهنود فرتي وجهها ضجرا بما تتوقعه من نظره وقلقا لما اخصفه من ورق الصيانة
عن شجره وجعل برضيها في جواب التلطف والتالف باحد من مولمة القراع واشد
من ململة الملاع بعل بن لا تكفه حرمته ولا تكنفه رحمه ولا ترقت عليه رافته ولا يخف
اليه في ذات الله مخافته ولا يثنيه عن وجوه الناس حياء في ذروة تذال دعوة
الايدي الطوال فلما ايأسها الاعراض ادركها الامتعاض والت حلفة مصبورة
لئن لم ينته عما لم يقصد بمثله والدذات خدر وكريمه وذات ستر لتهتكن الحجاب و
الجلباب ولتحثين على قرونها التراب منطلقة الى حضرة السلطان في انضاج ما وارته
منه وطرحته المجاملة عنه وكتمته ضمائر الاشفاق فيه وطمسته ذيول الهوادة دونه فقالت
المجنون لاجنه وهو معه في نادته اغلق على هذه القحبة الوزر فقد ابطرها الفضول و
ذاله الاحتمال فما تدري ما تقول هذه والله حمية الابطال فحماية الذمار وغاية حقوق
الحرام الابكار رحم الله ابا الفتح البستي حيث يقوله؛ لجارحه عزيمه تلعن امره خلقي

سابت شكرك بعده احوالا
فامنن على بما رايت فانني
والفضل عندك يوجب الافضالا
مالي سوى فضل اليك وسيلة
بين اللئام كما تراه مذالا
اني اعوذ بحسن رايك ان ارى
ورايت حشو علائي اخلالا
شاهدت فوق الخلق عصف
اصرتني لو جدت ثم خيالا
فتما الوانك بعد ما فارقتم

قطعه بصدر كبير تاج الدين معين الاسلام سيد الاماثل والصدور علي بن محمد بن ابو الغيث ...

الله الناس للغيرة عبرة ولما فرغ هذا الفاضل عن هلاك ولده وراثه ما كان يحت
يده واعتصار المظلومة عن ملاك لمخالها وعلالة ما الحانه بلغاها الطلبه وهو عجزه او لا
ومن يرجو مثل ملغاشه ومعاده للتقبل بمعاملات ناحيته احيانا الا عليه في الحاقه
ناحيه واقطاعه دون كفاف يتصرف فيه فتلطف واعتذر واعترف بالعجز عما قلده
حتى اذا اعياه التلطف ولم يبعه الا التصرف مدرقبته لربقة التقليد وكبر سبعا على
طارف الملك والتليد وما زال يحي كل وليد وتزود ويمري كل باكي وتزود حتى نضب
الماء الاقلاء وعصب ريقه الابلاء فطفق يعيره بعجزه وتضجيعه وبكنته على خرقه
وتضيعه وامر فجمع عليه ما لم يثبته سمع ولا بصر ولم يبته نجم ولا شجر ولم تطلع عليه
نجم ولا شجر ولم يطلع عليه شمس ولا قمر وسبب عليه الاعلاج الهنود وغلاظ كفارهم السود
ما لا ارى هي متن طاقته ولا من وراء فاقته وحرشهم عليه يتضيع في عاجل ومن وزر
في اجل مضمون حتى بعثوه شدا وايثاقا والحنوه ضربا وادهاقا ووضعوا عليه في بعض ليا
ذهقا استمر به الى الصباح النابر حتى اذ لم يبق منه غير نفر الطائر علموا انه مظلوم وان لا
عليه في دينهم المجحود وشرعهم المخذول قرم ولوم فنقضوا به لا عين اباه اذ ضعه وزناه
واطعمه بعد الله وسقاه وما ظن الفاضل الكرام بمن توفي دحمة الكافر الفاجر على قساوة
وطبع قلبه وغشاوته وبمن يزعم انه والد يحنو على ولده ويعتد فلذة من كبده وبضعة
من دوحه وجسده كل ذلك طمعا في استزادة مال واستضافة خال فصار امالي
نحو ورد الفلاة رحم الله كل جاني العقد مثاني المكنة فاني الفواد خاني بناء الادلة

اصل الامل الاعلى الكل امرى ... الادب الكامل ... ابن معين الدين ان العلى ... في محاسن العراق ... لحميد ... فصل وفضايل ...

ان للاباء فروضا على الابناء وللابناء حقوقا على الاباء وان يكن من فرض الوالدين لا ينقض
منه متى تمل ولده وقطع سببه فمن حق الوالد ان يطاع الله في صلة رحمه وتقوى الاقدام
على روحه ودمه ثم ولما ان خف عن الباس كربه وانجلى عنه وصبه اسرى الى جانب الامير
الحاجب في زخفة النهم المارق والرجم المقذوف على المارد السارق متقبا به عارض الباس
مستعبرا روحا معلقة بخيط الباس فاواه وقبله ونشر عليه جناحه رحمة له وكتب الى اركان
الدولة في نابه بما ابطل عليه سعاية ابيه وغل دونه نكاية فضله وتجنيه وحاذر الفاسق
المارق افتضاحه باخي ولد كما افتضح من قبله ازوى الله صداه وقبح اباه ولم يزل بلقاه
بعوذة المجانين وبرقية الترياق حتى افرضه ما لا سد به منخر ناسه ورد معه عادي
وشماسه كابن المقفع حين استعرض الكتاب واستوجب الامن والامان فلو نقب عن مناف
فوقه ومنافخ جلده وعروقه لا انفجت حيلا تعجز كل صباغ وصواغ وثعلب من الوحوش
رواغ وما زال هذا المذكور يختلف به البرج والكور الى ان قدم شمس الكفاة وذبر الله
من ورود مستوفيا على العمال بقايا الارتفاعات والاموال سنة ثلث عشرة واربع مائة فجعل
لا يذابكفه وعائذ ابوابه الكرام وزاغية الايام من شرفه ومعزا حاله في الظلم الذي
يجري وعيبه معنى الملحاج غارب بعير وموطيا السانه فراش الفتنة طاعة لله في لزوم ارحام
وصيانة للعرض من رسوم الذام الى ان حشرت مطالبة العمال اباه الى مؤونته من باب ولي نعمته
ومولاه صرع البغي افنع وخشع فما نجع وتلطف فما اضر واستعطف فما سمع وابصر حتى اذا
عارضه الرقيع بجانبه وكلما الياس من وداد بقابه باح على شمس الكفاة ببعض تلك المخاريق و...

العمال ... مجلس العالي ... الحاجب ... وبين اهل ... الحال ... في ... والدولة ...

... في مدرسة ... كان ... قاضي ... القضاة ... القاضي ... السلطان ... الاعظم ...

عليه جرعا من الوان تلك الاباريق واشعره ان صنيعه لم ينجح منه الاجاجة الا باذنه فتحامى
بمساويه موالبا الاعادته مخالفا الكريمة الحفاظ فى موالبه ببراهين كساطع الصباح اللائح
او منبع النهار الجاشر مفرطة بصحايح الافعال فلولا كرم غذى بلبانه وتحجر على منكه
وبنانه لرجمه رجم العفريت وضربه بالنفط والكبريت لكنه راى ان يضم عليه طرفى
باطنه ويستبقى مختوم سره بين خزنه وربابطه تقيدا لشفاعة المشيب وتفويضا الى
ما وراه من الاجل القريب واقناعا لمن سمع او نظر وروى او خبر بما تذنا هبه الافاق
من ذكر سنخ معايبه الخداث ولوم مكسبه وفضله ميراث ولما تسامع اهل عمله بما
من رتجه وظهر من دعوة صريحه تبادروا الى مفصل الظلامات حنادج من الجور كما
نفتق فى الجوسات الاعداد جمهور فى الشعب جحيج البلاد واختلفوا فى المظالم من قايل
هتكت حرمته واخر انتهكت نعمته وثالث انتهبت ثلته ورابع طلقت عليه طلته وخامس
قتل على التعصب اخوه او ابوه وسادس خدشت على العرف نثرته وقص فوه فمنهم من وصل
قصيده بالانصاف ومنهم من خلد فشفى على ياس الانتصار وراى تمس الكفاة ان يتلك
به شعب الجاملة فطم بصرفه على تبايث مساويه وصد عن مسامع السلطان خبائث افعال
ودواهيه واصم نداء التظلم عن شريف ناديه فغادر المذكور دوراً محتذ لامقلولا واراد الله
ان يقضى فيه امرا كان مفعولا ولما راى ان قد ضحت اقياله وضحكت منحيلة وادغال
وان الالسن قد مضغته حين اطاع عبدا مملوكا فى معصيته خالقه ووصل شهوة الفجور فى
قطعه دلت دعم الطلال ضباعه بخراب اخرته ودنياه وتوب الثائر الموتور والحائر المعود

ما حلاه على الفسوق ووفاه من ثمن الاسلاد بسلعة ذلك السوق فرىء ان صنيعه
ذلك بحميه يمة الالامة ويقيه نبال الالسنة اللامة واسترد ما نحله من صداق و
رجع عليه بقيمة ما اشربه من مجاجة اشداق وعزاه عما اعطاه بعد ان غزاه وامتطاه
وامتطاه وبطحه للسباط بعد ان بطحه لوطء اللواط مبتذلا لاسته جرده طال ما امتعها
بشعريه وكنها بعارضيه وقد اهابنفسه وابويه ودفن عليها الحد ولذنبه هذه والله
الجود لاما نبئ عن حاتم العرب وسادات بنى عبد المطلب فلحى الله من رضى بها لنفسه سيرة
وخباها على تناسخ الاحقاب كنزا وذخيرة انه وذاب الاستار ببطن مكة لاذل من والغ
جيفة مقلوب واذل من طامع فى شريطة مصلوب ان كان اذادتما اتاه انتقاما فهلا ادرك
والولد حى وفى اليد من تلك الخيار شئ الان وقد سبق السيف العذل وقد فعل
ما فعل اودا وقد نضب الماء وشيما وقد صحت السماء وغيرة وقد سقط الجدار وسترة
وقد ظهر الثوار هيهات هيهات لظن حائل وراى فائل وظل زائل ودم سائل
ايتها النفس اجملى جزعا ان الذى تحذرين قد وقعا واختال نفرش للذنه ومتعرضه
للانقطاع الى بعض كبراء الامراء فقبله وآواه وانتزعه من قبضة مولاه مراغمة كونه شار
وشوطه على حراز غمومه واشجانه فلا حميم ولا قريب ولا ولى ولا حبيب ولا والد ولا مولود
ولا عابد ولا معبود فاما الشرع وطريقه الدين وتحقيقه فحى هلا بذاك فى وضوح
هذه الخلال على شوه احكامها وسفه احلامها الغنية دون شرح الحال وتشريحها وتبليغ لسان الفال
وتفصيحها غير ان التقرب الى النبى المصطفى الابطحى المجتبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله اذكروا

اذكروا الفاسق بما فيه يقتضي التنبيه على مخازيه تخلصا الخفايا نكره وخبايا وتنكيلا
لاضلاع خبثه وزواياه ليعلم الافاضل انجاوزنا على البريد قريبا من ستين فلا والله ان
نضيفت به الاحداق في المسجد الجامع الا يوما واحدا كبيضة العقراء وكقضة البكر فما
ادري اخطات بخطاه ام الجاه عنده تخوف عقباه وتجاذبنا حديث الصلوة فقال اما
نحن فما صدقنا الا مازح او سكران قام بعضهم وهو يبغي يوم الجمعة للفرض وقد نودي
للصلوة فقال له صاحبه شكا نا ان نبيعه من خبز البيوت الخبز من اثنين من عمل التوقيع
قد كان من طريق التجوز ساغ للتاويل على وجه التمليح ولكن من هذا قبله وتلك افاعيله
وترك العباد ان سبيله فلا عبد يعتاد ولا فرض كما يقتضيه العباد فحال له به غير اليقين بالا
لحاد وتلقى اوامر الشرع بالعناد واطرق الى الغلام الواصف مولاه لبغرب التتم ويلحن في القران
ويصلي من قعود ويتيك من قيام يتجنى الى صورة حاله ويبادر الى مقصورة خبثه وضلاله
يجل احواله عيوب وعظم اثقاله ذنوب ❊ يصلي فيخفض اركانه ❊ وينهي فينصب يقانه ❊
يخاطب بالكاف اخوانه ❊ ويشتم بالزاي غلمانه ❊ ومن نادرة البلد اعتقاده الاعتزال
على بعد الابد ثم لا يبقي محظورا ومنكورا ولا يبتغي عملا موزورا ومنكرا ابن الفول ود
ها هو طمع يتهدى في مال رجل كان انقطع اليه منذ زمان واغرى به ربيبا كعصب
الاس مياس يعلة فتكه كان باقة اذ هو رضيع وعلى هذا له الفجر صريع ولقنه الاستعداء
الامير الاجل ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة وامين الملة عليه وبخرالامر في امر الانتقا
اليه فتنبه ذلك الالمعي والسيد اللوذعي على غامض كيده وباطن ختله في صيد نافر

يزدول

بالكتاب الى في تعرف الحال وتجنب جانب الاحتيال والانتداب لاعداء الشاكي على خصمه و
ايفا نحكم الشرع امره فلما احس اخوه له المحتال ان حديثه قد فات وظنه استحال وسعيه الى
التبور فلما مال منع شهود الزور ان يصدعوا بالحق فيما بذلوا من خطوطهم ترغيبا وترهيبا
فرضوا القول وادعوا على مسئلتهم الغول وما المزور الى التوسط عن دين الشارع ان دمها
على ماتي درهم فيها خمسة دنانير فلم يبد ابد نخله وبعث بان ديات الامهات على نحو
العقد بين نافي الاسلام له ذكر معلوم ولا في الفقه باب مرقوم ولا عند اهل الكتاب امر
محتوم ولا في دينار الشرك رسم مرسوم ولا في فطر النفوس ان تنزل عن امهاتها مقولة لحد
الوكس والثمن البخس ولا الخنافس او القرود لو نطقت ترضى عن اصغائها بمثله وكم قد
قلت واقول انها العشيه بدية او دية بل هي دية نسمة مسلمة قد حقن الله دمها الا باحد
ثلث نصا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهل يستجيز الترخص في هذا الاحكام الا
مستخف بدين الاسلام اما ان المحكوم عليه لم يلزمها الا بقرة قومت شاة وعنزة فقال
المفجوع المخدوع تالله لا رضيت بجد العنز ولا اشرب الدم الحرام باللبن وهم بالرحيل في
امر القتيل فاعتل فلم يدر اكلته النار ام شربه الماء فالتقطه الارض او اختطفه التماسيح الله
هما من دمين ذهبا بطرا وشخصين فقد اغيلة ومكرا اهدا لو الله اللبن بين السليم والعقيد
الحكيم والامر القويم والتمت المستقيم والمبالاة بما وراء الجحيم ومما يزين ادام الله
عن المشايخ نصوعا ما كانت الاخبار تتشاهد به من استحلاله عند الاشفاق من لواعج
جنايا انه على سلطان نعاته وبغايا عمله وشكاة جرحين ما ينسب اليه من ضياع وعقار ورباع ودار

وقف

لبثنا هبه كره الاسماع ويتقاصر دونها الاطماع حتى اذا ملجيا الى حجره واستقام على ايقاع الكرم

شدوه ندم على ما فعل ورجع فيما بذل وفصل بالفسخ كل ما اجمل فكان فيه البلاغ

يقرب تارة من الامكان ويبعد اخرى حتى اغنى شخص العيان عن الخبر وبانت شمس البيان

عن القمر وذلك حين بعث قاضي قضاتنا ابا محمد عبد الله بن محمد الناصحي الى نيسابور خراسان لسد

امور الاوقاف وانتزاع ما اقتسمته ايدي التسلط والاتلاف فرفع اليه والحاضر والغائب

ما يزدا ويصد ناظر ما نظر عند من اجتماع ما يقارب مائة الف دينار عن اوقاف وضع

عليها سمة التملك وسومة التغلب والتحجن كاعمايها اقوله آدبا لها دون النظم بوعد دونه

دق اق التراب وعيد عند فراق الرقاب حتى درج عليها قرن بعد قرن ابين عن الاستقصاء في

وخلف من بعدهم خلف قانعين من دونه بالكفاف فاتخذ اليه بانقام الاستقصاء على حكم

امانة القضاء فقام فيه وقعد وابرق وارعد وانتزع ما الاعظم من مخيب اضرابه وحده

الافضاح ان تعرض لرتبته وكان قصاراه ان يكن وسكت وخشي سوء امثاله العنت

ولحظ الرجل طواغيت التهود وعفاريت الفسوق والمرود وعقد بمتهدهم وعلى تهاذ

وتاتي بوقفه كل ما ملك واطلاقه على وجه الله جميع ما امسك يرى بما فعل ان الشيخ عما بخت

بدء من قليل وكثير وزهيد وغفير برأه عن الطمع في مال الغير موقوف وعرض الى وجه

القربات مصروف فلم يبراح الامد على هذه العقد الوثيق والحد لان المشبه بالتوفيق

قال وهو يبكوا لوزير سمر الكفنا وسماعه ابا طيل الثنا ما هو الا ان احل عقود املاكه

منه على طفرة الى العراق سالبا خراسان واهلها وقابا فواره المبلاد ومباءة الطارف

والتلاد فقلت انا لله وانا اليه راجعون من شيخ هذه نفيته وما لفظ به على وجه الاخلاص

وغبط العجز عن املاك الرجال بنفسه ومن تفضل بمساحته ولساخته فيض راحته ان كل من

شاكه في جلبه على علم بلبه او مال يجتنبه كالمال شاكه جزافا ووزنه تبذيرا واسرافا

لتهاداتهم له بجوده وتحرقه حنذ الكرام بوجوده حتى اذا اقصى الوطر منهم وملك بسط الا

منهم تتبع عليهم صبابات القدور وخلالات الثغور وقلامات الاطراف وصوابات الا

وجعل المطعوم في زنة الذهب المصون والمشروب في قيمة الجوهر المخزون والدرهم الواحد

قنطارا وحدثنا في دوار بن الشرق مطارا اسعاية من خسارة ومنه ودست على دمنة اللوم

جرثومته فيصد دعنه العامل او المجاور الامل معبونا مدته مقامه موضوعا في شرابه

وطعامه مفجوعا بما اقتناه غابرا يامه مخدوعا عن شهادة ختمت صحيفة اثامه قد خف

زجيه بكلتي يديه يبارى في عدوة الثعلبة وينادي لبيك اللهم لبيك ولبث هذه

من اثاره باعجب من كون اخباره ومسدول الاستاد دون اسراره وقصور يد الانتقام

من نعقد او زاده عيران لكل شيء امدا وياي الله ان يفلح الظالم ابدا الا ان المال يغزر

الماء ويحصن الدماء ويجمع الاهواء ويدفع القضاء ويثير الغوار والغور ولقد بالغ ابو الفتح

البستي في النصح حيث يقول شعر اشفق على الدرهم والعين تسلم من العينة والدين

فقوة العين بانسانها وقوة الانسان بالعين عيران المال سلب الجمال واورث الغل

والقال وبال ولا الدين مطلوبا والذنب مكتوبا والانف مجدوعا والبنان مقطوعا فقبح الله

الاغراض متى دنست الاعراض والاموال متى لطخت التربال والاملاك متى عرت

والخراب مع ابد الغائب فاما موائده ومطاعمه فخذ وها الكريم باسناد كما انفتح الاصابع
والنعت الكعوب الفوادع انه يغدو ومعه صفير العصافير على اطعمة تربو عليها حتاه كما حشا
الدقيق جرابا واثقل الرصاص كعابا انما هو الا ان يذر ذرور الشمس على صلابات الجدر
حتى كان اولاد البقر تلحس نواده وكان الظليم يدعي فيه ميلاده فيغتدي بالفور
وعادة وبما يحانه من عمل السوق شهوة وعادة حتى اذا طبخ كالدلو لمن ميح كف وقبض
الكف على قوم لا يطرد احنه ولا يبقي دون الجذب محاجنه فاذا انتصف النهار وكاد
والنحف الحرباء الالحاد دعا بطعام اليوم وهو المتكلف وما يقيم رسمه التصلف فا
من كل حلو وحامض والملاء من كل بكر وفارض حتى تحشى عليه في الصفاق من الاخفا
وفي العروق من الشفق فيظل باقي النهار يشكو امعاء معاوية وخلاخا بيخاوية حتى يحجب
للاصيل وهم الطفل على الليل بالتطفيل وعيد عليه الطبائخ والعروف وحشر عليه القراطف
والقروف ثم يوتى لبيته بلفائف كالاضابير مطوية والطوامير مختومة ومنجية ودعا
تعاد بعض ساعات الليل فينادي بالجوع ويلاذ في الطهاة بالقنوع فيحاش عليه عجالة الوقت
من مستودعات البواتق ومطيبات الطبور والغرانيق فيمد عليها غمر قيام ويتحرمنها
بغير صيام طعاما لا ابرك فيه غير الملائكة حاضرة والكواكب من محاجر الظلماء ناظرة فما
الارض وهي الغاية في الالتقام والالتهام ولا الدعص وهي النهاية في الاستفاف و
الارتشاف بالبلغ منه لولا الاقتيات ولا بالجرع لولا الاقتضاء نفاده ومن نادر امره في الغا
انه يكتب غثما في التنقل من الصبوح الى الغبوق والتردد بين الفجور والفسوق فات ضبط

للشتر تبوء مقاعد الاكتاف كما تعود مقاعد الاحقاف فيهادي بين شتين حرضا في جلده
شيطان وجيفة في سورة افعوان قد نجم بينهما شوخ الفحل للرماك بل ضبع الذاهبين بالنظما
وربما بقي في التمارض سنة او اكثر شفقا من تكلف الخدمة لولي النعمة وتجشم السير الى باب
الوزير فرشو على التغافل ما لا يجلو وجوه الاطباء واصحاب الانهي فرها خفافا ويذا
ثقالا وليس على هذا الاحتيال باغرب من اكتابة آل زمانا على امتناع الطباع وشموس النفوس
دون الاصغاء اليها فضلا عن القرار عليها فسبحان من خلق النفوس اطوارا وجعل من الهمم
انجادا واغوارا هذه من اعيان مساوي هذا الفاضل العاطل ولو سردنا امثالها لطال الكلام
وعاد الابرام ووزانها من دقائق الظلم المذموم والدغل المكتوم وثقل الجرم والذنب
بلغات اللوم ما يربي على دقائق الاسراح واجل جواهر الامشاح والصغاير على الاصرار كبائر
رغبت لشعور على الايام غدائر ولقد احسن ابن المعتز حيث يقول شعر خل الذنوب صغيرها
وكبيرها فهو التقى ❀ لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى ❀ وما اقتضى التنبيه على معايب
المذكور ومعايبه والفلي عن نمط عقايضه وذوايه مقابلته صنايعي عند ايام الساماني
وبعدها في حق قضيته وعهيد عينه وعيب طويته وستر لخفته وشغل كفته وبرا ولبثه بان
كاشف المودة جعتني وولده المعتبط ابا المظفر رحمه الله بعداوة لم يرخ لعظيم بلاها صفاه
ولا الهم لليلها انقضاء وذلك لان تسمر الكفاة تدنيني لمجاورته وتعين لي خير امعاشر به مكانه
على خدمتي دولة السلطان يمين الدولة وامين الملة باليميني في شرح اخباره ومدح مقاماته
في عدنه وانضاده فما زال الزبرى اليه بنيمه كقطار ديمة ووقعه كراب بقيعة على غفلة دون

ما ينصبّ لي من شرك ويهيج من معترك تمويهًا له اني لحقه كافر وعن فرض محبته نافر واني
مرموق بعين الكفاءة في استحقاق صدر الوزارة مائل وفي شعب الاختصاص به والانقطاع
اليه سائل الكذوبة لم يخلق الله لها رأسًا ولا ذنبًا ولم يضرب لها وتدًا ولا طنبًا ودمنة لم
يهتد دمنة لسبور غوائرها ومصنوف كلاهما وابا هرها حتى ما جنبه على كالليث موتورًا
او النمر محرجًا ومضرورًا فكم كدحت حتى استنزلته عن حرائر دساسه وجهدت حتى نجوت
منه راسًا براس وطفقت انشد وقد فارقته سالمًا شعر اذا نحن سالمين بانفس كرام
رجت من انجاب رجاؤها فانفسنا خير الغنيمة انها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها
واغرى بدر الملك بن سعيه بيمين الدولة وامين الملة في عظيمة لولا ان الهم الله نعم الاناة وا
الحصاة فنقر ونقب واستشف غطاء البلاغ فغل من جرب ودب لنا رتبه داهية لا تبقى
ولا تذر ولا استطارت عباقية تعفي عليها النعر والبشر فمن الله تعالى بان فضح الفاضح فيما
زوّره وكشف وجهه وكوّره واهواه فيما احفره وخنقه بقوى ما صفره وسخم وجهه بسور الانتحال
وكشف عورته لفحول الرجال وجعله عبرة للغابرين بترجمة هذه الاحوال من فوائد هذه
الفصول فليحمد الله على السلامة من مثلها والبراءة من فوادح الاوزار وقوادح العار بها وان
الانسان تعقب على الايام غناءً ثقيلا وعناءً وبيلا وخطبًا جليلا ولسانًا كالحسام صقيلا ومن
من نقص عمر على زيادة الانام ومسانة الانام وحيازة اللام ويرحم الله عبدًا قال امينًا
تمت كتاب اليميني في شرح اخبار السلطان يمين الدولة وامين الملة ابي القاسم محمود بن سبكتكين ومدائحه
في عهده انصاره وما يتصل بها من اخبار ولاة الاطراف في جواره مما جمعه ابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي